

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة لونيبي علي البلدية 02

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع والسكان

اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه " L M D " في علم الاجتماع

تخصص: أنثروبولوجيا عامة

التحولات الاجتماعية الثقافية وأثرها على مورفولوجية المسكن بقرية زليون بتلمسان أنموذجا

تحت إشراف:

د. درويش الشريف

د. علان أنيسة

من إعداد الطالب:

عثماني توهامي

السنة الجامعية: 2023-2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة لونيبي علي البلدية 02

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع والسكان

التحولات الاجتماعية الثقافية وأثرها على مورفولوجية المسكن بقرية زلبون بتلمسان أنموذجا

من إعداد الطالب:

تحت إشراف:

عثماني توهامي

د. درويش الشريف

د. علان أنيسة

أمام اللجنة المشكلة من:

الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
بن عاشور الزهرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة البلدية 02	رئيسا
درويش شريف	أستاذ محاضر	جامعة البلدية 02	مقررا ومشرفا
بوخدوني صبيحة	أستاذ التعليم العالي	جامعة البلدية 02	عضوا مناقشا
أوسرير محمد	أستاذ محاضر	جامعة البلدية 02	عضوا مناقشا
بن عرفة ابراهيم	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
سميرة بداوي	أستاذ محاضر	جامعة تيارت	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2023-2024



أ-الإهداء

الحمد لله الذي وهبني التوفيق والسداد ومنحني الرشد والثبات وساعدني على إتمام هذا العمل

المتواضع الذي أتمنى أن يكون في المستوى المنشود لأهديه إلى من قال الله سبحانه وتعالى

فيهما، بعد:

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"

الآية 24 من سورة الإسراء.

إلى والدي اللذان لا ترقى بوصفهما القواميس واللذان يحدقان إلى السماء يتلوان الدعاء.

إلى زوجتي التي ساعدتني كثيرا عبر مراحل هذا البحث.

إلى أبنائي الأعزاء: حسين، مريم، أسماء، محمد

وإلى كل العائلة الكريمة، أخص بالذكر : إخوتي وكل أصدقائي

إلى كل من له صلة قرابة من قريب أو بعيد.

وإلى كل فرد يحب العلم ويسعى جاهدا في طلبه

ب الشكر والتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

" فَتَبَسَّمْ صَاحِبًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ

عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

الصَّالِحِينَ "

الآية 19 من سورة النمل.

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك على ما يسرت لنا لإتمام هذا

العمل فسبحانك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

ثم لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ: " شريف درويش " لقبوله الإشراف على

هذه الرسالة أولاً، وللتسهيلات والتوجيهات التي منحها لنا ثانياً، ولجميل صبره وحسن

معاملته.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من أعطاني يد المساعدة من قريب أو بعيد وأخص بالذكر

فريق لجنة التكوين بجامعة البليدة 2 من أساتذة وعمال وإداريين.

كما لا ننسى أن أتقدم بأخلص عبارات الامتنان لكل من ساهم في تشجيعنا ونصحنا

ومساعدتنا ولو بقسط قليل

ج-الملخص

تعالج هذه الدراسة مظهر من مظاهر التحول العمراني بأرياف مدينة تلمسان، يأتي ذلك من خلال تطور المسكن باعتباره منشأة بشرية، ووحدة عمرانية متجددة. ومعبرا في نفس الوقت عن مدى التحولات السوسيواقتصادية، والثقافية التي تمر بها التجمعات السكانية بصفة عامة، في انتقالها من المستوى البسيط إلى المعقد. اختارت الدراسة قرية زلبون " كميدان بحث، لما شهدته من تحولات في السنوات الأخيرة في جانبيها المجالي والسكني، وقد قامت الدراسة بوصف المجال العمراني والاجتماعي العام للمنطقة، والتطرق لمراحل تطوره، مع إبراز النماذج السكنية المتواجدة بالقرية. كما قد أشارت إلى مظاهر التحول على مستوى الانتشار المكاني، ومورفولوجية المسكن وتهيئته الداخلية، محاولة الوقوف على أهم العوامل الاجتماعية والثقافية التي ساهمت في انتقال المجتمع من الطابع الريفي الذي كان يميزه، إلى مجتمع يمكن القول على أنه ذات طابع حضري شبيه بالحياة المدنية، خاصة فيما يتعلق بالجانب العمراني. وقد انتهت الدراسة إلى اعتبار أن التحول المجالي والعمراني بالمنطقة، لم يحظى بالتخطيط المسبق، إذ تميز بالعشوائية، ولم يراعي الخصوصية الايكولوجية للمنطقة.

الكلمات المفتاحية: التحول، العمران، المسكن، الريف، زلبون

د. جدول المحتويات:

أ-الإهداء

ب- الشكر والتقدير

ج-الملخص

مقدمة.....17

الباب النظري للدراسة

الفصل الأول

التصور النظري وإشكالية الدراسة

إشكالية الدراسة.....22

فرضيات الدراسة.....24

أسباب إختيار موضوع البحث.....25

أهمية وأهداف الدراسة.....25

الدراسات السابقة.....26

مفاهيم الدراسة.....35

الفصل الثاني:

مدخل إلى أنثروبولوجيا المنزل

تمهيد.....41

أولا: الدراسات الأولى حول المنزل.....42

43.....	المقاربة الطبيعية من المحددات البيئية إلى المحددات التقنية
47.....	التقاليد الإثنوغرافية و بروز التفسيرات الوظيفية للمنزل
51.....	أموس رابوبوت (Amos Rapoport) والنظرية الثقافية المتعددة الأسباب
54.....	ثانيا- المقاربة الرمزية والبنوية.....
54.....	المقاربة الرمزية للمنزل.....
59.....	المقاربة البنوية: من الرمزية إلى إعادة الإنتاج الاجتماعي.....
62.....	ثالثا: البعد الأنثروبولوجي للمسكن الجزائري.....
66.....	إشكالية التقليدي والحداثي.....
69.....	خلاصة الفصل.....

الفصل الثالث

المسكن في حياة المجتمعات

71.....	تمهيد.....
72.....	أولا: تطور المسكن البشري وأشكاله.....
72.....	لمحة تاريخية عن تطور المسكن.....
76.....	الأشكال الرئيسية للمسكن.....
83.....	ثانيا: المسكن والعمليات الاجتماعية الثقافية.....
83.....	المسكن والاحتياجات الإنسانية.....
87.....	المسكن ومسألة الخصوصية.....
91.....	المسكن والنظم الاجتماعية والاقتصادية.....
94.....	ثالثا - المسكن العربي بين التقليدي والحديث.....

94.....	خصائص المسكن العربي
96.....	المفاهيم المعمارية للمساكن العربية التقليدية
99.....	واقع المسكن العربي
101.....	خلاصة الفصل

الفصل الرابع

المجتمعات القروية وطبيعة السكن

103.....	تمهيد
104.....	أولاً: المجتمعات الريفية والقروية
104.....	المجتمع الريفي وإشكالية تحديده
109.....	القرية كوحدة بنائية
113.....	إسهامات الأنثروبولوجيا في دراسة القرية
118.....	ثانياً: العمران الريفي وخصائص المسكن
118.....	جغرافية السكن الريفي
121.....	المسكن الريفي
125.....	العوامل المؤثرة على المسكن الريفي
128.....	ثالثاً: المجتمع الريفي الجزائري وخصائصه
128.....	تطور المجتمع الريفي بالجزائر
129.....	المجتمع الريفي قبل الاحتلال
131.....	المجتمع الريفي أثناء الاستعمار الفرنسي
134.....	مرحلة ما بعد الاستقلال

137.....	الخصائص البنائية والمعارية للمجتمع الريفي الجزائري
137.....	الخصائص البنائية
139.....	المعايير الاجتماعية في الريف الجزائري
143.....	خلاصة الفصل

الفصل الخامس

دينامية التغير

145.....	تمهيد
146.....	أولاً: التغير الاجتماعي والتغير الثقافي
146.....	التغير الاجتماعي وخصائصه
150.....	التغير الثقافي
154.....	ثانياً: نظريات التغير والعوامل المؤدية لحدوثه
154.....	النظريات المفسرة للتغير
154.....	النظريات الحتمية أو السببية
156.....	النظرية التطورية
158.....	نظرية التوازن الدينامي
159.....	العوامل المؤدية لحدوث التغير
159.....	العوامل البيئية
160.....	العوامل السكانية
161.....	العوامل الاليدولوجية والثقافية
162.....	العوامل الاقتصادية

163.....	العوامل التكنولوجية.
165.....	ثالثا: مظاهر التغير الاجتماعي والثقافي في المجتمع الجزائري.
165.....	البنى الاجتماعية التقليدية
168.....	التحولات السوسيو-ثقافية في المجتمع الجزائري.
172.....	خلاصة الفصل

الباب الميداني للدراسة

الفصل السادس

الإجراءات المنهجية للدراسة

175.....	تمهيد
176.....	أولا: مجالات الدراسة.
176.....	المجال الزمني للدراسة.
176.....	المجال الجغرافي.
177.....	المجال البشري.
177.....	ثانيا: المنهج المتبع في الدراسة.
178.....	ثالثا: تقنيات وأدوات الدراسة.
179.....	رابعا: عينة الدراسة.

الفصل السابع

التحولات المجالية والمعمارية بقرية "زليون"

182.....	تمهيد
183.....	توطین المجال

أولاً: الفضاء الجغرافي والاجتماعي للقرية.....	184
أنواع ومورفولوجية المساكن بالقرية.....	192
الجيل الأول: المسكن التقليدي.....	194
الجيل الثاني.....	197
الجيل الثالث.....	199
تطور العمران بالمنطقة.....	201
مظاهر التحول المجالي والمعماري للسكن بالقرية.....	208
تفكك نواة السكن الأصلية للقرية.....	208
تغير في وظائف المسكن.....	208
التغير في شكل المساكن وهيكله البنية الداخلية.....	209
التغير على مستوى توزيع الأسر داخل المسكن.....	209
خلاصة الفصل.....	211

الفصل الثامن

المسكن ب"زلبون" بين التقليدي والحديث

تمهيد.....	213
أولاً: التمثلات السوسيوثقافية للمسكن التقليدي.....	214
المسكن بين البيئة الطبيعية وتشكل البيئة العمرانية.....	214
طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل فضاء المسكن التقليدي وخارجه.....	217
القيم الدينية والرمزية المرتبطة بمورفولوجية المسكن التقليدي بقرية زلبون.....	220
ثانياً: جدلية العلاقة بين العوامل السوسيوثقافية وتحول مورفولوجية المسكن.....	223

223.....	الحركية الاجتماعية وتحول شكل المسكن
224.....	انعكاسات الهجرة إلى أوروبا على شكل المسكن
227.....	علاقة القرية بالمدينة وانعكاساتها على المسكن
229.....	ثالثا: جدلية الأسرة والمسكن وبداية التمايز الاجتماعي والمجالي
229.....	من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية
234.....	تحول دور المرأة وعلاقته بالمسكن
237.....	خلاصة الفصل
238.....	النتائج والاستنتاجات العامة للدراسة
242.....	خاتمة عامة
244.....	قائمة المصادر والمراجع
256.....	الملاحق
258.....	الملخص باللغة الأجنبية

قائمة الجداول:

الصفحة	العنوان
133	الجدول رقم: (1) يبين تطور ملكية المعمرين للأراضي في الجزائر من سنة 1850 إلى 1951
135	جدول رقم(2): تطور الهجرة الريفية بالجزائر
203	جدول رقم (3): القطع الأرضية الموزعة على السكان من سنة 1975 الى سنة 1983
204	جدول رقم (4) : الإعانات المالية الموجهة للبناء

قائمة الأشكال:

الصفحة	العنوان
183	صورة رقم(1): المساحة الجغرافية للقرية: المصدر Google Map
183	صورة رقم(2): المساحة العمرانية للقرية: المصدر google earth
184	صورة رقم(3): تبين الصورة مركز القرية القديمة
191	الصور رقم : (4) : تبين كتابات الإدارة الفرنسية حول المنطقة
193	الصور رقم : (5-6-7-8) : تبين الواقع العمراني للقرية الذي يجمع بين التقليدي و الحديث
196	الصور رقم : (9-10-11-12) : تبين طبيعة المسكن التقليدي من حيث مواد و مورفولوجيته
198	الصور رقم : (13-14-15-16) : تبين الصور تخطيط تقليدي للمسكن بمواد حديثة
200	الصور رقم : (17-18-19-20) : مساكن عصرية
206	الصورة رقم : (21) : حي عين الرملة
207	الصورة رقم : (22) : حي الوكدة
207	الصورة رقم : (23) : حي الزاوية
233	الصور رقم: (24-25-26) تبين الصو وضع سلالم من الخارج
234	الصورة رقم: (27) تبين الصورة التوجه الرأسي في عملية البناء

مقدمة

مقدمة:

إن الحديث عن تدهور نسيج عمراني معين سواء كان قروي أو حضري، إنما يظهر في حالة تدهور المسكن التقليدي ونهاية وظيفته، وصعوبة تأقلمه مع الشروط السوسيواقتصادية الحديثة. باعتبار أن المسكن مهما كان شكله، يعد وحدة عمرانية يتشكل منها المشهد العمراني العام لأي منطقة جغرافية، ويعبر في نفس الوقت عن الحالة السوسيوثقافية لسكانته ومدى تأثيرهم وتأثرهم بالمجال، فالعلاقة الجدلية بين التحولات الاجتماعية الثقافية وشكل المسكن ونمط التساكن، إنما هي تلك العلاقة التي تكون بين ثقافة وبنية المجتمع المتغيرة باستمرار، والإطار المادي في حالته السكنية والمجالية الذي يعد انعكاسا لها، حيث يقوم من خلالها الفاعلون بالتدخل لبناء أنماط جديدة تتأقلم مع متطلبات حياتهم اليومية، وتستجيب لمختلف الضغوط المستجدة، سواء كانت ديموغرافية أو اقتصادية أو ثقافية، تملّي عليهم إدخال أشكال ووظائف جديدة على الفضاءات السكنية والعمرانية التقليدية، وبالتالي تخلق أنواع جديدة من التعايش والممارس اليومي. وتظهر وتيرة التحولات السوسيوإقليمية في الآونة الأخيرة في المجتمعات الريفية والقروية، أكثر وضوحا منها في المدن، فالدراسات التي تناولت الأرياف والقرى الجزائرية مثلا أجمعت كلها على أن التحولات الاجتماعية والثقافية أدت إلى انتقال سكانها من وضع اقتصادي تقليدي تضامني إلى وضع آخر شبيه بحياة المدن انعكس بدوره على مجالها السكني .

إن "قرية زلبون" بمدينة تلمسان موضوع دراستنا، تعد أحد تلك المجتمعات القروية، فالانتقال من مستوى معيشي لآخر قد عبر عنه تطور المسكن في شكله وتجهيزاته الداخلية، الأمر الذي ساهم في تحول نمط التساكن وتغير مورفولوجية القرية بشكل عام بفعل الحركية العمرانية، والاجتماعية التي مرت بها عبر فترات زمنية متباعدة. ولو أن لكل فترة خصائصها، فإن قراءة مظهر تحول المسكن وتطوره يأتي من خلال تتبع تلك المراحل التي مر بها المجتمع، ووصف طرق تساكُن

العائلات المتغيرة من فترة لأخرى، التي من شأنها أن تنتج أشكال هندسية وفضاءات جديدة تتلاءم وحاجات الأسر، وفقا للظروف الاجتماعية والثقافية .

إن المدروس في هذا البحث باعتباره يندرج ضمن البحوث الأنثروبولوجية ، يأتي بالدرجة الأولى، لمحاولة فهم تحول العادات الاجتماعية لتضامن مجموعة اجتماعية، ولحركيتها الاجتماعية بالمجال، أو البيئة الاجتماعية التي تمثلها المعتقدات والاتجاهات وكذا الاستراتيجيات الاجتماعية. وبعبارة أدق، الواقع الاجتماعي من خلال الممارسات الاجتماعية والعائلية المرتبطة بالمجال السكني ومحاولة الكشف عن الممارسات والاستراتيجيات الثقافية والاجتماعية التي تأتي ضمن ظروف عامة تندرج ضمن التحولات الاجتماعية والثقافية، المتعلقة بالتطور العمراني في شكل تحول مورفولوجية المسكن التي تشهدها منطقة قروية .

محتويات الأطروحة:

تتضمن هذه الأطروحة بابين وثمانية فصول رأينا أنها تستجيب والقضايا المطروحة لطبيعة الموضوع سواء من الجانب النظري أو الميداني

- الباب الأول: تضمن الجانب النظري للبحث واحتوى على خمسة فصول، ضمن أربع أبعاد أساسية بحسب ما تقتضيه الدراسة، البعد المعرفي، البعد الحضاري، البعد المجالي والبعد الدينامي

- الفصل الأول: تضمن التصور النظري وإشكالية الدراسة وظروفها، كما أدرجنا التساؤلات التي بنيت عليها فرضيات الدراسة وقد تطرقنا إلى الدراسات السابقة وكذا مفاهيم الدراسة .

- الفصل الثاني: وجاء بعنوان مدخل إلى أنثروبولوجيا المنزل تناولنا من خلاله المعرفة الأنثروبولوجية حول المنزل من خلال تطور أهم المقاربات التي شكلت هذا الحقل، كما قمنا بتسليط الضوء على المسكن الجزائري في بعده الأنثروبولوجي

- الفصل الثالث: تناولنا فيه دور المسكن في حياة المجتمعات، وقد أخذنا هذا الجزء من البحث المسكن كبعد حضاري من خلال تطوره عبر التاريخ وأنماطه المختلفة والعوامل السوسيوثقافية المؤثرة فيه كما أشرنا أيضا إلى خصوصية المسكن العربي كبعد ثقافي لهذه الدراسة

- الفصل الرابع: تطرقنا فيه إلى طبيعة المجتمعات الريفية والقروية وخصائصها الاجتماعية والمجالية مع الإشارة إلى تطور المجتمع الريفي الجزائري وجاء ذلك من أجل تعميق الفهم حول مجتمع الدراسة

- الفصل الخامس: تناولنا فيه آليات التغير حيث تطرقنا إلى موضوع التغير الاجتماعي والثقافي وأهم النظريات المفسرة له والعوامل المساهمة في حدوثه كما تم عرض مظاهره في المجتمع الجزائري

- الباب الثاني : وتضمن الجانب الميداني للبحث وجاء في ثلاث فصول
- الفصل السادس: تضمن الإجراءات المنهجية للدراسة حيث تم عرض منهج البحث والأدوات المستخدمة في الدراسة، والعينة وطريقة اختيارها

- الفصل السابع: وجاء بعنوان التحولات المجالية والعمرانية بقرية زلبون قمنا من خلاله بتقديم صورة عامة عن الجانب الاجتماعي وتطور العمران بالقرية، على طول الفترة المحددة للدراسة مع إبراز أنماط المساكن التي تشكل مورفولوجية القرية

- الفصل الثامن: تناول هذا الفصل المسكن بين التقليدي والحديث ضمن الأبعاد السوسيوثقافية المؤثرة في تحوله من خلال التمثلات والتصورات التي يحملها الفاعلون
النتائج والاستنتاجات العامة: ركزنا من خلالها على استخلاص النتائج والاستنتاجات التي انتهت إليها الدراسة الميدانية ومناقشة الفرضيات والأسئلة المركزية

- خاتمة

الباب النظري للدراسة

الفصل الأول

التصور النظري وإشكالية الدراسة

إشكالية الدراسة:

إن البيئة العمرانية هي بيئة الإنسان الأولى التي صنعها بنفسه مشكلا عالمه الخاص وفق تصوراتهِ وثقافته المستمدة من روح الجماعة التي يحيا معها. والبيئة العمرانية تتشكل من المساكن والمرافق الحيوية التي تلبي حاجات الإنسان وتضمن بقاءه واستمراره. بل وتعتبر إحدى الوسائل التي تقارن بها الجماعات، والشعوب، في مختلف الدراسات والأبحاث المهمة بتحليل الأنماط العمرانية، وما يترتب عنها من فضاءات وممارسات، تعبر عن طرق عيش الجماعة. وتعد المساكن أهم الوحدات العمرانية التي يعيش الإنسان حياته وذكرياته بداخلها باختلاف أشكالها، وتعدد وظائفها التي تؤديها في خدمة ساكنتها، وقد تطورت عبر التاريخ من كهوف، ومغارات يلجأ الإنسان إليها لتحميه من قساوة الطبيعة، ومن شرور أخيه الإنسان إلى فيلات فاخرة، وأبراج عالية وغير ذلك من الأشكال المختلفة التي تتخذها. وقد لفت شكل المسكن وطرق التساكن، مختلف التخصصات المعرفية لما لهما من أهمية في إدراك وفهم الجوانب المتعلقة بالحياة الاجتماعية والثقافية، وما تتعرض له من تحولات ناتجة عن التأثير والتأثر سواء أكانت مورفولوجية المسكن وما ينجم عنه من فضاءات، وإشغال للفراغات، التي يتم احتلالها، أو المؤثرات الاجتماعية والثقافية وانعكاساتها، التي تستدعي ترتيبات معينة تخضع المسكن للتكيف مع الوضع القائم. لذا فلا تخلو أية دراسة تناولت نمط من الأنماط العمرانية، وخاصة المسكن، دون الإشارة إلى وصف التنظيم الاجتماعي والثقافي الذي يعيشه ذاك المجتمع، وتتبع أهم التغيرات التي تتطرق عليه. والمجتمع الجزائري ليس بمنأى عن باقي المجتمعات الأخرى، إذ عاش ولا يزال مسيرة من التحولات الاجتماعية والثقافية، صاحبها تغيرات على البيئات العمرانية الحضرية منها والريفية على حد سواء، إذ أصبح هذا الوضع، الشغل الشاغل للمهتمين في عدة مجالات، خاصة وأن عمليات الإسكان تعد من أولويات الحكومات المتعاقبة ومن أبرز العقبات التي تواجهها.

إن فهم تحول أشكال المساكن باعتبارها جزء من الظاهرة العمرانية، يتم بالضرورة بفهم التحول الحاصل في الحياة الاجتماعية والثقافية لأي مجتمع، والوقوف على أسبابه والنتائج المترتبة عنه، هذا ما تجمع عليه الدراسات في تناولها لمثل هكذا موضوعات إذ أصبحت مقولة "الشكل يتبع الوظيفة" شائعة في الأوساط الفكرية.

إن مقارنة الظاهرة العمرانية في علاقتها بالقيم الإنسانية والاجتماعية، وفي بعدها التاريخي، كفيل في إدراك السياقات المختلفة التي أنتجت أشكالاً معينة من المساكن وهذا لا يتأتى إلا من خلال العمل الميداني والوصف المكثف على حد تعبير الأنثروبولوجيين. ويعتبر مجتمع بحثنا الممثل في قرية "زلبون" بإحدى ضواحي مدينة تلمسان، من المجتمعات التي لوحظ فيها تأثر شكل المساكن بصفة مباشرة، وتحول أغلبها إن لم نقل كلها من النمط الأفقي إلى العمودي، بفعل التحولات الاجتماعية والثقافية، التي تدفع الساكن في كل مرة إلى ضرورة إجراء تعديلات على مسكنه تلبية لحاجاته المتعددة.

انطلاقاً مما سبق ومن أجل فهم الموضوع فهما جيداً والكشف عن مظاهره، من منظور المقاربة الأنثروبولوجية، التي تستدعي البعد الثقافي والاجتماعي للفاعلين وتصوراتهم لخرائط حياتهم الفزيقية، فقد جاء تساؤلنا كالتالي:

كيف أثرت التحولات الاجتماعية والثقافية على مورفولوجية المسكن بقرية زلبون؟

وللإجابة على السؤال المحوري تفرض الدراسة إجابات على أسئلة أخرى فرعية، تمر عبرها الدراسة وتتمثل فيما يلي:

1- ما طبيعة النظام الاجتماعي والثقافي التقليدي بمنطقة زلبون؟

2- ما هي أهم العوامل الاجتماعية والثقافية التي ساهمت في إحداث تغيرات على المجال السكني

وطرق التساكن بالمنطقة؟

3-كيف كانت استجابة الأفراد للتغيرات التي مر بها المجتمع وما مدى وعيهم بهذا التحول، وطبيعة استراتيجياتهم المستقبلية اتجاه مجالهم السكني؟

4-ما هو واقع التحولات الاجتماعية والثقافية على شكل المسكن وطبيعة الأسر؟

فرضيات الدراسة:

من خلال الاستطلاع المبدئي للميدان، وبعض الملاحظات الخاصة بالجانب العمراني، وكذا الإطلاع على تاريخ بعض الأسر ونمط عيشها عن طريق الرواية الشفهية، فقد وضعنا بعض الاقتراحات والفرضيات لدراستنا قصد اختبارها ميدانيا وأبرزها ما يلي:

-تفترض الدراسة أن التحولات التي أثرت على شكل المسكن ووظائفه قد جاء نتيجة انتقال مجتمع الدراسة من نمط اقتصادي ذي طابع رعوي وفلاحي، إلى نمط آخر تميز بتحول أفراد المجتمع إلى الحرف والمهن الحرة ، وهجرة العديد من الشباب إلى أوربا للعمل، وغيرها من عوامل الاستقطاب، قد خلق حركية اجتماعية انعكست على طرق التساكن السائدة، حيث تطلب إجراء تعديلات على المسكن استجابة للأوضاع الجديدة

-تفترض الدراسة أن الموقع الجغرافي لمنطقة "زلبون" القريب من مدينة تلمسان التي لا تبعد سوى 15 كيلومتر ساهم وبشكل كبير في التأثير من الناحية العمرانية، عن طريق إدخال العناصر الثقافية الجديدة بفعل الاحتكاك، فأفراد المجتمع أغلبهم في تواصل دائم بالمدينة إما للدراسة أو العمل وغيرها من عمليات الاحتكاك وقد ساعدت وسائل المواصلات الحديثة في رفع هذه الوتيرة

-تفترض الدراسة أن المسكن كمكون مادي تشكله مواد بناء، فإن التحول التكنولوجي قد ساهم بشكل كبير في تغير شكل ووظائف المسكن عن طريق إنتاج مواد البناء المتطورة، وسهولة توصيلها، كما أن صلابتها ساهمت في ضمان متانة أجزاء المسكن، وساعدت في ارتفاعه والتحكم في الفراغات.

أسباب إختيار موضوع البحث:

تتلخص دواعي اختيار الموضوع في بعض النقاط الأساسية التي تجمع بين الذاتية والموضوعية

للباحث وهي كما يلي:

-الرغبة في تناول هذا الموضوع بحكم المعاشية، كون أن الباحث ابن المنطقة، وقد سبق وأن

تتطرق إليه في دراسة سابقة

-أن التغيرات العمرانية للقريّة، هي السمة البارزة في العقود الأخيرة، التي بدورها تحمل عدة

تساؤلات تفرض نفسها في السياق الاجتماعي والثقافي للمنطقة.

-كون أن طرق التساكن وإنتاج المكان، تتداخل فيه العديد من العمليات الاجتماعية والاقتصادية

والثقافية، فقد رأينا أنه المجال الملائم الذي من خلاله نقدم خصوصيات المجتمع موضع الدراسة،

وعوامل تطوره، خاصة وأنه لم يسبق أن أشارت إليه دراسات سابقة في الجانب الأكاديمي، رغم

توفره على عدة مميزات من الناحية الأنثروبولوجية.

-قلة الدراسات الأنثروبولوجية، التي تناولت العلاقة المتبادلة بين مورفولوجية المسكن، والعوامل

الاجتماعية والثقافية، وبالأخص في المجتمعات القروية التي تعرف تحولات عميقة بفعل الزحف

الحضري

-أن تصورنا للموضوع بهذه الطريقة يقودنا إلى إجراء مقارنات بين المسكن التقليدي والمسكن

الحديث سواء على مستوى التهيئة المبالية أو الوظيفية لمختلف مكوناته، مع تقديم تفسيرات واقعية

للسياقات الاجتماعية والثقافية المساهمة في التأثير على مورفولوجية المسكن وتطوره.

أهمية وأهداف الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة، في تناولها لموضوع قل ما تطرقت إليه دراسات سابقة، بالأخص تلك

المتعلقة بالمجتمعات الريفية والقروية الجزائرية، والتي تمثل نسبة لا بأس بها من المكون الجغرافي

والبشري للوطن، وما تعيشه من تحولات على المستوى المجالي والسكني. ففهم مسار التحولات الاجتماعية والثقافية في علاقتها بالجانب العمراني، والذي يعد المسكن أحد عناصره، هو بمثابة مساهمة في إثراء البحوث المنجزة في هذا المجال من الناحية المعرفية والمنهجية، ولو بقسط متواضع يجعله كبداية لبحوث أخرى لها اهتماماتها وتوجهاتها الخاصة. كما تهدف الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

- رصد أهم العوامل الاجتماعية والثقافية، التي ساهمت في تغير المسكن التقليدي الريفي وتحوله إلى مسكن بمواصفات النموذج الحضري والوقوف على مراحل هذا التحول
- التعريف بالميزات والخصوصيات الثقافية لمجتمع البحث، ومحاولة إعطاء صورة واضحة لنمط الحياة الريفية والقروية، وطرق عيشها في الوقت الراهن.
- السعي إلى فهم السلوكيات والاستراتيجيات التي يتبناها الأفراد في طرق إنتاجهم لفضاء المسكن وانعكاسات ذلك على علاقاتهم العائلية والاجتماعية
- محاولة إدراك الثوابت والمتغيرات المجالية داخل المسكن الحديث ومدى انسجامها مع ثقافة المجتمع.

الدراسات السابقة:

إن التطرق لموضوع المسكن وطرق التساكن يحمل في طياته مقاربات منهجية ونظرية مختلفة تتقاسمها العديد من التخصصات لذا فإن فهم الموضوع لابد من طرق أبواب معرفية متنوعة تقتضيه الرؤية الأنثروبولوجية التي لا تتقيد بمجال بحثي محدد، إذ تتخذ موقفا وسطا في جمع المادة ومن زوايا مختلفة محاولة إعطاء نظرة شمولية قدر المستطاع لموضوع البحث وهذا ما حاولنا القيام به من خلال تعرضنا لبعض الدراسات التي تناولت موضوع المسكن والتي رأينا أنها قد عالجت جوانب متعددة على حسب توجهاتها المعرفية حيث تفتح لنا خيارات لمقاربة موضوع بحثنا

الدراسات الأجنبية:

الدراسة الأولى:

دراسة " Melchisedek Chétima " بعنوان : La Culture Matérielle De La Maison Dans

La Pensé Anthrologique :Parcours Théorique D'un Concept Tansdisciplinaire

مقال منشور : International Journal Of Humanities And Cultural Studies Volume2 Issu4

.March 2016

وهي دراسة نظرية تم التطرق من خلالها إلى مختلف المقاربات التي اهتمت بموضوع المنزل،(الطبيعية والحتمية،الوظيفية،الثقافية متعددة الأسباب، والرمزية،ومختلف التيارات التي أولت الاهتمام للأهمية المادية حول الموضوع سعيا لإعادة النظر في الجوانب المتعددة للقضايا المحيطة بالثقافة المادية للمنزل، والتي تأتي من مجموعة متنوعة من العلوم الإنسانية والاجتماعية (الانثروبولوجيا، علم الآثار،علم الاجتماع، التاريخ وغيرها). وكان هدف الدراسة هو تسليط الضوء على وجهات النظر المختلفة التي تم تطويرها حول المنزل وتحديد حتى تلك الأطروحات الفرعية ذات الصلة لتوجيه البحث حول المنزل والشيء. كما تطرقت لبعض المؤلفين الذين طوروا نظريات أصلية حول تنظيم المجتمع وعلاقة المجتمعات بالمادة، على غرار بيار بورديو، ألفريد جيل، ودانيل ميل. وانتهت الدراسة إلى بعض النقاط ذات أهمية من الناحية النظرية نختصرها فيما يلي:

-دراسة المنزل تجلب العديد من المتابعين اليوم بما في ذلك علماء الآثار والإثنولوجيا والمؤرخين وعلماء الاجتماع، ذلك أن العمارة تشكل ظاهرة مركبة للغاية لا يمكن اختصارها في مواد وتقنيات البناء، إنها "حقيقة اجتماعية" ومكان تقاطع عدة أبعاد(تقنية، اجتماعية وثقافية وتاريخية).

-لا يعكس المنزل الوضع الاجتماعي فقط، بل هو أحد شروط العلاقات الاجتماعية. ولا يقتصر كونه رمزا، بل إنه يحتوي أيضا على القدرة على التصرف في العالم الاجتماعي، كما يمكنه دعم الذاكرة والعواطف.

-أن المسار النظري الواسع يؤكد على ضرورة تعدد التخصصات في الدراسات الموجهة نحو المنزل وعلاقتها بالهوية.

الدراسة الثانية:

دراسة " منال زبيدي " بعنوان: **Habiter Lagrotte A Tataoine(Sud Tunnisien) :De La**

Maison Creusée A La Maison Construite

وهي أطروحة دكتوراه تخصص علم الاجتماع، نوقشت بتاريخ 18 جوان سنة 2018 حيث اهتمت الدراسة بمسار التحولات على سكن الكهوف والتطورات التي أثرت على ممارسات التساكن والتي بدورها تؤدي إلى علاقات جديدة مع المسكن. وكان هدف الدراسة الإجابة عن التساؤلات التي طرحتها حول مدى تأثير سكن الكهوف بظاهرة التحضر، وأشكال التعديلات التي اعتمدها السكان لمواكبة التغيرات في أنماط الحياة وطرق العيش وأشكال البناء الجديدة، وعن أي مدى مازال الكهف مستخدما، ذلك من خلال السعي لبناء النظريات السابقة ومن ثم تناول التغيرات الحالية للمسكن. فالدراسة استخدمت أدوات منهجية متعددة جمعت بين الأدوات النظرية، والتجريبية وأدوات التحقيقات، من خلال انتهاجها منهاجا يجمع بين مختلف التخصصات (الجغرافيا البشرية، الأنثروبولوجيا، علم الاجتماع والهندسة). وخلصت الدراسة إلى بعض النتائج والاستنتاجات نوردها في بعض النقاط كما يلي:

-أن التحولات التي مست مجتمع البحث غيرت علاقة الإنسان بمسكنه

-أن الانفتاح على مواد البناء الجديدة، غيبت المعرفة الهندسية التقليدية التي يعرف على أنها تنتقل من جيل لآخر

-أن طرق البناء الجديدة، تستدعي التخصص على عكس التقليدية التي تقوم على المشاركة الجماعية وروح التضامن

-درجة تحديث المسكن تمثلت في بداية اختفاء مبدأ الانطوائية الذي تميز به المسكن التقليدي وانفتاحه للخارج

-تقليد النموذج الحضري في عملية البناء، وفصل المساحة الزراعية ليصبح المسكن مكانا للإقامة فقط

-تسلل التحديث للفضاء الداخلي للمسكن أثر على تملك الفضاء، فحضور المرأة خارج المنزل للعمل أو الدراسة قد غير العلاقة بين داخل المنزل وخارجه وكذلك بين فضاء المنزل الأنثوي وفضاء القرية الذكوري

-أن الكهف في المخيال المكاني، يعتبر تكوين معماري منتهي، بصرف النظر عن إعادة التطوير السياحي لبعض الكهوف. وهذا الأخير هو ما اقترحه كهف

الدراسات العربية:

-دراسة: محمد شناق عنوانها: المسكن والتصير الاجتماعي المكاني: دراسة أنثروبولوجية لمجتمع

الملاحه في الاغوار الوسطى في الأردن منشورة في مجلة اليرموك سلسلة العلوم الإنسانية

والاجتماعية سنة 1998 حيث هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على عملية نشوء التجمع السكاني

وتطور أنماط المسكن في إطار المجال الحيوي، فالتطور بهذا المجتمع اعتمد خلال العقود الثلاث

الأخيرة على التنظيم القروي والتصاهري موظفة المنهجية، والنظرية الأنثروبولوجية لمعالجة بدايات

التطور الاجتماعي والاقتصادي والسكاني. وقد استخدمت الدراسة بعض الأدوات في العمل الميداني

كالمقابلات المفتوحة والكاميرا وآلة التسجيل واستخدام الرسوم والمساحة لنقل الواقع على الورق للتعامل مع الأنماط المختلفة للمجتمع المبحوث. وخلصت الدراسة إلى بعض النتائج والتوصيات أبرزها:

- هناك تفاوت في درجة ارتباط الفرد بالمكان وذلك لظروف الوحدة المنزلية الاقتصادية
- تضاعف انتماء السكان للمكان الجديد كلما توفرت فرص الحياة خارج هذا المكان كفرص العمل. ويزداد ذلك عند حملة الشهادات العليا عند أبناء المنطقة
- الاستقرار لا يقتصر على عامل الزراعة الغير متيسر في المنطقة، بل كان اضطراريا في هذه المنطقة دون غيرها. وقد اقترحت الدراسة في توصياتها ضرورة الاستفادة من الأراضي الواسعة الغير مأهولة وتغيير البنى التحتية ماء، كهرباء، فتح الطرق... لتصحيح مسار الاستيطان العشوائي، ومضاعفة إمكانية التطور الاقتصادي، الصناعي والعمراني

- دراسة كاني محمد محمد صالح، تحت عنوان دور متطلبات الساكن في تشكيل واجهة المسكن مدينة السلیمانیة حالة دراسية. وهي دراسة منشورة في مجلة السلیمانیة للعلوم الهندسية سنة 2019. فمن خلال الترابط الموجود بين خصائص المسكن ومتطلبات ساكنته هدفت الدراسة إلى إيجاد المؤشرات التصميمية لتشكيل الواجهة السكنية المتوافقة مع التغير في متطلبات الساكن. وقد توصلت أسسها النظرية لتطبيق تلك المتغيرات إلى الاعتماد على مجموعة من العينات من مجتمع الدراسة مستخدمة التحليل الكرافيكي والحصول على البيانات وتبويبها في جداول خاصة. كما اعتمدت الدراسة العملية، على المسح الميداني متبعة نمط التحليل الموضوعي واستخدام أسلوب الملاحظة للعينات المختارة مراعية مراحل التغير وفقا لاحتياجات الساكن ومتطلباته وذلك بتدخله بنمط البناء الذي يقود إلى تغيير شكل الواجهات. وقد خلصت الدراسة إلى بعض الاستنتاجات تميزت بمقارنة مراحل تطور المسكن، التي حصرها في ثلاث مراحل، مرحلة المسكن التقليدي مرحلة

فترة الستينيات والسبعينيات ثم المرحلة المعاصرة حيث تميزت كل فترة بنمط من الواجهة الخارجية وكذا الفضاءات الداخلية للمسكن وذلك حسب متطلبات الساكن وطبيعة الحياة الاجتماعية وطرق البناء، مواجهة البيئة الطبيعية، مسائر التطور التكنولوجي وتطور مواد البناء واضعا في الحسبان التعبير عن الذات في تشكيل واجهة المسكن كتعبير عن المكانة الاجتماعية والظروف الاقتصادية للساكن.

الدراسات المحلية:

الدراسة الأولى:

-دراسة عثمان فكار، بعنوان تطور السكن في الوسط الريفي:دراسة سوسيو- مجالية للمجال

السكني:منطقة بني ورتلان " شمال غرب سطيف (القبائل الصغرى)، بحث مقدم لنيل شهادة

دكتوراه دولة في علم الاجتماع الحضري، السنة الجامعية 2006/2005 . هدفت هذه الدراسة إلى:

- تقييم مجموعة من الدراسات النظرية والإمبريقية، التي تناولت مسألة السكن عموما والعمارة

التقليدية خصوصا

-تقديم وصف عام لشكل السكن الريفي، باعتباره المرآة العاكسة لنمط الحياة ، والتراث المعماري

المميز لها

- إبراز مسار تطور السكن ودلالاته الإحصائية ، إنطلاقا من مقارنات مستخلصة من التعدادات،

تشخص واقع السكن بنمطيه الحضري والريفي قبل وبعد الاستقلال، وإلى نهاية مرحلة التسعينيات.

- إقامة صورة محددة قدر الإمكان لنظام أشكال المساكن وأنماط التجمعات السكنية وتوطنها

بالمجال، ومحاولة الخروج بنمذجة للإطار المبني الحديث، وخصائصه المعمارية والمرفولوجية.

- إعطاء قراءة مجالية وظيفية ولكن أيضا أنثربولوجية لنماذج السكنات المقترحة.

وقد اعتمدت الدراسة على أدوات بحثية متنوعة فرضتها طبيعة الموضوع، تمثلت في الملاحظة والمقابلة والاستبيان وفق مناهج متنوعة هي الأخرى من بينها المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي وقد جاءت ضمن مقاربات كيفية وكمية متكاملة. أما عينة الدراسة فقد قدرت بـ 212 عائلة مثلت مجتمع البحث. ومن بين أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة بشكل عام أن السكن بالمنطقة الجبلية التي تم دراستها، أظهرت أن هذا النمط من السكن راجع لعدة عوامل منه ما هو خاص بامتلاك العقار الذي يتراوح بين ما هو موروث عن الأجداد وما هو ملك للبلدية الذي وزع مجاناً على المستفيدين وظهور حالات أخرى لتوطن مساكن فردية، ما أدى إلى ظهور الأنماط السكنية الأربعة (المسكن التقليدي المعدل، مسكن البناء الذاتي والتطوري المدعّمين ، المسكن الحضري البسيط ، وأخيراً النمط الراقي المتمثل في الفيلاً). وما هو خاص بالتركيبة الاجتماعية وطبيعة وضعيتهم وثقافتهم المبنية على التضامن (التوزيع) وأصلهم الجغرافي حيث ينحدرون من قراهم الأصلية بحيث أن الإطار المبنى نابع عن ديناميكية داخلية. إضافة إلى مساهمة المغتربين القدماء والتجار والمقاولون التي مكنتهم وضعيتهم الإقتصادية من بناء مساكن واسعة، فبتفاعل هذه العوامل برزت سيرورة إنتاج السكن بالمنطقة. حيث جمعت طريقة التملك السكني في بعدها الواسع بين الحداثة (معماريًا)، والحميمية إلى الماضي (تهيئة وممارسة)

الدراسة الثانية:

- دراسة خليفة عبد القادر بعنوان: تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية دراسة سسيو-أنثروبولوجية لمدينة تڤرت {وادي ريغ} أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم في علم الاجتماع تخصص أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية نوقشت بتاريخ: 2011/06/23. حيث كان من بين الأهداف الأساسية للدراسة هو الفهم، أي فهم معاني الإستراتيجيات الاجتماعية والممارسات والتمثيلات المتعلقة بالمجال العمراني، من خلال الدلالات

التي يعطيها الفاعلون لوضعياتهم وعن تأويلهم لأفعالهم. وقد حسمت مقاربتها المنهجية والنظرية والمفاهيمية لصالح المقاربة السيسو-أنثروبولوجية بما فيها الأنثروبولوجية الحضرية للوصول إلى إجابة وافية عن مشكلة الدراسة. معتمدة أدوات التحقيقات النوعية حيث لجأت الدراسة إلى أسلوب المحادثة غير الموجه والمستلهمة من التقاليد الإثنوغرافية المعروفة ، كما وظفت المنهج التاريخي للإطلاع على مختلف الوثائق وخاصة تلك المتعلقة بتاريخ المنطقة مجال البحث. وقد أجريت 100 محادثة غير موجهة مع مختلف الأسر من المجموعات الاجتماعية التي تسكن ضمن إطار الدراسة، مختارة من الأوساط الاجتماعية والاقتصادية والمهنية المختلفة. وتوصلت نتائجها إلى ما يلي:

-علاقة المجموعات الاجتماعية ضمن مجموعة الدراسة بمجالها العمراني اعتمد على التناغم البيئي والتدرج من العام إلى الخاص. حيث تأسس على زراعة النخيل بالنسبة للمجتمع الواحاتي، والجمل بالنسبة للبدو الرحل وانخرط في تجارة القوافل، مما شكل تكامل المجموعات الاجتماعية وارتباطها بنظام سياسي واقتصادي ومؤسسة دينية تشرف على جميع المجالات الأخرى

-ان التحول الكبير في المجال الاجتماعي والعمراني جاء مع الفترة الاستعمارية حيث اتخذت الماكنة والمشاريع الكبرى قصد استغلال خيرات الصحراء أدى بدوره إلى تحول في معايير تنظيم المجال وظهور بوادر تمدن البدو الذين أجبروا على اللجوء إلى المدن في شكل موجات من البطالين على هامش القصور والمدن

-التحول العميق الآخر الذي شهدته المدن جاء في إطار الدولة الوطنية تمثل في إخراج هذه المجموعات ونهائيا من محليتها لتتخرط ضمن المجتمع الوطني العام المدرسة، الخدمة الوطنية، الإدارة كلها كانت وسائل غيرت بعمق تلك المجموعات وكان ذلك بفضل عائدات النفط

الدراسة الثالثة:

-دراسة عطية قصي عنوانها: بنية الأسرة وتحولات السكن والتساكن في الفضاء الحضري الصحراوي الجزائري دراسة أنثروبولوجية في مدينة ورقلة، وهي أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، نوقشت بتاريخ 2020/03/15. وقد هدفت الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف من بينها: فهم التحولات العامة في بنية الأسر في المجال الحضري الحديث ذلك من خلال تأثرها بالجوانب السسويققتصادية والثقافية. كذلك تحولات السكن والتساكن ومحاولة معرفة الآليات التي تتحكم في هذا المجال وعلاقته بنظام العلاقات الاجتماعية كل هذا في إطار تتبع المراحل التي مر بها المجتمع الصحراوي من العمران التقليدي إلى المدينة الكولونيالية ثم المدينة الحالية قيد التشكل. وقد استخدمت الدراسة العديد من الأدوات والتقنيات الميدانية التي تعتمدها الأنتوغرافيا بشقيها الوصفي والتحليلي، من بينها الملاحظة المباشرة، المقابلات حيث أجرت 80 مقابلة، الاستبيانات، التسجيل الصوتي، الإخباريين والتصوير الفوتوغرافي. وخلصت الدراسة إلى بعض الاستنتاجات أهمها:

-بالنسبة لتحول بنية الأسر فهذه الأخيرة تسعى في ديناميكيته وسيرورة حياتها إلى بناء استراتيجيات داخل المدينة من خلال مشروع الإقامة ويتعلق الأمر هنا بالسكن كضرورة للاندماج في المؤسسات والهيئات الحضرية وهو ما يمثل مطلب من متطلبات الحياة الاجتماعية .

-فيما يخص السكن وعلاقته ببنية الأسرة فهناك علاقة جدلية يؤثر كل واحد في الآخر، فالأسر تقوم بتحويل مجالها السكني وإعادة بناءه وفق ما تتطلبه الحياة الاجتماعية الحديثة وبالأخص تحول الأسر من بنيتها الموسعة إلى النووية

مفاهيم الدراسة:

-**التحول:** هو كل عملية تبدل تدل على التغير في كثير من الأحيان، غير أن التحول يتم بموجب وقوع تغيرات متتالية تؤدي إلى استبدال النموذج السائد بنموذج جديد، وقد لا يكون للنموذج الجديد ارتباط قوي بسابقه بفعل التغيرات المتتالية التي تفقده خصائصه القديمة¹. والتحول ثابت من ثوابت الحياة، وهو ظاهرة اجتماعية ملازمة للمجتمعات البشرية منذ القديم ويحدث بقوة فعل²

-التحول الاجتماعي:

هو مجموع التغيرات المتتالية التي تطرأ على مظاهر الحياة الاجتماعية، والسلوك الاجتماعي لمجتمع ما في فترة محددة، وتؤثر هذه التغيرات بشكل مباشر في التنظيم والبناء الاجتماعي، وتكون عملية التحول مرتبطة بالمجال الاجتماعي أساساً رغم امتداد تأثيرها في الجوانب الثقافية والاقتصادية وغيرها من الجوانب، ويكون التحول في بنية أو تنظيم المجتمع أو وظائف البنى والنظم الاجتماعية، وتساهم في عملية التحول الاجتماعي تغيرات كثيرة على مستوى القوانين والنظم السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها³. فالتحول الاجتماعي يأتي في العديد من التعريفات مراد لكلمة التغير الاجتماعي الذي يقصد به هو الآخر كل تحول يحدث في النظم والأنساق الاجتماعية سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنية محددة⁴

¹ المختار منصور، التحولات الثقافية والاجتماعية والسياسية في المجتمع الجزائري: 1990- 2000 (دراسة

أنثروبولوجية)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة تلمسان، ص21

² محمد العليوات، القيم والأعراف -قراءة في التحولات الاجتماعية-، دار الواحة، بيروت، ط1، 2003،

ص11 و25

³ المختار منصور، مرجع سابق، ص21

⁴ دلال ملحق استيتية، التغير الاجتماعي والثقافي، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004، ص19

التحول الثقافي:

هو مجموع التغيرات المتتالية التي تمس الحياة الثقافية لمجتمع ما في فترة محددة، وتتعلق عملية التحول الثقافي بمختلف المظاهر والممارسات والسلوك الثقافي لمجتمع ما، ويتم ذلك بفعل مؤثرات داخلية وأخرى خارجية يفقد بموجبها المجتمع مظاهر ثقافية ليتحول عنها لحساب مظاهر أخرى، وترتبط مظاهر التحول الثقافي بمظاهر التحول في المجالات الأخرى، فتنشأ بذلك الثقافات الجديدة التي تنافس الثقافة السائدة، وتمثل تهديدا حقيقيا لها حتى تزيج بعض أشكال الممارسات فيها وتحولها لترسخ وجودها بين أفراد المجتمع وتوصل قواعدها، فيتم التحول الثقافي، في بعض جوانب الحياة الثقافية¹

ومنه فإن التحول الاجتماعي الثقافي هو مجموع التغيرات التي تحدث في مجمل الحياة الاجتماعية والثقافية لمجتمع ما، وتشمل نظامه وبناءه الاجتماعي والأشياء المترتبة عن نظمه من مصنوعات وأفكار ومعتقدات، وممارسات حيث ينتج عن هذا التحول انتقال المجتمع من حالة إلى حالة أخرى تختلف عن سابقتها.

-المورفولوجيا:

تعني الكلمة دراسة الهيكل الخارجي لكائن حي أو طبيعي،² كما تعني دراسة الصورة والبناء ويمكن أن تشمل المورفولوجيا على دراسة البناء الجسدي أو اللغوي أو الاجتماعي³

¹ المختار منصور، مرجع سابق، ص، ص 21، 22

² Alain Rey, Le Robert Dictionnaire D'aujourd'hui, France Loisirs ,Paris,P

³ مصلح الصالح، الشامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي-عربي، دار عالم الكتب، الرياض،

بدأ استعمال كلمة (Morphology) التي أدخلها "جوته" في القرن الثامن عشر حين جاءت علوم الأحياء (Biology) ومعناها دراسة الشكل في الكائنات، وازدادت العناية بمشكلة الشكل أيضا بمجيء علم النفس في القرن التاسع عشر¹ والتعريف العام للشكل (Form)، هو أنه مجموع الخواص التي تجعل الشيء على ما هو عليه إذ تتجمع الصفات الحسية وتعطينا كلها معا شكل الشيء (...). فإن كان الجسم أو الشيء مركبا من أجزاء متعددة "قالشكل" هو الاسم الذي يطلق على مجموع الأجزاء وعلاقتها بين بعضها البعض، وبينها وبين الفراغات داخلها أو حولها، التي تحدد كلها طابعا مميزا لذلك الشيء أو الجسم² فكلية "مورفولوجيا" كلمة واسعة الاستخدام في الأوساط العلمية الطبيعية، منها والإنسانية، وتعني الأشكال والأجسام المادية وتكويناتها أيا كان نوعها، والقابلة للملاحظة. وتختلف مقاصدها باختلاف المواضيع والتوجهات المعرفية، الفيزيائي، المادة، والطبيعي الأجسام الحية، وعالم الاجتماع، المجتمع والمعماري شكل البناء، واللغوي بنية الجملة.. الخ

-المسكن:

المسكن من السكن، والسكون بمعنى الطمأنينة والراحة. والمسكن هو مكان السكنى، والجمع، مساكن³

¹ عرفان سامي، نظرية الوظيفة في العمارة، دار المعارف المصرية، القاهرة، ط1، 1966، ص10

² المرجع نفسه، ص7

³ إبراهيم أنس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية للنشر،

يشير الدكتور عبد العزيز سيد الأهل في كتابه قاموس القرآن أن الفعل سكن جاء على خمسة أوجه منها: الوقار و النزول و الإنس و الطمأنينة و سكينه التابوت.¹ بالرجوع إلى الجذر اللغوي للكلمة

(س. ك. ن) نجد المشتقات الفعلية والاسمية منه تحيل على أربعة معان رئيسية:

1- المنزل بمعناه المادي المباشر: فالسكن والمسكن: المنزل والبيت.

2- فعل السكن أي الإقامة بالمكان المعد للسكنى: فسكن بالمكان يسكن سُكنى وسكوناً: أقام.

3- الإنسان الذي يسكن: فالسكن أهل الدار، اسم لجمع ساكن كشارب وشرب.

4- الهدوء والسكينة: سكن الشيء يسكن سكوناً إذا ذهب حركته

ويبدو أن كل هذه المعاني تتركز حول معنى القرار والثبات، في مقابل الحركة والاضطراب. فالمسكن أو المنزل هذا الوسط المادي الحامي، والمحمي في الوقت نفسه يحقق السكينة والهدوء والراحة والاطمئنان ولذلك سمي مسكناً². والسكن أو Habitation ، الذي هو الموضع الصغير نسبياً مبني أو مرتب لأجل إقامة البشر³ (أو لحماية الحيوانات أو المحاصيل)، إنه نوع من جسد "لا عضوي للإنسان" (على حد قول ماركس) يحميه من البيئة الخارجية ويشجع على حيوية الأسرة أو المجموعة.⁴

¹ عبد العزيز سيد الأهل، قاموس القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1980، ص241

² عبد الله بن معمر، الفضاء السكني والثقافة: نحو أنثروبولوجيا للمنزل، مجلة الثقافة الشعبية، فصلية علمية متخصصة، البحرين، العدد 52، ص، ص17، 16

³ بيار بونت، ميشال إيزار، "معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا"، ترجمة وإشراف مصباح عبد الصمد، المؤسسة الجامعية (مجد)، بيروت، ط1، 2006، ص848

⁴ دافيد لوبروتون، أنثروبولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، بيروت، ط2، 1997، ص106

وفي نظر باشلار، إنه أحد أكبر قوى الدمج بواسطة الأفكار والذكريات وأحلام الناس (...) إنه يستبعد الحوادث الممكنة الحدوث. وبدونه سيكون الإنسان كائنًا مبعثرًا، إن المنزل والمجال الاجتماعي التقليدي، يدرجان الإنسان في عالم مبني على مستواه. إن مسكنه الذي يعد امتداد يصنعه الإنسان لجسده، وتوسعا ثقافيا لهذا الأخير يؤمن له الأمن الجسدي والمعنوي في آن معا.¹

يرى عبد الحميد ديلمي أن المسكن صورة ورمز في تبيان شخصية العائلة المميزة، وهو أهم مقتنيات الإنسان المادية وبمقدار توافره وملاءمته للاحتياجات والآمال في مجتمع ما بمقدار ما يتوافر الاستقرار الاجتماعي،² والواقع أن مخطط المسكن وشكل الحي من الواجب أن يعبرا عن وظائف مستندة على ما يحتاجه الفرد في المجتمع وأن كل عنصر من عناصر الإطار المبني من الضروري أن يلبي منفعة وكل قسم منه يلبي وظيفة.³ ويضيف، أن دراسة شكل السكن والعمارات والأحياء، هو دراسة تغير المجتمع والعائلة.⁴

فالمسكن هو ذلك الإطار المبني وملجأ الإنسان، يستخدمه لمختلف نشاطاته واحتياجاته طيلة حياته، حيث يتغير شكله وطرق تهيئته وفقا للظروف والمؤثرات البيئية والاجتماعية والثقافية، التي يواجهها الإنسان في الوسط الذي يعيش فيه. وبهذا المعنى تكون كلمات المسكن، البيت، المنزل، والدار مترادفات في دراستنا.

¹المرجع نفسه، ص ص 106، 107

²عبد الحميد ديلمي، دراسة في العمران السكني، والاسكان، مخبر الإنسان والمدينة، الجزائر، 2007، ص 42

³المرجع نفسه، ص 25

⁴المرجع نفسه، ص 23

الفصل الثاني: مدخل إلى

أنثروبولوجيا المنزل

تمهيد:

نحاول في هذا الفصل تقديم أهم المقاربات التي شكلت المعرفة الأنثروبولوجية حول المنزل، باعتباره ثقافة إنسانية مادية، لها توجهات ومداخل متعددة، تطورت في إطار تاريخي ارتبط بتطور علوم إنسانية واجتماعية أخرى. وتكمن أهمية الإطلاع على تلك المقاربات، في محاولة رسم الحدود المعرفية للمواضيع التي تتعرض لها الأنثروبولوجيا بالدراسة المتعلقة بالمنزل، وإبراز مميزاتها. يأتي ذلك لأن موضوع المسكن، وطرق التساكن، تتقاسمه العديد من التخصصات في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، وملتقى جميع المعارف المشكلة لتلك التخصصات، لما له من أهمية في فهم المجتمعات الإنسانية وثقافتها، التي تعكس تصوراتها لمجمل حياتها الاجتماعية والثقافية. لذا فالتطرق لتلك المعارف وتطورها يعتبر كمحاولة لتشكيل معرفة شاملة حول مأوى الإنسان، وطرق استغلاله وعوامل تحوله، إضافة إلى الإطلاع على الطرق والمناهج التي عالجت الموضوع من زواياه المختلفة. كما سنتطرق للبعد الأنثروبولوجي للمسكن الجزائري من خلال الدلالات والتمثيلات المرتبطة به عند الفرد الجزائري، من خلال الوقوف على الخصوصيات الثقافية السائدة في المجتمع والتي تشكلت في سياقات تاريخية واجتماعية معينة.

أولاً: الدراسات الأولى حول المنزل:

شكلت مسألة العمارة والسكن موضوع دراسات معمارية تقنية، وكذلك دراسات تتدرج في سياق العلوم الإنسانية تهدف إلى فهم العلاقة الدلالية التي ترتبط بين التنظيم الفيزيائي والتنظيم الاجتماعي¹. كما أن المفهوم الثقافي والاستخدام الاجتماعي لمصطلح المكان، كان محور الاهتمام الأنثروبولوجي من خلال مجالات عديدة من البحث بدء من المورفولوجيا الاجتماعية، مروراً بالإيكولوجيا الثقافية وانتهاء بدراسات الشعائر، والرمزية، والفلسفة السلافية². إن مواضيع العمارة، الثقافة والمكان كما يلاحظ مواضيع متشعبة ومتعددة المداخل، تستدعي تحديد الحقل المعرفي أولاً، ومن ثم الرجوع إلى البدايات التي تشكل في إطارها الموضوع المراد دراسته.

يرى عثمان فكار أن من بين ما ركزت عليه الدراسات الأنثروبولوجية حول المنزل هو أهمية العلاقة بين شكل المبنى والقيم والعادات (...). أهمية ودور العلاقات الاجتماعية والممارسات المجالية في بنية المجال المبنى (...). بالإضافة إلى التفاعل القائم بين الإنسان والمناخ تظهر الدراسات أهمية التوزيع الجغرافي للسكن، والتوطن بالمجال الذي لم يأتي عفويا فهو انعكاس لبنية إجتماعية والقيم الاجتماعية... بهذا المعنى يكون للشكل دلالة ثقافية وأنثروبولوجية³.

إن أصول مراعاة البيئة المبنية تعود إلى النظريات المبكرة للحتمية البيئية، وفي التقاليد الإثنوغرافية. فالحتمية البيئية هي وجهة نظر تؤكد على التأثير المباشر للبيئة فيزياء المنزل

¹ عثمان فكار، تطور المسكن في الوسط الريفي: دراسة سوسيو-مجالية للمجال السكني: منطقة بني ورتلان شمال

غرب سطيف، شهادة دكتوراه دولة، تخصص علم الاجتماع الحضري، جامعة الجزائر سنة 2005-2006 ص 30

² عبد الله بن معمر، الفضاء السكني والثقافة: نحو أنثروبولوجيا للمنزل، مرجع سابق، ص 15

³ عثمان فكار، مرجع سابق، ص 30

وتتجاهل أو تقلل من العوامل الأخرى (السياق التاريخي، الخصائص الثقافية والتنظيم الاجتماعي وما إلى ذلك). في المقابل، الوظيفية في العمارة ركزت على النموذج المبني وفقاً للاستخدام المخصص له، فالوضع الأول ركز على تطور التقنيات، والثاني على تكييف المنازل للاحتياجات.¹ لقد أثارت المعارضة النظرية بين علماء الطبيعة والوظيفيين مناقشات حول العمارة حتى أوائل السبعينيات، وهي فترة تميزت بالعمل المبتكر لأموس رابوبورت (Amos Rapoport) حول العلاقة بين المنزل والثقافة.

مما سبق ذكره نحاول تتبع تلك المسارات التي تطورت من خلالها الدراسات حول المنزل، وذلك بالتطرق لأهم أفكار تلك المقاربات، بداية بالمقاربة الطبيعية والبيئة، ثم المقاربة الأثنوغرافيا الوظيفية، إلى أفكار Rapoport حول أولوية العوامل الاجتماعية الثقافية في تحديد شكل المسكن -المقاربة الطبيعية من المحددات البيئية إلى المحددات التقنية:

المنهج الطبيعي هو أحد التفسيرات القديمة المقدمة لفهم الاختلافات في شكل وبناء وتوجه المنزل. بالنسبة لأصحاب هذا المنهج، فالاعتبارات البيئية على النحو المحدد من قبل توافر مواد وتقنيات البناء، والمواقع والظروف المناخية، تمثل أهم عناصر تشكيل العمارة العامة، فالطبيعة لن توفر فقط المواد اللازمة للبناء، لكنها توضح للسكان كيفية تصميم منزله.²

تركز نظرية الحتمية البيئية أكثر على مراكمة البيانات (الرسومات، والصور، والمسوحات السكنية، وما إلى ذلك) والتي غالباً ما تقتصر على مرحلة الجرد، كما تسعى إلى شرح الخصائص الفيزيائية

¹Melchisedek Chétima, La Culture Matérielle De La Maison Dans La Pensée Anthropologique : Parcours Théorique D'un Concept Transdisciplinaire, Internation Journal Of Trumanities And Cultural Studies, Vol. 2, Issu 4,2016,P 466

² Ibid , P 467

للمنزل بما في ذلك شكله الخارجي، والتخطيط الداخلي، والديكور، وعناصر البناء المحددة (الأبواب، والنوافذ، والأسقف)، والمكان في الموقع، من خلال إظهار تأثير العوامل البيئية¹.

تعتبر الحتمية البيئية الإنسان كائنا سلبيا خاضعا لظروف البيئة المحيطة به وبحياته الجسدية، والاجتماعية والحرفية، وانعكاسا لتكيفه مع البيئة فهو منها وإليها، فهذه المدرسة ترى بأن الأرض أو البيئة تتحكم إلى حد كبير في حياة الإنسان وسلوكه، وأن للأرض والمناخ سلطانا كبيرا على الإنسان.²

وفي هذا الخصوص أكد (David Lee) بأن الاختلافات المعمارية هي انعكاس لتغير المناخ. ولاحظ أن أشكال المساكن في جنوب السودان مستديرة بسبب الأمطار الغزيرة، بينما في الجزء الشمالي، تتزاح المنازل من شكل مستطيل إلى حد ما بسبب الظروف المناخية القاحلة³.

على الرغم من تلك التفسيرات، ف وراء هذا النهج الطبيعي في كثير من الأحيان، غالبا ما تلوح في الأفق أولوية نظرية التطور، إذ تعزو التقدم المفترض للمنزل إما إلى شعب غربي عمومًا، أو إلى التطور الطبيعي للاحتياجات بمرور الوقت، بما يتوافق مع تقدم التاريخ وزيادة الثروة. وبالتالي أدت نظريات الحتمية البيئية إلى تصنيفات معمارية توجد فيها منازل معينة في الجزء العلوي من السلم وأخرى في الجزء السفلي،⁴ على سبيل المثال، في القسم الثاني من عملهما، أشار Amman و Garnier إلى أن العرق الأبيض هو أول من أتقن بناء مسكنه، ويخصصان القسم الأخير لفئة ما يسمونها الحضارات المعزولة. في هذه المجموعة، تم تصنيف المساكن اليابانية والصينية، ومنازل الأسكيمو، والهندسة المعمارية لأمريكا ما قبل الكولومبية (المايا والإنكا والأزتيك)، ومنها أيضا

¹ Ibid

² حسام الدين جاد الرب، الجغرافيا البشرية، www.kotobarabia.com ص 11

³ Melchisedek Chétima.Op.Cit.P 467

⁴ Ibid.467

المنازل الإفريقية، تصنيف آخر قام به Julius Glück، أين وضع في أسفل المقياس العمارة

الأفريقية التي يمثلها مسكن الأقزام، فوقاً له لا ينتمي هذا المسكن إلى عالم الهندسة المعمارية.¹

من هذه التصنيفات المختلفة، يبدو أنه من الصعب الوصول إلى تسلسل هرمي معماري تكون فيه

بعض المساكن في الأعلى والبعض الآخر في الأسفل، فكل هندسة معمارية يمكن أن تأخذ معناها

الحقيقي فقط عندما توضع في السياق الثقافي والاجتماعي لظهورها، سواء كانت ضخمة أو

صغيرة، مبنية بمواد مستوردة أو مواد محلية، سواء من أصل غربي، أو صيني، أو ياباني أو

أفريقي، فهي تحمل في داخلها دائماً تأكيداً على جوانب متعددة من الحياة الاجتماعية والثقافية،

فهي حاجة وقيمة اجتماعية، وسياسية ودينية²

حدث هناك تحول نظري من المنزل من زاوية الحتمية البيئية إلى المنزل المدروس من وجهة نظر

تكنولوجية، واصطلاح كلمة "تكنولوجيا" عند الأنثروبولوجيين، يقصد به التعبير عن القطاع المادي

للثقافة، وهو القطاع الذي يجمع العناصر الثقافية المادية، حيث يختلف هذا المصطلح عن

استخدامه في العلوم الطبيعية وفنونها التطبيقية، للدلالة على تطبيق أسلوب أحدث الاختراعات

العلمية³. ويمكن تحديد الانساق والنظم الداخلة في القطاع المادي للثقافة على أنها⁴:

1- عادات الغذاء 2- المأوى أو المسكن 3- وسائل النقل والسفر 4- الملابس 5- الأدوات والالات

6-الاسلحة 7- الادوات 8- الحلي 9- الحرف والصناعات والفنون العلمية الحديثة 10-الطاقة

في جميع صورها

¹Ibid.

² Ibid.468

³عاطف وصفي، الانثروبولوجيا الثقافية، مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديريون الأمريكية

دار النهضة العربية، بيروت، ص133

⁴المرجع نفسه، ص 133

يعتبر Leroi-Gourhan من الرواد الأوائل في دراسة تكنولوجيا الإسكان، حيث اعتبر كتابه الوسط والتكنولوجيا من أهم الأعمال الكلاسيكية الرائدة في دراسته لأشكال المنازل العالمية، والتقنيات التي يتم التعبير عنها هناك. أنتج Leroi-Gourhan مخططات مقارنة لمختلف أنحاء العالم، على هذا الأساس، يطرح فكرة منطق تطور الخطة بدء من الخلية البدائية التي كانت تجمع سقفاً وموقداً وسريراً؛ التي كانت حينها تمثل الاحتياجات الأولية، لدعم نظريته ركز هذا المؤلف على الخطط أحادية الخلية لمنزل العائلة، وعلى الخطط متعددة الخلايا للمنازل المجتمعية بين الهنود الحمر، لاحظ André Leroi-Gourhan أن منازل المجتمع تتكون من موقد مركزي مشترك تسكن حوله العائلات، مفصولة بفواصل خفيفة في منزل العائلة. من ناحية أخرى، تتمثل التقنية إما في تقسيم المساحة إلى حد ما بحزم، أو أقل أو في بناء العديد من المنازل حيث توجد وظائف، ومع ذلك يفترض André Leroi-Gourhan أن هذا الاختلاف بين خطة الخلية الواحدة والمنازل المجتمعية، كان يلبي احتياجات محددة، يستدعي قبل كل شيء التكنولوجيا لفهم أشكالها وأبعادها.¹ إذ يمكن القول حسب تعبير محمد عفيفي، أنه من الصعب فهم الإطار المادي "المسكن" للبيئة بعيداً عن الخبرات الإنسانية، والنظام الاجتماعي الذي يتواجد بداخله الإنسان، فالأطر أو الأنساق المادية تمثل ما هو أكثر من مجرد مجال للسلوكيات المختلفة التي تصدر عن أعضاء المجتمع.²

من الضروري أن ندرك مع Leroi-Gourhan، مقارنة بالنظريات الأولى للحتمية البيئية، التمييز بوضوح بين الأشخاص وتقنياتهم، كما تميز منظوره المكاني أو الجغرافي بالتطور التقني الذي تميز

¹ Melchisedek Chétima. op.cit.p468.

² محمد مسعد إمام عفيفي، المسكن التقليدي بمنطقة المحس بالسودان، دراسة أنثروبولوجية، مجلة الثقافة الشعبية

بتعقيد رؤية كرونولوجية بحتة، وتجريدية وموحدة حدد الباحثون الكلاسيكيون المنزل من خلالها، ومع ذلك لا يزال المنظور التكنولوجي ضيقاً جداً لفهم المنزل، حتى لو كان نقطة انطلاق مهمة للدراسات المعمارية، إنه عام بقدر ما هو وصفي، ومحدود للغاية بالخصوص للاختلافات بين أشكال المنازل في عمقها الثقافي.¹

- التقاليد الإثنوغرافية وبروز التفسيرات الوظيفية للمنزل:

ركز الباحثون عبر الثقافات، على الحجم والشكل ومواد البناء في البحث عن أنماط المنازل في مختلف الثقافات، لكنهم حتى الآن لم يولوا سوى القليل من الاهتمام للمعاني الرمزية للمساكن. لكن تم التوصل نسبياً للمعنى الرمزي من خلال الإثنوغرافيا،² إن فكرة أن المنزل والتنظيم الاجتماعي يتكيفان ويعبران عن بعضهما البعض، ترجع إلى النظريات الوظيفية الأولى لـ LOUIS HENRI Morgan و Franz Boas، كمظهر من مظاهر الثقافة، فالمنزل يعتبر كوسيط يمكن للجماعة من خلاله أن تتكيف بنجاح، وتحافظ على نفسها داخل بيئتها الاجتماعية. إضافة إلى توفير المأوى في مواجهة العناصر الطبيعية، يؤكد Boas أن الأشكال المبنية تعكس الثقافات التي أنتجتها.³

هذا وقد عرف Bronisla Malinowski الأسرة، على أنها مجموعة من الأقارب مرتبطة بـ "مساحة مادية محددة، وموقد ومنزل، فقد اعتبر مورفولوجية وخصوصية المنزل أنها ثانوية⁴. لقد تم تطوير الأساليب الإثنوغرافية انطلاقاً من الدراسات الميدانية التي قام بها هؤلاء الرواد، حيث

¹Melchisedek Chétima.Op.Cit.P468

² Jeffrey Vadala / 15 March 2018, **Dwellings: Function, Symbolism, And Landscape.** <http://Hraf.Yale.Edu/Dwellingsfunctionsymbolismandlandscape/P4>

³ Melchisedek Chétima.Op.Cit.Pp.468.469

⁴Samanani, F. & J. Lenhard. 2019. **House And Home.** In The Cambridge Encyclopedia Of Anthropology (Eds) F. Stein,P2

تتماشى تلك الأعمال مع التقاليد الوظيفية، فالغرض من الأشكال المبنية هو الدور التي تقوم به للحفاظ على المجموعة الاجتماعية، وتميزها عن المجتمعات الأخرى حسب تفسيرهم.

في عام 1881، عبر Morgan بالفعل عن هذا الارتباط الوثيق بين المنزل وشاغليه، استناداً إلى الدراسات التي أجراها بين هنود المكسيك ويوكاتان وغواتيمالا، حيث أكد أن "المبدأ الاجتماعي" يجد تعبيره في الهندسة المعمارية ويحدد طابعها مسبقاً¹

قبل الوصول إلى هذا الاستنتاج، حدد Morgan أنواعاً مختلفة من السلوك الاجتماعي، والعادات المختلفة التي يمكن أن تفسر شكل المنازل، ففي عمله "المنازل والحياة المنزلية للسكان الأصليين الأمريكيين"، لاحظ أن أشكال المنازل الهندية صممت لتلبية الحاجة الاجتماعية، وهي الملاحظة التي قادته إلى استنتاج أن الجماعات البشرية تبني منازلها لتتوافق مع احتياجات سلوكية، ومتطلبات وظيفية محددة².

استمر التقليد البنيوي الوظيفي مع أفكار Émile Durkheim و Marcel Mauss حول البيئة المبنية، باعتبارها جزء مدمج رمزي في النظام الاجتماعي، وبالتركيز على السؤال الأكبر المتعلق بالتنظيم المكاني، يرى كل من Durkheim و Mauss، أن البيئة المبنية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحياة الاجتماعية³. فمن الناحية المنهجية، بين Mauss أهم الجوانب التي ينبغي أن يتناولها الإثنولوجي بالدراسة والتي تتمثل في:

¹ Melchisedek Chétima.Op.Cit. Pp.469

².Ibid

³ .Ibid. P 470

المواد المستخدمة في البناء، شكله، الأثاث المستعمل، المعتقدات والطقوس المرتبطة بذلك، المطبخ، حديقة المنزل، طريقة تزيينه، بنائه والغاية من استخدامه، كما أشار أن المنزل لا تكتمل دراسته، إلا ضمن علاقته بالقرية والمدينة.¹

على عكس Morgan، رأى كل من Mauss و Durkheim، أن البيئة المبنية ليست فقط نتاجاً للتمثيلات الجماعية القائمة على الأشكال الاجتماعية، ولكن أيضاً نموذجاً لإعادة إنتاج نفس تلك الأشكال، فبينما يؤكد Morgan على خصائص التنظيم الاجتماعي لمعالجة قضايا البيئة المبنية، يؤكد كل من Mauss و Durkheim على الجوانب المعرفية للتنظيم الاجتماعي المذكور.² تتجلى هذه الرؤية على سبيل المثال، في الدراسات الإثنوغرافية لمجتمعات Tzeltal المعاصرة، أين وصف Brian Stross الخطوات الثماني التي يستخدمها شعب المايا، لإتاحة المواد المحلية في المساكن النموذجية، والتقليدية ذات الشكل المربع بالترتيب، تشمل هذه الخطوات قياس أساس المنزل وتسوية الأساس، الجمع والقطع، وضع أعمدة الإطار، جمع القش ونسجه في السقف، عمل حفرة تصريف، قطع الألواح الجانبية ووضعها، أخيراً إنشاء وتركيب باب. كما تشمل المواد، الطين المحلي، الأشجار الصغيرة التي تعمل كأعمدة، حبال وكروم أعشاب أو نخيل للسقوف.³

في مجلد أصبح كلاسيكياً ومخصصاً للإسكيما، قدم Mauss و Henri Beauchat تفسيراً ديناميكياً للمنزل، مع اقتراح ملاحظة الطريقة التي يؤثر بها الشكل المادي في التجمعات البشرية، أي طبيعة تأثيرها على الأنماط المختلفة للنشاط الجماعي. وقد وصفا الاختلافات في المنزل بشكل أساسي، لتكيف مجتمع الإسكيما سواء مع التغيرات المناخية السنوية، أو التغيرات الاجتماعية، حيث اختلفت المنازل من حيث المواد، التكنولوجيا، والشكل. اعتقد Mauss أن أهم تلك التغيرات كانت

¹ Marcel Mauss, **Manuel D'ethnologie**, Editions Payot M, 1967. P73-78

² Melchisedek Chétima. Op.Cit. 469

³ Jeffrey Vadala. Op.Cit. P2

من حيث الحجم والتنظيم الاجتماعي. على الرغم من أهمية التكيف مع البيئة، كان الاهتمام الأساسي لـ Mauss هو معرفة السبب الذي جعل من البيت الشتوي مشتركاً، ومأوى للعديد من العائلات على عكس الخيمة الصيفية. هذه الملاحظة سمحت له بقراءة المورفولوجيا الاجتماعية للجماعة في منزل الشتاء¹.

وقد وجد Mauss هنا دليل سوسيولوجي لإظهار أن توزيع الفضاء لا يكون دائماً مع مراعاة المساحة المتاحة، بالنسبة له يعد منزل المجتمع الشتوي دليل على الطابع غير البيئي والتكنولوجي للمنزل. رفض Mauss تفسيرات مثل الحفاظ على الحرارة، ونشر التكنولوجيا، ومتطلبات أنشطة الصيد الجماعية، بدلاً من ذلك، أكد بأن عظمة المنزل الشتوي كانت ضرورية لاستيعاب الطقوس الجماعية، التي كانت تُقام خلال أشهر الشتاء، بالإضافة لذلك، أشار إلى أن الإسكيمو لا يعيشون جميعاً في مناطق باردة، وأن الشعوب الأخرى في نفس المناطق، تعيش على مدار السنة في خيام أقل فعالية بكثير ضد البرد من تلك الموجودة في الإسكيمو².

لذلك يميز Mauss نفسه عن المنظور المحدود للحتمية البيئية والتكنولوجية، من خلال الإشارة إلى مخاطر تفسير المنزل حسب المتغيرات البيئية، دون النظر إلى العوامل الأخرى، خاصة العوامل الاجتماعية. يعد منظور Marcel Mauss تجاه المنزل أكثر ثراءً من الجغرافيين، والمهندسين المعماريين، وعلماء الإثنوغرافيا الأوائل، الذين بحثوا في الأصل والتطور، أو مراكز انتشار أنماط البناء³. لكن بالرغم من الكم الهائل من المعطيات الميدانية التي جمعها الباحثون الإثنوغرافيون حول المنزل، إلا أنها ضلت أعمال مجزأة، حيث تطرقت في معظمها إلى محاولة فهم عمل

¹Melchisedek Chétima. Op.Cit.469

² Ibid.P470

³ Ibid

الأنظمة الاجتماعية على الشكل المبني، الأمر الذي دفع باحثين آخرين لاحقاً على غرار Amos Rapoport، إلى وصف شكل واستخدامات ومعنى المنزل.

-أموس رابوبوت (Amos Rapoport) والنظرية الثقافية المتعددة الأسباب:

أعمال Amos Rapoport، ساهمت قبل كل شيء في إعادة تأسيسه النظري، فهو ينتقد النهج الطبيعي والجغرافي للمنزل، لاختزاله التحليل في التصنيفات المورفولوجية والتطور التكنولوجي. كما يدحض بدوره التفسيرات القائمة على المناخ، والمواد والتقنية، والموقع والاقتصاد، والتي يعتبرها غير كافية لفهم الأشكال المعمارية المختلفة،¹ عند القيام بذلك يدعونا إلى النظر في تعقيد التفاعلات، ولم يعد يتحدث عن العوامل المحددة لتحديد العناصر البيئية. علاوة على ذلك، يدعو Amos Rapoport إلى التشكيك في الفكرة الوظيفية لعلماء الإثنوغرافيا (Boas، Morgan)، في هذه الحالة حتى لو اعترفوا بأهمية العوامل الاجتماعية في تفسير الحقائق المعمارية، ما هو حاسم وفقاً لـ Rapoport، هو نوع الاستجابة التي يجلبها المرء للاحتياجات، وليست الاحتياجات نفسها.² بالتأكيد تقدم المجتمعات المختلفة استجابة محددة للاحتياجات (السكن، الأكل، النوم، المعيشة.. إلخ) عندما يبنون منزلاً، ومع ذلك غالباً ما يتم تجاهل هذه الوظائف الأساسية لصالح الاختيارات التي تم اعتبارها في البداية غير وظيفية كما يقول. فحسب رأيه أن الدراسات السالفة الذكر، نادراً ما ربطت العلاقة بين الأشكال والتقاليد، والمعتقدات والرغبات، على الرغم من صعوبة فهم الشكل خارج البيئة والثقافة التي تحويها، وأسلوب الحياة التي تأويها، فهذا الارتباط قد تمت دراسته بشكل عام وليس في خصوصيته فالمنزل حسب نظريته: تعبير عن العلاقة بين البيئة البشرية (الثقافة) والبيئة

¹ Rapoport, Amos, , **Pour Une Anthropologie De La Maison**, Paris, Dunod 1972, P58

² Ibid. P82

المادية (الطبيعة). لأجل ذلك فهو يعطي الأولوية للقوى الاجتماعية والثقافية، ويرى أن المنزل ظاهرة ثقافية أولاً قبل أن يتأثر بالعوامل الجغرافية والتقنية، حيث يقول في هذا الصدد: "نحن نقبل ضمناً أن هناك صلة مزدوجة بين السلوك والشكل: أولاً وقبل كل شيء، فهم جوانب السلوك، بما في ذلك الرغبات والدوافع والمشاعر أمر أساسي لفهم الشكل المبني لأن هذا الأخير هو تجسيد هذه الجوانب ; ثم الأشكال المبنية تؤثر على السلوك ونمط الحياة. يشكل كل جانب من هذه الجوانب بمفرده موضوعاً واسعاً، وكلاهما لهما أهمية كبيرة للمهندس المعماري، ولكل المهتمين بالسكن البشري. في الواقع فإن السؤال هو كيف تكون التغيرات في الثقافة، والتي يتم التعبير عنها من خلال السلوك مماثلة للتغيرات في البيئة التي تظهر في النموذج المضمن".¹ عمل ريبورت على توضيح العلاقة الجدلية القائمة بين التغير الذي يحصل في الثقافة، وانعكاساته على الشكل المبني، أين يتوسط السلوك البشري تلك العلاقة. متوصلاً بذلك إلى أسبقية التنوع الثقافي على العوامل البيئية، في دراسة التناقضات بين أشكال منازل بوبيلو Pueblo و نافاجو Navajo، الذين يعيشون مع ذلك في نفس المنطقة الجغرافية. حيث اكتشف أن العناصر غير المرئية في هذين المجتمعين (الرموز، والطقوس، والعلاقات الاجتماعية... الخ، هي الأكثر أهمية في تحديد شكل المنزل، مؤكداً أن حياة مجموعة بشرية (اجتماعية)، ما هو إلا تكامل بين جميع الجوانب الثقافية والروحية والاجتماعية، وهو أفضل ما يفسر الاختلافات في شكل المنزل.²

بالرغم من كونه مهندس معماري حسب تكوينه العلمي، فقد تحول إلى الأنثروبولوجيا الرمزية ونظريات التأويل لتحليل المنزل كمؤشر على الحالة الاجتماعية للأفراد داخل انتماءاتهم المجتمعية. وبالرغم كذلك من نظريته الراضة للأنثروبولوجيا الرمزية، إلا أنه يصّر دائماً على حقيقة أنه لا

¹ Ibid

² Rapoport, Amos, , **House Form And Culture**, Englewood Cliffs, Prentice-Hall, 1969,P47

يسعى لإثبات الفعل الحصري للقوى الاجتماعية والثقافية في إنشاء المنزل، بل يسعى إلى إثبات أسبقيته¹

مستلهمة من أعمال Rapoport، افترضت سوزان كنت Susan Kent، أن الأفراد ليسوا أبداً دمي لبيئتهم الفيزيائية، عكس ذلك فهم يمتلكون مصادر ثقافية ورمزية، تمكنهم من التحكم في المنزل من أجل إشباع حاجاتهم الاجتماعية. فمن دون استبعاد أهمية العناصر المادية، اعتبرت Kent الإطار المادي للمنزل كأداة بسيطة تتوسط العلاقات بين الإنسان وبيئته، بإنجاز هذه الوساطة تعتقد أن «كل الباقي ثقافي»²

فالمنزل لدى Kent، لا يوجد مستقلاً عن الإرادة الإنسانية، إنه منتج للفكر البشري. إن المنزل يصبح عملية خلق، وفهم شكل البناء والانتماء. لاحظت Susan Kent في الأخير، أن المنزل يتنوع في أهميته حسب الخصائص السوسيو-ديمغرافية.

أكثر من Kent من عرف كرائد للأبحاث السيميائية، والأنثروبولوجيا الرمزية، هو الجامعي Umberto Eco، دائماً متموقعا ضمن توجه Rapoport، طور هذا الباحث نظرية كاملة من السيميائية المطبقة على الظواهر الميدانية. في كتابه (A theorie of semiotics) عرف Eco الهندسة المعمارية، كنظام للأشياء المنتجة والمساحات المحدودة، التي تنقل مجموعة من الوظائف بناءً على أنظمة الاصطلاحات (الرموز). هذا الوجه الاتصالي، يهيمن حسب Eco على الوجه الوظيفي والنفعي للهندسة المعمارية ويسبقه. من وجهة النظر هذه، استنتج أن الوظائف الدالة للمنزل ليست بالضرورة مرجعيات، إنها ليست بالضرورة وظائف يمكن أن تتجزأ أو أنها قد أنجزت، إنه يفترض وجود في بعض المجتمعات وحدات سكنية لم تستعمل أبداً، لكن دورها في إيصال

¹Melchisedek Chétima. Op.Cit. P472

² Ibid.

المركز الاجتماعي لمالكها يعتبر ذو أهمية. في هذا الطريق إن الوظائف التي يشير إليها المنزل، هي فوق كل الوحدات الثقافية قبل أن تكون أعمالاً ملموسة، بعبارة أخرى المنزل هو أساس دال بالمعنى السوسوري (دو سوسير) للكلمة، الذي يدل على معنى (مدلول).¹

ثانياً - المقاربة الرمزية والبنائية:

تطورت الدراسات حول المنزل بتطور المناهج في مختلف الدراسات، خاصة ما تعلق حول التصور الكوني في الدراسات الفلسفية، (الماورائيات، والأنطولوجية). إضافة إلى الدراسات اللغوية والسميائية. وتبحث تلك التخصصات في مجملها، في التصورات والتمثيلات التي لا يمكن ملاحظتها مباشرة، إنما تحاول الانطلاق من المحسوس إلى المجرد، لفهم المعاني المضمرة خلف الأشكال المبنية، على غرار المقاربات الرمزية بمختلف توجهاتها، والدراسات البنائية.

-المقاربة الرمزية للمنزل:

تفسر المقاربات الرمزية البيئة المبنية أنها نظام من الرموز وكتعبير ثقافي مشترك عن الهياكل والعمليات العقلية. حيث يتساءلون عن معنى الأشكال المبنية والطريقة التي تشير وتعبر بها عن المعنى. فمن خلال التركيز على البيئة المبنية، يرى العديد من المنظرين الرمزيين المنزل كوسيلة ملموسة لوصف وشرح الخصائص غير الملموسة في كثير من الأحيان لعملية التعبير الثقافي،² فالرمز إذن في نطاق الأفكار عامل صلة غني بالوساطة والتماثل، يجمع المتناقضات وينقص التعارض، لا يمكن فهم شيء أو نقل شيء دون مساهمته³ فالتفسيرات الرمزية تحاول إظهار مدى توافق البيئة المبنية مع المفاهيم المثالية لحياة الشعوب الاجتماعية، والسياسية،

¹Ibid.p472

²Ibid.

³لوك بنوا، إشارات، رموز و أساطير، عوידات للنشر والطباعة، بيروت-لبنان، ط1، 2001، ص5

والدينية، وبهذا المعنى، تقتصر السمات المادية للمنزل، على تقليد وتمثيل الجوانب المختلفة الواعية وغير الواعية، للحياة الاجتماعية.¹ تدمج المقاربات الرمزية في تحليلاتها الفضاء المنزلي واللامنزلي للمسكن، وأحياناً أيضاً مواقع الإنشاءات وترتيب القرى، والتي تأتي في عدة أشكال، بما في ذلك: الأساليب المجازية التي تركز على وظائف مجسم وذاكرة من المنزل، وقد تم استخدام نظريات الاستعارة (métaphore) من قبل عدد من العلماء لدراسة العمارة كنظام للمعاني المشفرة رمزياً، تجعل الاستعارات قابلة للانتقال من المجرد والبدائي إلى الملموس وبسهولة، فمن خلال الاستعارات، يمثل البشر العالم ويخلقون النظام في الكون²

إن أفضل تمثيل لنظريات الاستعارة (métaphore) المطبقة على المنزل، هو عمل جيمس فرنانديز James Fernandez الذي يؤكد أسبقية الاستعارة (métaphore) كتعبير ثقافي. على هذا النحو، تساعد الاستعارة (métaphore) في فك وفهم المعنى الذي تعبر عنه البيئة المبنية.³ وكتابه الشهير عن مجتمع Fang، هو مثال ممتاز عن القوة المجازية للهندسة المعمارية. تبدأ هذه الدراسة بنظرة عامة على مجتمع Fang، وكيف يتم تمثيل هندستها المعمارية في الفضاء. بعد ذلك، يحاول فرنانديز Fernandez ربط الكوسمولوجيا والأسطورة والبنية الاجتماعية والهندسة المعمارية للقرية، من خلال نظام المعاني الثقافية. ومن هناك، قام بتطوير مفهومه عن "فضاء الجودة" المكون من محاور متصلة بين تعارضات ثنائية القطب للمعنى. ويوضح أخيراً، كيف أن الاستعارة تفسيرية واستراتيجية.⁴

¹Melchisedek Chétima Op.Cit.P472

²Ibid.P473

³ Ibid.P474

⁴ Ibid

وعلى الصعيد اليومي، أكثر عوامل البيت أهمية كان الباب وعتبته، والممر من موقع إلى آخر ومن حالة إلى أخرى، من الضياء إلى الظلمات، ومن النطاق الدنيوي إلى النطاق المقدس، ومن الفقر إلى الثراء. وفي لغة الطاويين، الأبواب هي حجر النفس،¹ العتبة والباب، يظهران على نحو مباشر ومشخص الانقطاع في استمرار المكان، ومن هنا نشأت أهميتها الدينية لأنهما يمثلان رمز الانتقال ووسائله.² ففي الهند مثلاً بلغت أهمية مدخل البيت درجة كبيرة حتى جعلوه وكأنه قناع حيوان/إنسان، فمحاكاة الأشكال الطبيعية لم تكن فقط للتعبير عن الإعجاب بالشكل من الناحية الجمالية والزخرفية وحسب، كالتصوير في المدرسة التأثيرية، بل كانت تعكس أموراً عقائدية باعتبار أن ما يحاكيه الإنسان من الكائنات الطبيعية، يمثل رموزاً عن مبادئ الخلق وأسرار الحياة³

اعتمدت مجموعة أخرى من الباحثين على عناصر التحليل المجازي لربط الكون بالمنزل، كما هو على سبيل المثال لدى مارسيل غريول (Marcel Griaule)، الذي من خلال تحليلاته لعمارة مجتمع (dogon)، وصف كيف يمثل التنظيم الإقليمي شكل البذرة، (graine) وهو رمز مركزي في أساطير (dogon). يوضح Griaule أن هيكل القرية مجسم ويمتد من الشمال إلى الجنوب مثل جسد الرجل على ظهره، تتبع هذه الهيكله لقرى (dogon) من مفهومهم للكون والمدينة والإنسان، والتي يعتبرونها متطابقة.⁴ يفيد مرسيا إلياد (Eliade Mircea) مثلاً أن مجتمع (سيو) Sioux وهو مجتمع عشائري يعتبر المنزل كنموذج مصغر للكون، سقفه يرمز إلى القبة السماوية والأرضية تمثل الأرض، والجدران الأربعة تشير إلى الاتجاهات الأربعة للمكان، يتم تحديد بناء المنزل من خلال رمزية

¹ لوك بنوا، مرجع سابق، ص 77

² مرسيا إلياد، المقدس والعادي، ترجمة، عادل العوا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، سنة 2009، ص 63

³ حسن فتحي، العمارة والبيئة، دار المعارف، القاهرة، ص 19

⁴ Melchisedek Chétima op.cit.p474

ثلاثية: الأبواب الأربعة والنوافذ الأربعة والألوان الأربعة الدالة على الجهات الأصلية الأربعة. فبناء منزل يأخذ في الاعتبار تمثل مجتمع (سيو) Sioux للكون.¹ هذا التشبيه بالنسبة له يأتي من القداسة التي يحملها المسكن لدى مختلف الشعوب، وجراء ذلك فهو يحلل الأساليب والنظريات التي شبهت المنزل بالكون. يقول فيما يلي: "إن السكن هو دائما مقدس من جراء أنه يؤلف صورة العالم، وأن العالم هو خلق إلهي. لكن هناك أساليب شتى لتشبيهه بال (كون)، وذلك بوجه الدقة لوجود نظريات شتى من نظريات تكون العالم. يكفي أن نميز، وسيلتين نتيجان تحويل، المسكن تحويلا شعائريا (سواء في ذلك الأرض أو البيت) تحويله إلى (كون)، حتى تضيف عليه قيمة صورة العالم:"

أ. بتشبيهه بال (كون) من حيث إضفاء الأفاق الأربعة انطلاقا من نقطة مركزية، عندما يكون الموضوع موضوع قرية، أو بإقامة محور العالم إقامة رمزية عندما يتناول الأمر المسكن العائلي.
ب. بتكرار عمل الآلهة النموذجي بواسطة شعائر البناء، هذا العمل الذي ولد به (العالم) من جسد أولي²

ومن منظور أنثروبولوجيا الرمز والمخيال أخذ المنزل صفة "الحميمية". فحسب جيلبير دوران Durand Gilbert فإن "المسكن يعبر على إرتباط وثيق بالمدفن الأمومي، سواء تحول المدفن إلى مغارة أو بُني على شكل مسكن.³ فهو يحاكي المدفن الأمومي أو المغارة في خاصية الاحتواء والحميمية، إنه منطقة وسطى بين الكون الكبير المجرد والجسم البشري الحسي. إن المنزل يحاكي

¹ مرسيا الياد، مرجع سابق ص 84

² المرجع نفسه، ص ص، 89-90

³ جيلبير دوران، الأنثروبولوجيا: رموزها، أساطيرها، أنساقها، ترجمة مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات

جسد الإنسان بتقسيمه المجالي: فالغرف تمثل الأعضاء، والنوافذ تمثل العيون، والسلالم والأروقة تمثل الشرايين والعروق... إلخ، وهذا حسب بودين Ch. Baudouin وريكله Rilke وجيلبير دوران Durand Gilbert، هذا الأخير الذي اعتبر أن تنسيق الغرف وأجزاء المسكن، من خلال مكان النوم، ومكان تحضير الطعام، ومكان الأكل ومكان الاستراحة والاستقبال والمؤونة، والقبو والعلية- فكل تلك العناصر العضوية تستدعي مثيلاتها التشريحية أكثر مما قد تثير تخيلات معمارية،¹ فالبيت في نظر التخيلات ليس جداراً، أو واجهة أو قبة، ولا هو مبنى بل هو مسكن، ولا يظهر إلا في الهندسة المعمارية مجموعة جدران أو زخرفة أو برج بابل.²

يعد استخدام الاستعارة (métaphore) في التحليل الرمزي للمنزل من أكثر الأساليب المعمارية اكتمالاً ونجاحاً، قوتها الرئيسية هي الجمع بين خيال الساكن الذي يفكر ويخلق الاستعارة (métaphore)، وخيال الباحث الذي يحللها. ومع ذلك فإن بعض أتباع الاستعارة (métaphore)، أبعادوا المنزل تدريجياً عن بُعد المادي في دراسته بشكل أساسي كعلامة.³ بالنسبة إلى (Clifford Geertz) على سبيل المثال، لم يعد الأفراد عبيداً لبيئتهم المبنية، بل أصبحوا كذلك للمعاني الثقافية التي صنعوها بأنفسهم. ويؤكد أن المسكن البشري لا يمكن فهمه وقراءته، إلا ضمن النموذج الثقافي الذي يعمل فيه الإنسان ويوجد فيه.⁴ يأتي ذلك من خلال الطرح الذي يتبناه حول مفهوم الثقافة، وهو بالأساس مفهوم سيميائي إذ يعتبر أن الإنسان حيوان عالق في شبكات رمزية نسجها بنفسه حول نفسه⁵، وبالتالي فهو ينظر للثقافة على أنها تلك الشبكات، وأن تحليلها يجب أن يكون علماً

¹ المرجع نفسه، ص 221

² المرجع نفسه، ص 223

³ Melchisedek Chétima op.cit.p475

⁴ Ibid

⁵ كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، 2009، ص 84

تأويلها يبحث عن معنى. في هذا السياق، فإن سلبية الموضوع فيما يتعلق بالطبيعة التي شكك بها (Amos Rapoport)، تفسح المجال لسلبية أخرى، هذه المرة ناتجة عن علاقة الخضوع للشبكة الثقافية، لذلك فإن الأنثروبولوجيا الرمزية لدى (Clifford Geertz) تعيد التمسك بالفصل بين الطبيعة والثقافة، الذي ساد حتى العمل الثوري لـ (Amos Rapoport)، وهذا يؤدي إلى تهميش أو حتى غياب البعد المادي للمنزل بقدر ما هو موجود في النهاية كرمز فقط. ستمثل المناهج البنوية الخطوة الأولى نحو التوفيق بين البعد المادي و اللامادي¹.

-المقاربة البنوية: من الرمزية إلى إعادة الإنتاج الاجتماعي

تنظر البنوية إلى المسكن والمجال من منظور البنية والبعد النسقي الرمزي، كل هذه الجوانب تتجسد في كيفية التوطن بالمجال الجغرافي، المجال الاجتماعي، وفي الشكل الذي يأخذه المسكن والتنظيم الداخلي². هذا ما يظهر بالنسبة لكل من كلود ليفي شتراوس Lévi-Straus، وبيار بورديو Pierre Bourdieu، كما شهد أيضاً بداية تحول في التركيز نحو تفريغ دور المنازل في العمليات الاجتماعية الأساسية. عندما قدم كلود ليفي شتراوس Lévi-Strauss مفهوم "المنزل" في دراسات القرابة، كان الأمر قبل كل شيء يتعلق بالرد على مشكلة تطرحها نظرية مجموعات النسب. كان المقصود من المفهوم، هو استيعاب المجموعات الاجتماعية التي بينما تقدم نفسها مورفولوجيا كعشائر أو سلاسل، تنقلت من الشبكة التصنيفية المعتادة، وطريقة تجميعها ليست أحادية ولا ثنائية الخط، ولا غير متميزة تماماً، ولا حتى مقيدة. فالنسب الأحادي أو حتى القرابة الجينالوجية هي هكذا³. بحسب نظره، السكان منظمون ليس فقط حول المنزل كتملكات مادية

¹Melchisedek Chétima Op.Cit.P475

²عثمان فكار، مرجع سابق، ص 33

³ Hamberger, Klaus. **La Maison En Perspective. Un Modèle Spatial De L'alliance.** L'homme. Revue Française D'anthropologie, 2010, 194:P 7

تحويلهم، ولكن أكثر حول الألقاب والممتلكات والميراث. كان ليفي شتراوس Lévi-Strauss يعترف
تعميم نموذج "البيت" الأرستقراطي لجعله مفهوم جديد لمجموعة النسب، إلى أن بصم على علامة
لنوع جديد من التنظيم الاجتماعي، وهو "مجتمع البيت".¹ فقد عرف "المجتمعات المنزلية"، على
أنها المجتمعات التي يتم فيها تنظيم سلطة النخبة من خلال مؤسسة "المنازل" الأرستقراطية في
كثير من الأحيان، والتي جمعت معا النسب العائلي والأرض، والسلطة والثروة في مثل هذه
المجتمعات، بما في ذلك مجتمع Yurok و Kwakiutl، وكذلك المجتمعات الأوروبية في العصور
الوسطى.² أكد ليفي شتراوس Lévi-Strauss بأن البيوت الأرستقراطية لعبت دورًا حاسمًا في الحفاظ
على المجتمع، من خلال تضمين أشكال القوة التي قد تكون في حالة توتر. فعلى سبيل المثال،
حوّلت الزيجات داخل البيوت الأرستقراطية الحلفاء إلى أقارب، مما أدى إلى التوفيق بين التوتر
الذي قد يكون موجودًا بين الحفاظ على مجموعات ومصالح عائلية متميزة، والرغبة في بناء
تحالفات متقاطعة.

استمر هذا النهج في النظر إلى المنازل أنها "حاويات"، وعلى عكس الأعمال السابقة، تم الآن
إبراز فعل الاحتواء نفسه. باعتباره يلعب دورًا حاسمًا في استدامة العمليات الاجتماعية التي
تشمله.³ وقد عزز هذا من إمكانية اعتبار "مجتمع البيت" لليفى شتراوس Lévi-Strauss، كنقطة
انطلاق في دراسة التفاوتات الناشئة في عدم المساواة وتفاوتات القوة في المجتمعات البشرية.⁴

في هذه الأثناء، أظهرت أعمال بيار بورديو Pierre Bourdieu بمنطقة القبائل، كيف أن فروق
المقابلات بين الضوء / الظلام، العام / الخاص، والذكر / الأنثى، تعد محور أساسي لفهم الكيفية

¹ Ibid

² Samanani, F. & J. Lenhard. Op.Cit. P 2

³ Ibid

⁴ Mora, Santiago. Community's House And Symbolic Dwelling: A Perspective On Power. Humans, 2022, Vol. 2, No 1, P. 3

التي ينظر بها سكان القبائل إلى العالم، فهذه المقابلات لم تؤد إلى تشكيل السلوك العام والمعتقد الديني فحسب، بل ظهرت أيضاً في التخطيط والمفروشات والمعاش اليومي، الذي كان يتألف منه المنزل القبائلي¹. فالتنظيم المادي للمنزل حسب بورديو Bourdieu، كان أيضاً مسؤولاً عن إعادة إنتاج تلك النظرة. هذه الحجة سوف تجد تعبيراً كاملاً في نظريته اللاحقة عن الهابيتوس الذي وصفه بأنه "نظام من الميول غرسه الظروف المادية للحياة وتنشئة الأسرة". فمن الواضح في نظريته، أن المنازل مواقع مهمة لتعلم العادات المتجسدة، واستيعاب قيم اجتماعية معينة وجد Bourdieu رمزية كونية أخرى لا تقل أهمية في مساكن القبائل قد أشار إليها إدوارد ويسترمارك سابقاً، تتعلق بتلك المعتقدات الخاصة بعتبة المنزل "المسكونة"، حيث وصف ويسترمارك بالتفصيل كيف شكلت الأرواح المسماة "سادة المنزل" العمل الاجتماعي. كما أشار أيضاً في وصف المعتقدات التي واجهته، أن سكان القبائل يعتقدون أن "أرواح المنزل" كانت قوية للغاية - حسب نظرهم"، إذا كان أصحاب المنزل طيبون فسوف يزدهر السكان، وإن كانوا عكس ذلك فسوف يعانون من مصائب، أو يموتون قريباً".²

على الرغم من أن أعمال بورديو Bourdieu الأخيرة لا تتعامل مع المنزل على نفس المستوى من التفاصيل التجريبية، أو المفاهيمية، فمن الواضح في نظريته، أن المنازل تعد مواقع مهمة لتعلم العادات المتجسدة واستيعاب قيم معينة، فقد أصبح الشكل المادي والمنظم للمنزل، هو الأرضية الأساسية للتكاثر الاجتماعي.³

اجتمعا هذان المنهجين في موجة من الدراسات التي تلت تلك المرحلة، حيث تم الكشف على أن المنازل عبارة عن مساحات ليست لإعادة إنتاج العلاقات فحسب، بل تم التوسط فيها بشكل فعال،

¹ Samanani, F. & J. Lenhard. Op.Cit. P P 2,3

² Jeffrey Vadala. Op.Cit. P 5

³ Samanani, F. & J. Lenhard. Op.Cit. P,3

وقد تم توضيح هذا الفهم للمنزل بطرق مختلفة. على سبيل المثال، في دراستها للحياة المنزلية الملاوية، وضعت Carsten كارستن، الموقد في قلب المنزل: فهو المكان الذي تلتقي فيه الأسرة حيث يتم إعداد الطعام، وحيث يتم تكوين القرابة من خلال تحويل المواد وتقاسمها، كما أكدت أن الأرض تعتبر مصدرا واضحا للقوت المادي، لكنها غالبًا ما تكون أيضًا محورًا رمزيًا للمنزل محملة بصور الوحدة المتكافئة للأقارب المقربين. فالبيوت ملاجئ مادية وكذلك مراكز طقوسية، فمن خلال تقاسم الطعام، يتم تكوين القرابة وإعادة إنتاجها.¹ وبالتالي فمن الصعب فصل البعد المادي والرمزي للمنزل.

ثالثا: البعد الأنثروبولوجي للمسكن الجزائري:

يتحدد البعد الأنثروبولوجي لأي مجتمع من خلال الجوانب الثقافية التي يتميز بها، وقد بين الأنثروبولوجيون كما رأينا فيما سبق العلاقة الوطيدة بين العناصر الثقافية والاجتماعية، وبناء وتخطيط المسكن في مختلف المجتمعات التي تعرضوا لها بالدراسة. ولو أن للثقافة تعريفات ومفاهيم متعددة، إلا أن المعنى الكلاسيكي للثقافة تمثل من خلال العالم الأنثروبولوجي E.B Tylor سنين عديدة مضت وهو يرى أن الثقافة ما هي إلا كل معقد متشابك متداخل يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق والقوانين والعادات وكل ما يملكه الإنسان مما يؤهله ليكون عضوا في المجتمع.² يجعلنا هذا التعريف ننتهي إلى خاصية مهمة تتميز بها الثقافة تسمح لنا بالكشف عن العلاقات الفكرية والمادية، وهي أن الثقافة علنية صريحة وخفية مقنعة، فهي علنية صريحة فيما نراه في الإنتاج الإنساني كالمساكن والملابس وطريقة التحدث مما نستطيع إدراكه إدراكا مباشرا،

¹ Ibid

² - نبيل الحسيني، منابع الرؤية في الفن، المركز الثقافي الغربي للعلوم، ط1، 1982، ص 52

وخفية في تلك المظاهر والجوانب كموقفها اتجاه الطبيعة وعالم الروح وهو ما يجب استنتاجه مما يقوله أفراد المجتمع ويعملوه.¹

وموضوع الثقافة في المجتمع الجزائري ومميزاتها يمكن النظر إليها من جانبين يحملان بعدان أساسيان تمكننا من فهم خصوصيته الأول متعلق بالتقليد والآخر بالحدثاء:

الأول: وهي جملة الصفات أو السمات التي يتميز بها الفرد الجزائري وتشكل أسلوب حياتهم الخاصة و التي تشكل لهم نظرة خاصة لذواتهم و للآخرين. وتشمل كذلك كل ما يعتقدون فيه ويؤمنون به، كما تشمل كذلك جملة العادات و التقاليد و الأعراف و العقيدة و الفنون(...)، هذا الأخير يمتلك إرثا ثقافيا يعرف بالثقافة التقليدية، والتي تحمل تلك القيم المتعارف عليها و التي تم الحصول عليها من تراث المجتمع. كما تهدف إلى إعادة بناء وإحياء ما هو موجود سابقا، و محاولة الاحتفاظ والتمسك بها.²

الثاني: أن المجتمع الجزائري عرف تواجد ثقافة غربية حديثة والتي جاءت عن طريق الاستعمار. و تختلف كلية في طبيعتها، الأمر الذي أحدث نوعا من الصراع القيمي و الصراع الاديولوجي بين النخب، هذا الواقع أفرز وضعاً ثقافياً تميز بالتعايش بين هذين النمطين من خلال تبادلي وتجنب الصراع القائم بينهما كل ذلك خلق خصوصية ثقافية ميزت المجتمع الجزائري.³ من خلال هذا الطرح يكمن النفاذ إلى الموضوع المتعلق بممارسات الفرد الجزائري في بناء وتخطيط مسكنه، والتي

¹ - المرجع نفسه، ص 59

² - زازوي موفق، البعد الأنثروبولوجي في تخطيط وبناء المسكن في المجتمع الجزائري، مجلة الفكر المتوسطي،

عدد خاص، ص 30-43

³ - المرجع نفسه

تحمل تصورات ومعتقدات يمكن ملاحظتها أو استنتاجها من تلك العلاقة، والتي رأينا أنها تؤثر في تشكيل الجانب المادي للمسكن و من بينها:

-الدلالات الشفوية:

كما هو ملاحظ في الخطابات اليومية للفرد الجزائري وعند الإشارة إلى مسكنه، نجد العديد من العبارات التي تخرجه عن نطاقه المادي، فالدار في الكثير من الأحيان تطلق على الأفراد من النساء كالزوجة أو الأم أو الأخت كخطاب ثقافي شعبي بين الأفراد، وهو ما قد عبر عنه محمد سعيدي في مقاله حول الدار والمرأة في الثقافة الشفوية الشعبية. حيث يرى أن الثقافة الشفوية قد فجرت هذه الحدود المفاهيمية (الدار - المرأة) لتكسب العنصرين دلالات إجتماعية وثقافية تحكمت فيها صورة المرأة ومكانتها ضمن منظور خاضع لطابع فكري وعقائدي وأيديولوجي محلي¹

كما أشار في قالب سوسيو لغوي محلي إلى أهم المفردات التعبيرية التي توحد بين الدار والمرأة مثلا: الدار غاييبين -الدار مرضى -الدار غاضبين -الدار مسافرين² ويضيف أن "الدار" لم تعد مقصودة لذاتها كفضاء جغرافي هندسي جامد، فلقد حركتها المخيلة الشعبية وأخرجتها من طابعها الأصلي محررة إياها من تلك الوظيفة الاجتماعية التي تأسست من أجلها أصلا، لتبعث فيها الروح وتدخلها ضمن إطار جديد قريب الصلة من الإطار الإنساني فأضحت "الدار" في المخيلة الشفوية

¹ - محمد سعيدي، الدار - المرأة: رمزية الفضاء بين المقدس و الدنيوي في الثقافة الشفوية، مجلة إنسانيات،

العدد2، سنة 1997، ص 7

² - المرجع نفسه

تغيب، تمرض، تغضب، وتسافر¹ وهناك مفردات تعبيرية أخرى خاصة بتحقيق وجود الفرد وكيانه، تؤول كلها إلى إقران الوجود بالدار أو المسكن الخاص، بل إن الوجود كله ربما اختزل في تملك هذا الفضاء، والمثل الشعبي الجزائري يقول: لا "دار لا دوار" وهو تعبر دقيق عن الاغتراب النفسي والاجتماعي بامتياز، فمن لم تكن له دار تأويه ولا دوار، أي أهل وجماعة تحتضنه فهو في الواقع فاقد لمقومات الوجود². مثال شعبي آخر يتعلق بتلبية الحاجات الضرورية، فعند إدخال تعديلات على أحد أجزائه يقال "البنائي بيني ومول الدار يعرف وين يحل باب داره"³، كذلك بدلا من أن يقول أحدهم أبني منزلا أو دار يقول "أبني العش". والعش هو أحد التسميات المرادفة للمسكن في اللغة الفرنسية رغم أن لكل اسم أو لفظ شحنته الدلالية والعاطفية⁴.

-المعتقدات:

يمكن النظر إلى هذا العنصر من جانبين أحدهما يتعلق بالدين ودوره في تنظيم الفضاء السكني وتخطيطه والآخر بالجانب الخرافي والطقوسي لبعض الممارسات. فالجانب الديني هو المستمد من الثقافة الإسلامية والتعاليم المرتبطة بها في مجال طريقة البناء حيث تنص على احترام الجار وعدم البذخ والتعالي في البناء، والمحافظة على خصوصية الأسر، تظهر بالخصوص في المسكن التقليدي من حيث انفتاحه للداخل وقلة النوافذ الخارجية، مع انعدام تقابل الباب الخارجي مع باب الجار حفاظا على العلاقات الجيدة. وكان كل مسكن انذاك هو مسكن المجموعة (القراي)، وليس مسكن الفرد أو الأسرة المحددة الأعضاء، فغابت خصوصية غرف النوم على حساب غرف

¹ - المرجع نفسه، ص 8

² - عبد الله بن معمر، الفضاء السكني والثقافة: نحو أنثروبولوجيا للمنزل، مرجع سابق، ص 21

³ - المرجع نفسه، ص 22

⁴ - المرجع نفسه، ص 23

الاستقبال والجلوس والضيافة، كما غاب المطبخ والحمام لأنه كان حاجة جماعية ومكان لقاء اجتماعي يتجمع فيه الناس ويتلاقون¹. وتظهر المعتقدات الخرافية في بعض الممارسات كالدبح أو إسالة الدم في بداية البناء، أو دفن أشياء في عتبة المنزل، لتعم السعادة والهناء على أصحابه، فهذا الجزء من المنزل (العتبة) يتم تخصيصه دون غيره من الأجزاء و الوحدات المعمارية بطقوس عدّة تختلف العناصر المستخدمة فيها، إلا أنها تتجانس في تمثّل ضرب من العلاقة الحتميّة القدرية بين ما يعتقد أنّه "طبيعة العتبة" و مستقبل المسكن وساكنيه،² فالمجال المنزلي حسب المعتقد السائد تشغله الأرواح الطيبة والأرواح الخبيثة مثلما يشغله الإنسان : لا شك لديه أيضا في أنها، مثل الإنسان، تعرف السرور و الغضب و تمتلك قوتها الخاصة، و وسائلها الخاصة للعقاب، كلما أزعجها تصرف بشري و أقلق هدوءها. لهذا فإن الجماعة لا تبادر إلى أي بناء إلا بعد تأكدها من رضى الأرواح التي تسكن المكان. و هذا الأمر تقرره "جماعة القدامي" أو "كبار الجماعة" الذين لا يملكون سلطة القرار وحدها. بل يمتلكون المعرفة بالمجال : وللجماعة وحدها الحق في تحديد ما إذا كان المكان أرضا وقفا أو مقبرة قديمة أو "مقام" ولي صالح.³

- إشكالية التقليدي والحداثي:

¹ - رجاء مكي طيارة، مقاربة نفس-اجتماعية للفضاء السكني، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،

بيروت، ط1، 1995، ص 99

² - عماد صاولة، سيرورة الرمز من العتبة إلى وسط الدار: قراءة أنثروبولوجية في السكن التقليدي التونسي،

مجلة إنسانيات، العدد 28، سنة 2005، ص 05 - 22

³ - محمد حمداوي، المجال السكني العائلي في الوسط القروي التقليدي: الدار والقرية لدى "بني سنوس"، مجلة

إنسانيات، العدد 7، سنة 1999، ص 25 - 35

إن هذه الإشكالية تعبر عنها مجموعة من السلوكيات، المستمدة من ثقافتين مختلفتين تماماً الأولى تقليدية والأخرى تعتبر دخيلة على المجتمع تتعكس في ممارسات الأفراد التي يسلكونها في حياتهم اليومية والتناقضات القيمة التي يعيشونها. ففي مجال السكن والبناء يحمل النمط الجديد على تغيير المجال ويظهر نظاماً جديداً ويترك المجال لسلطة مدينية جديدة. إلا أن النضوج في فكرة المدينة في الريف تجاوز محدداته، وخلق إطاراً ومواصفات تحدده، وخلقت فئة من الشعب غير محددة ومعروفة لا تؤمن بتواجد صورة ريف هناك¹. من جهة أخرى أصبحت المادة هي ماهية الشيء ونهايته وهدفه طغت مفاهيمها على الثقافة الحديثة التي أصبحت ثقافة الاستهلاك تغطي عليها، تسودها المفاهيم المادية وتحتكم لقوانينها، وتتداولها المجتمعات عبر قوانين الاستهلاك الإعلامي². وما دام المسكن يلعب دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية فربطه بمجمل التحولات في مناحي القيم المجتمعية والإنسانية، لا يقل أهمية في تفسير التحول الذي يطرأ عليه. إذ تساهم تلك التحولات في بلورة أنماط ثقافية جديدة تخضعه للتوافق والتكيف مع الأوضاع الجديدة. ولا تختفي القيم التقليدية داخل المنزل نهائياً بل تتخذ أوجه أخرى، قد عبر عنها عدي الهواري في تطرقه للمجال المنزلي في المجتمع الجزائري، فبرأيه رغم التحولات السوسولوجية بعد الاستقلال فلا زالت الثقافة البتراركية حاضرة برمزية أكبر من أي وقت مضى في مرجعيتها، للأنساب، الشرف (النيف) والحرمة في تقديسها للمجال المنزلي الذي تصوره كنموذج للمؤانسة، لكنها في الوقت ذاته لم تعد هذه الثقافة

¹ - رجاء مكي طيارة، مرجع سابق ص 114

² - إبراهيم بن يوسف، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، منشورات ألفا، قصر المعارض، الصنوبر البحري،

البتراكية المستعملة على صورتها الأصلية ولا غاية في حد ذاتها¹. ويرجع هذا التحول إلى تغير في مكانة وأدوار الأفراد وتمثلاتهم، وأكثرها كما يقول هو تربع عرش الأم على عرش العائلة، على حساب الأب في التسيير اليومي واتخاذ القرارات الهامة: الزواج، الطلاق، الحج، شراء التأثيث وما إلى ذلك،² وهو ما يفسر التناقض الحاصل بين ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، بين الرغبة في الاستقلالية التي يملئها الواقع والتمسك بالتقاليد التي تسعى للعيش المشترك.

¹ - الهواري عدي، تحولات المجتمع الجزائري العائلة والرابط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة، ترجمة ميلود

طواهري، منشورات la Découverte باريس، 1999، ص 10

² - المرجع نفسه

خلاصة الفصل:

أظهرت المقاربات السالفة الذكر أهمية الفضاء المنزلي في الدراسات الأنثروبولوجية، و كذلك طرق البحث المختلفة التي سلكها الباحثون، للكشف عن العوامل المؤثرة في إنشاء المسكن و طرق استغلاله، وقد لاحظنا مدى التباين الحاصل بين الدارسين للموضوع الذين اجتذبتهم تلك العلاقة القائمة بين الثقافة المادية واللامائية، حيث راح كل واحد يغلب الواحدة على الأخرى. وقد شكل هذا الاختلاف في نظرنا تراكم معرفي، تطورت من خلاله المعرفة الأنثروبولوجية من جهة، إضافة إلى الكشف عن مدى التعقيد الذي يتميز به الموضوع، باعتباره ظاهرة إنسانية مركبة، لا يمكن فصل أجزائها عند الدراسة، فالعلاقة بين شكل المنزل والقيم الاجتماعية والانسانية تكملان بعضها البعض، ويبقى الاختلاف في طبيعة المجتمعات وما تمر به من أحداث اجتماعية و ثقافية، تشكل طابعها العمراني وتؤثر عليه. وقد بينا في هذا السياق مميزات المسكن الجزائري وتصورات الفرد الجزائري الخاصة به، من خلال الدلالات والتمثلات والمعتقدات التي تظهر من خلال ممارسته اليومية.

الفصل الثالث

المسكن في حياة المجتمعات

تمهيد:

لا يتأسس أي مجتمع إلا في إطار مجالي وجغرافي معين، ويلعب المأوى مهما كان نوعه الدور الرئيسي في بلورة نمط العيش وتطور حياة الجماعات في البيئات المختلفة، ويرجع ذلك على حسب متطلبات الشعوب واحتياجاتها، ووفقا للإمكانيات المتوفرة في البيئات الطبيعية الخاصة بها. من هذا المنطلق شهد مأوى الإنسان عبر التاريخ تطورات وأشكال مختلفة. سنعالج في هذا الفصل العلاقات القائمة بين المسكن والإنسان، في بعده التاريخي والحضاري، مع تحديد أنماطه المتعددة، وإبراز دوره في الحياة الاجتماعية والثقافية، وسنخصص الجزء الأخير من هذا الفصل للمسكن العربي باعتباره ظاهرة عمرانية فريدة من نوعها، تميزت به الحضارة الإسلامية عن ثقافات أخرى، وما يحمله من قيم مجتمعية انعكست على مجال تخطيطه وهيكلته.

أولاً: تطور المسكن البشري وأشكاله:

-لمحة تاريخية عن تطور المسكن:

مرت أشكال المساكن بمراحل متعددة عبر تاريخ البشرية. وقد تغيرت أنماط المسكن وأشكاله واستخداماته عبر التاريخ الإنساني، وتطورت مع تطور مفاهيم الإنسان وثقافته وبيئته وعلومه وابتكاراته المتجددة، وعند النظر للمسكن كوحدة مكونة للتجمعات البشرية التي نتجت عنها المدن بالصورة التي نعرفها اليوم نجد أنواعاً مختلفة من المساكن.¹ أما فيما يخص أنواع المساكن التي عرفها الإنسان منذ القدم، فنجد أن من الصعب ترتيبها تصاعدياً لكثرة التداخل والفروق الحضارية واختلاف البيئة الجغرافية، ولكن هناك اتفاقاً عاماً على أن الإنسان قد استخدم في البداية أكثر أشكال البيئة المحيطة به اقتراباً من تحقيق أغراضه السكنية. هذه الأشكال تأخذ صوراً متعددة من الحوائط الصخرية إلى التجاويف الصخرية الواسعة شبه المسقوفة بواسطة بروز صخري علوي، إلى الكهوف الضحلة والمتعمقة،² ففي الحقبة الأولى من أزمنة ما قبل التاريخ لم يعرف الناس الحياة في المساكن. فقد عاشوا في العراء والكهوف، وعندما اكتشفوا الأدوات تمكنوا من بناء أكواخ من طين وسقفوها بالقش، ومن فروع الأشجار، واستخدموا المساكن الجرفية التي بنيت على واجهات الصخور والكهوف،³ ثم انتقل الإنسان بعد ذلك إلى عصر الأكواخ التي قام ببنائها من المواد المتوفرة في محيطه كالأحجار وجذور الأشجار، وقام بتغطيتها بالأغصان وأوراق الأشجار والقش،

¹ - فيروز نصطفى إبراهيم، نشأة المسكن في المدن، كلية الهندسة - جامعة طرابلس - 24 / 04 / 2019،

مسترجع من موقع acadimia.edu

² - محمد رياض، دراسة في النوع والحضارة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، ص 373

³ - الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط 2، سنة 1999، ص 270

وجلود الحيوانات.¹ ومع ظهور البيوت المستقرة المبنية بأنواع الطوب المختلفة عند الزراع، نجد أيضا تطورا يحدث عند أولئك الذين أصبح الرعي المتنقل حرفتهم الاقتصادية الأساسية، فعند هؤلاء يصبح المسكن أيضا متنقلا — أي يُصنع من مادة يمكن نقلها مع تنقلهم — سعيًا وراء العشب والماء. وبذلك ظهرت أنواع الخيام المختلفة من خيام الشعر التي نعرفها عند البدو في الصحراء العربية الأفريقية إلى خيام المغول والتركمان الضخمة المصنوعة من اللباد والمسماة "يورت" Yurt وهي أعظم مسكن متنقل من حيث المساحة والارتفاع والزينة المضافة إليها.² ولم تختلف المساكن في شكلها وارتباطها بنوع النظام الاقتصادي السائد فقط، بل اختلفت أيضا في مادة بنائها من حيث الارتباط بالخامات المتاحة في البيئة الطبيعية وإمكانات الحضارة البشرية؛ ولذلك يمكن أن نقسم المساكن عامة إلى قسمين من حيث تفاعل خامات البناء، والإمكانات التكنولوجية:

القسم الأول: هو المسكن المصنوع من الخامات الطبيعية وهي المساكن المصنوعة من أفرع الشجر والأخشاب والحجارة

القسم الثاني: هو المصنوع من خامات اصطناعية. ويمثل المسكن المصنوع من اللبن والطوب والأسمنت.³

مع تطور الحضارات القديمة تعلم الناس تشكيل المواد الطبيعية واستغلالها وصنع مواد جديدة للبناء، وخلال العصر البرونزي، أي قبل 5000 سنة، شيدت البيوت من الحجارة والطوب المجفف

¹ - سليمان جميل، دراسات في علم النفس الاجتماعي الفضائي الآليات النفسية الاجتماعية للمسكن، دار

هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 21

² - محمد رياض، مرجع سابق ص 374

³ - المرجع نفسه، ص 374

بالشمس في بلاد بابل ومصر.¹ أما من ناحية التصميم الداخلي فقد أشارت الدلائل الأثرية إلى وجود تصميم داخلي للمنشآت القديمة وخاصة السكنية منها وفي فترات مختلفة سومرية، أكديّة، بابلية، آشورية، "فرعونية". ومن خلال الأختام الأسطوانية وألواح الطين والحجر واللقى الأثري، وكل تلك الدلائل تؤكد بأن هناك ترتيباً معيناً تم على أساس تصميم هذه المنشآت²

كما شيد الرومان فيلات واسعة مترفة ذات جدران من الطوب وأسقف من البلاط، وزودت بعض المساكن بنوافذ من زجاج. ومع مر العصور طور الناس في الجزيرة العربية والهند والصين واليابان بناء المدن وخططوا الطرق وشيدوا البيوت من عدة طوابق³. ومع تدهور الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الخامس والسادس الميلادي نسي الناس الطراز الروماني في البناء، ودرجوا في كثير من الدول على تشييد مساكن تشبه مخازن الحبوب أو حظائر الحيوانات ذات دعائم خشبية مقوسة، وشيدوا القليل من المساكن الحجرية، غير أن الأوروبيين استطاعوا بناء حصون كبيرة لحماية أنفسهم خلال القرن الحادي عشر الميلادي. وبحلول العصور الوسطى أصبحت الحياة أكثر أمناً وسلاماً في أوروبا، وتحسنت الأوضاع الاقتصادية وتطورت المدن وشيدت المساكن.⁴

وفي القرن الخامس عشر الميلادي، طور المعماريون الأوروبيون بناء المساكن من النمط التقليدي اليوناني والروماني إلى مساكن ذات درج واسع وواجهات وغرف واسعة. وخلال الأربعمئة

¹ - الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ص 270

² - نيمير قاسم البياتي، ألف باء التصميم الداخلي، دار الكتب والوثائق، بغداد، ط 1، ص 20

³ - الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ص 270

⁴ - المرجع نفسه، ص 371

عام التالية قام المهندسون المعماريون في أوروبا وقارات أخرى بتطويرها وإدخال أنماط حديثة، وانتقلت من أوروبا إلى أمريكا وإفريقيا وآسيا وأستراليا¹.

وقد زادا الطلب على المساكن، خلال القرنين التاسع عشر والعشرون، نظرا لزيادة عدد السكان في كثير من الدول بشكل مطرد، وعكف العلماء والمهندسون على إنتاج مواد حديثة، وأبرزوا أساليب وأنماطا متطورة، وصمموا المساكن العصرية مستخدمين في بنائها الفولاذ، والخرسانة المسلحة، والبلور والبلاستيك².

وطور المصممون خلال الخمسينيات من القرن العشرين نظام الوحدات السكنية وأنتجت المصانع المباني الجاهزة، بحيث يمكن تشييد عمارة في وقت قياسي، وانتشر استعمال هذه الطرق عبر العالم، إلا أن الأنماط التقليدية مازالت تجد رواجاً لدى الذين يسعون إلى شراء المساكن³.

بمجال العمارة ومع تطور الإنسان يرى حلواني محمد أنه بدأ الدمج بين علم الهندسة والفن لخلق الفن المعماري، أين تم تسخير العلوم الهندسية لزيادة قوة واستقرار المنشآت، وكان أكبر حافز على هذا الدمج والتطور هو زيادة تأثير العوامل الدينية والثقافية والاقتصادية على الحياة الاجتماعية مما أدى إلى ظهور منشآت اهتمت بالجمال ومستعينة بعلوم هندسية وأفضل مثال لذلك التطور بفن العمارة كان بأهرامات الجيزة والمعابد الإغريقية واليونانية⁴.

ومع بداية عصر النهضة بدأت مرحلة جديدة من تطور فن العمارة كان السبب ورائها تطور العلوم الهندسية واكتشاف مواد بناء جديدة لها مميزات أفضل، وصاحب ذلك نمو وتطور كبير في الفنون

¹ - المرجع نفسه

² - المرجع نفسه

³ - المرجع نفسه

⁴ - سليمان جميلة، مرجع سابق، ص ص 25 - 26

بشكل عام، وقد أدى ذلك لظهور أول مدارس الفن المعماري. كما صاحب هذا التطور بالفن المعماري تطور آخر بالعلوم الإنسانية، التي بدأ يدرسها المعماريين للتعرف على الفرد واحتياجاته النفسية والاجتماعية، وبدأت العمارة بهذه المرحلة، توظف الفن المعماري بما يخدم ويحقق احتياجات الفرد النفسية والاجتماعية.¹

أما في العصر الحديث الذي أعتبر امتداد لعصر النهضة، فقد أدى تطور العلوم الهندسية وتكنولوجيا البناء، إلى تطور هائل للفن المعماري، حيث سخرت العلوم الهندسية وتكنولوجيا البناء الحديثة لتحقيق وبناء كل ما يمكن أن يتخيله المعماري، كما أصبح هناك اهتمام أكبر بصحة وسلامة الإنسان²

-الأشكال الرئيسية للمسكن:

-الكهوف:

قد رأينا أن أقدم أشكال المسكن المعروفة لدينا هو الكهف، ولو أن ذلك لا يمنع أن تكون هناك أنماط سكنية سابقة من مواد هالكة لم تصل إلينا. ولقد أشار القرآن الكريم إلى لجوء الإنسان للكهوف للاحتباء بها، فيقول سبحانه وتعالى: (وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا)³

وإذا كانت الكهوف نمطا سكنيًا قديما، إلا أن بعض الجماعات ما زالت تستخدم الكهوف كمقر للسكن، وخاصة في إسبانيا، فقد كان هناك اعتقاد سابق — مصدره الاتجاه النفسي في التفسير —

¹ - المرجع نفسه، ص ص 26- 27

² - المرجع نفسه، ص 27

³ - سورة الكهف، الآية 16

يقول إن الكهف بتداخله في بطن الجبل وبمنحه الأمان للناس يشابه كثيرا الأمان الذي يعرفه الناس عن الأجنة في الأرحام.¹

إن الاعتقاد أن الناس التجنؤا إلى الكهوف بدافع نفساني غريزي وبيولوجي، حسب محمد رياض تفسير غير صحيحا، ففي رأيه حين تكون بطون الأمهات المأوى المثالي للأجنة، فإن الكهوف غير ذلك للأسباب التالية:

(أ) أن عدد الكهوف الملائمة للسكن، قليلة وعدد الناس دائما أكثر مما تقدمه الطبيعة من كهوف صالحة. (ب) قد تكون الكهوف الملائمة للسكن بعيدة عن مصادر مياه الشرب، أو مصادر الصيد الغنية.

(ج) إن الكهف غير متحرك والارتباط به يؤدي إلى وقف تحركات الصيادين.

(د) في الكهوف عدد من المشاكل على رأسها مشكلة التخلص من النفايات.

(هـ) وأخيرا فإن معظم الكهوف رطبة تؤدي إلى حدوث التعفن أحيانا، وتصيب السكان بالروماتيزم وغيره من الأمراض.²

وبرغم ذلك فإن الإنسان القديم قد سكن الكهوف كملجأ. وكان يؤوي عددا كبيرا من الأشخاص طبقا لحجمه الذي يكون كبيرا نسبيا في بعض الأحيان، أجرى تحسينات على الكهوف وقام بنحتها في الصخر، وخزن فيها ما كان يجمعه من صيد وثمار، ومارس فيها طقوسه الحياتية.³

وقد ترك لنا ذلك ثروة عظيمة اركيولوجية وأنتروبولوجية وأثنولوجية، بل وفنية أيضا. فدراسة المخلفات العظمية للإنسان وحيوانات الصيد، ومخلفاته الحجرية ونقوشه ورسومه على جدران

¹ - محمد رياض، مرجع سابق، ص 378

² - المرجع نفسه، ص، ص 378 - 379

³ - فيروز نصطفى ابراهيم، مرجع سابق

الكهوف والحوائط الصخرية؛ كلها أعطتنا معلومات قيّمة عن نوع الإنسان وشكل الاقتصاد وتقدمه التكنولوجي في صناعة الأدوات والأسلحة وشكل البيئة الطبيعية وأنواع الحيوان وطرق الصيد¹. والإنسان باضطراره للتجول وراء الصيد، كان يفضل السكن في المناطق المفتوحة؛ ولهذا فإن هناك اتجاهًا قويًا يدعو إلى الاعتقاد بأنه كان يلجأ إلى الأشجار بعد أن يقيم له محلا للنوم بواسطة عدة فروع يمدّها بين الأغصان القوية، ويرتبط هذا الاتجاه بما هو معروف عن الرئيسيات من اختيارها الأشجار محلا للنوم وعدم استخدامها الكهوف. كذلك فإن الكهوف غالبًا مظلمة، وليس من طبع الإنسان حتى الآن أن يلجأ إلى الأماكن المظلمة إلا في حالات خاصة².

- مصدات الرياح:

هذا النوع هو أبسط أشكال المساكن المصنوعة التي نعرفها عند المجتمعات البدائية المعاصرة، وهو عبارة عن إطار من الأغصان يُغطى بلحاء الأشجار وأوراقها، ويوضع في صورة مائلة بالاستناد إلى واجهة حائط صخري، أو في صورة قوس كبير يقام تحت الأشجار ويغطى بالأعشاب، وأحيانًا يُصنع أيضا من الجلد، ويحمي هذا النوع من المساكن — التي يمكن تفكيكها وحملها ونقلها — الناس من الأمطار أو الرياح، وما زال هذا النوع شائعًا بني البشمن في أفريقيا الجنوبية، وعند الأروناتا من قبائل أستراليا وأقزام الملايو³.

3- الأكواخ:

استخدمت معظم الشعوب البدائية أشكالًا متنوعة من الأكواخ. فقد كانت مساكن الاسكيمو التقليدية في القطب الشمالي من كتل ثلجية، وقد شيدت هذه الكتل الثلجية، التي تعرف باسم الأكواخ القبية

¹ - محمد رياض، مرجع سابق، ص 379

² - المرجع نفسه

³ - المرجع نفسه

عازلاً جيداً ضد درجة الحرارة المنخفضة جداً في الخارج¹. وأبسط أشكال الكوخ يتخذ صورة قبة من الأغصان والأوراق والأعشاب مقامة فوق إطار من الخشب أو الغاب، ونوع آخر هو ذلك الكوخ الخشبي المكون من أعمدة خشبية، وينتهي بسقف قمعي الشكل، وقد يُضاف إليه الطين في جزئه الأسفل والأعشاب والأغصان في الجزء الأعلى. وغالبية الأكواخ قمعية الشكل لتجنب تراكم مياه المطر وتأمين انزلاقها خارج الكوخ². وهناك أكواخ تُصنع كلها من الخشب ولحاء الشجر، كتلك الأكواخ الشائعة في جنوب شرق آسيا وبولينيزيا، وهي أيضاً ذات سطوح منحدرية³. وفي بعض المناطق — وخاصةً عند جماعات الصيد والسمكة في النطاق الاستوائي — تُرفع المساكن كلها على أعمدة خشبية تُدق أمان أكثر ضد الحيوان المفترس. ومساكن الميلانيزيين معظمها من هذا النوع، وتختلف خامّة الأكواخ حسب المصدر الرئيسي الموجود في الإقليم، وفي الغالب يُضاف الطين إلى الحوائط إذا لم يكن البيت مصنوعاً من الخشب أو لحاء الشجر، وأحياناً تُقام جدران الأكواخ من الحجارة ويُقام فوقها السطح المنحدر⁴.

4- الخيام:

وهي مرتبطة بالرعاة المتنقلين، وتُصنع من شعر أو جلود الحيوان الرئيسي الذي ترعاه المجموعة، كما أن بعض الصيادين في آسيا الشمالية وأمريكا الشمالية يصنعون الخيام لكثرة تجوالهم وراء

¹ - الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ص 264

² - محمد رياض، مرجع سابق، ص 379

³ - المرجع نفسه

⁴ - المرجع نفسه، ص 380

الصيد،¹ أما الرعاة المعروفون بالبدو فكانوا يعيشون في خيام ضخمة صنعت من أنسجة جدلت من وبر جمالهم وأصواف أغنامهم.²

5- بيوت الحفر:

وهذه المساكن تستغل حفرا طبيعية في الأرض، أو تحفر الأرض إلى العمق المطلوب، وميزتها الأساسية هي أن جدران الحفرة تكون سندا قويا للجدار الذي يبنيه الإنسان من أعمدة الخشب أو الحجارة.³ تؤكد الباحثة الليبية عائشة المليان في دراستها لمنطقة " غريال " وهي ابنة المنطقة أن البيوت حفرت بمواصفات هندسية تضاهي ما شيدته بقية الشعوب على سطح الأرض، حيث خطط سكان المنطقة جيدا لكل ركن، ولكل ما يحتاجه ساكن هذه البيوت، فخططوا للمداخل والمخارج، كما وضعوا الحواجز لمياه الأمطار والعوامل الطبيعية الأخرى، كما خططوا لعملية صرف المياه المستعملة داخل الحوش فقد بنوا بالأتربة المستخرجة من الحوش حاجزا أو حزاما يسمى (الكدوة) مع مجرى المياه لحماية الحوش من السيول، وبنو حفرة داخل السقيفة لاحتواء المياه المجمعة في الداخل.⁴

و خلال العصر الحجري الأوسط بنى في حفر ضحلة في فرنسا (حوالي 14 ألف سنة مضت)، كانت مساكن الحفر هذه تُبنى في حفر ضحلة وتُغطى ببناء قبابي الشكل، وهذا النوع من المساكن ما زال شائعا في النطاق الشمالي من آسيا وأمريكا. ففي الساحل الشمالي الغربي لأمريكا تكون هذه المساكن غاطسة في حفر إلى عمق حوالي 2,5 متر، ثم تُغطى الحفرة بجذوع أخشاب قوية،

¹ -المرجع نفسه

² - الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ص 264

³ - محمد رياض، مرجع سابق، ص 381

⁴ - الحياة في باطن الجبل... بيوت محفورة في الصخور عمرها 500 سنة، تم استرداده من موقع :

وتُغطى بعد ذلك بطبقة من الطين، ويتخذ السقف في مجموعه الشكل القمعي أو السطوح المنحرة، ويُترك وسط السطح مفتوحاً تماماً بحيث يخدم غرضين: التهوية وفتحة الدخان، وباب المسكن¹.

ونجد عند صيادي شمال سيبيريا أيضاً مساكن الحفر، ولكنها نصف غاطسة، وأحياناً تستند إلى حائط صخري من إحدى جهاتها، والمدخل أيضاً من أعلى. ولا شك في أن هذا النمط من المساكن هو استمرار لنوع المساكن في العصر الحجري، وانتقل من آسيا إلى أمريكا. وبينى الإسكيمو أيضاً مساكن حجرية أو من عظام الحوت والحجارة، مع ممر طويل (3 أمتار) منخفض أشبه بالنفق، ويُعلّق عند المدخل ستار من الجلد ليقى الداخل من البرد القارس في الخارج².

6- مساكن الطوب:

يعتبر الطوب واحداً من أقدم مواد البناء وأكثرها رواجاً. ويعيش الطوب طويلاً، كما يمكن الحصول عليه بسهولة تامة كالخشب تماماً. ويتوافر الطوب بألوان وأشكال متعددة³. ومساكن الطوب عكس بيوت الحفر؛ لأنها مشيدة فوق سطح الأرض، وهذا النوع من المساكن شائع، ويمكن أن يرتفع إلى عدة طوابق، ومساكن أمريكا «البويبلو» Pueblo (في جنوب غرب الولايات المتحدة) عبارة عن مساكن جماعية ترتفع إلى خمسة طوابق، وتتألف من شقق مختلفة. والواجهة الخارجية عالية، وليست بها فتحات للمساكن؛ مما يعطيها صورة القلاع، بينما تطل المساكن على ميدان داخلي واسع⁴.

¹ - محمد رياض، مرجع سابق، ص 381

² - المرجع نفسه

³ - الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ص ص 265، 266

⁴ - محمد رياض، مرجع سابق، ص، ص 381، 382

وهذا المجمع الكبير المتلاصق من المساكن يُسمى «بويلو»، ومن ثم أطلق على السكان هذا الاسم ويكون البويلو تجمعاً لحياة مشتركة تعاونية، ولو أن الاتجاه إلى بناء مساكن منعزلة وتفكيك البويلو كان اتجاهاً حديثاً بتأثير الاحتكاك الحضاري مع الأمريكيين¹، والغريب أن أبواب هذه المساكن أيضاً من أعلى مثل بيوت الحفر؛ ولذلك فإن المنظر العام من الميدان الداخلي هو مجموعة من الأبنية المترابطة إلى الخلف كلما ارتفعت.²

7- المساكن المشتركة:

هذا نوع آخر غير البويلو، وهو الذي نسميه البيت الطويل، وبدايات هذا النوع من المساكن قديمة ترجع إلى العصر الحجري القديم الأعلى. وهو موجود حالياً في غابات الأمازون ومعظم أمريكا الجنوبية وغينيا الجديدة، وكثير من جزر المحيط الهادي، وكذلك كان شائعاً عند الإيروكوايز، وقد وصفه لويس مورجان وصفاً دقيقاً³، ومعظم هذه البيوت الطويلة تسيطر عليها التنظيمات الأموية. وفي الوقت الحاضر نجد أشكالاً مختلفة من المساكن في المجتمعات الزراعية الكثيفة ومجتمعات الحضارة العليا عامة. ومعظم هذه المساكن مبنية بالطوب اللبن أو المحروق بالإضافة إلى الأسمنت، ولكن في المناطق الجبلية التي تتوفر فيها الحجارة يُبنى البيت من الحجر⁴، وهناك أيضاً البيت الجماعي وهو عبارة عن بيت يستخدم بواسطة المحاربين في المجتمعات الطوطمية. للإشارة فإن مصطلح البيت يشير إلى ستة أنواع مختلفة من البيوتات: بيت العزاب، بيت جماعي، محل

¹ - المرجع نفسه، ص 382

² - المرجع نفسه،

³ سعاد على حسن شعبان، الأنثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 2003، ص 109

⁴ - محمد رياض، مرجع سابق، ص 382

الرجال. بيت الرقص والأعياد، بيت العبادة، بيت المجلس¹. وتوجد أيضا دراسات ممتعة وخرائط توزيعية لأشكال البيوت الريفية ووظائفها وخطتها في أوروبا، كما تتناول هذه الدراسات ألوان البيوت الخارجية وأشكال المواقف، ويستفيد من مثل هذه الدراسة علم الدراسات الشعبية Volkskunde وهو قريب الشبه بالدراسات الفولكلورية، وتكون نتائج هذه الدراسات خامة طيبة للدراسات الإثنولوجية في المجتمعات المتقدمة المعاصرة².

ثانيا: المسكن والعمليات الاجتماعية الثقافية:

- المسكن والاحتياجات الإنسانية:

منذ أن خلق الله الإنسان وأسكنه الأرض واستعمره بها واستخلفه على عمارتها، قال الله تعالى: (أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه)³، عرف الإنسان حاجته للمأوى الذي يحميه من العوامل الخارجية التي تهدد بقاءه سواء كانت بيئية أو طبيعية، ومنذ أن افتقد الإنسان القدرة على النوم في العراء أصبحت حاجته إلى المأوى من الحاجات الأساسية التي تلبي حاجته إلى الطعام، وأخذ مسكنه أشكالا متعددة على مر التاريخ⁴. بهذا الصدد يقول: إرنست برودين في كتابه Elements of Architectural Design : A Visual Resource محاولا تعريف العمارة من خلال تشخيصه الدافع الغريزي عند الإنسان للبناء بغرض الالتجاء، فقد اعتدنا على التفكير في المبنى كمأوى، ومسكن يعيش فيه الإنسان ومكتب يعمل فيه، ومكان مقدس للعبادة، وميادين أخرى للترفيه، فالإحساس بالالتجاء أمر غريزي، ولذا يظهر لنا أنه من الطبيعي أن نبني لنحقق ذلك

¹ - سعاد على حسن شعبان، مرجع سابق، ص 110

² - محمد رياض، مرجع سابق، ص 382

³ - سورة هود، الآية 61

⁴ - سليمان جميل، مرجع سابق، ص 21

الإحساس، وبذلك غالبية المباني التي تغطي الأرض توفر المأوى، والملجأ، والمنفعة، إنها توفر ما نسميه العمارة¹.

وقد سبق وأن تعرض ابن خلدون لوظيفة المسكن معتبرا إياه صنعة بشرية إذ يقول: "هذه الصناعة أو صنائع العمران الحضري هي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن وذلك أن الإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لا بد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتتفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها (...). وأما البدو فيبعدون عن اتخاذ ذلك لقصور أفكارهم عن إدراك الصنائع البشرية فيبادرون للغيران والكهوف المعدة من غير علاج"² فمن خلال هذا القول يبدو أن المسكن كان في أصوله الأولى الأداة الحضارية التي تغلب بها الإنسان على الظروف المناخية، وهو هنا يعيد إلى الأذهان وظيفة الملابس. ولكن على عكس الملابس نجد أنماطا مختلفة من المساكن تقي الإنسان شر الظروف المناخية المختلفة: البرودة - المطر - الإشعاع الشمسي، ومن ثم تنتشر المساكن بصورها المختلفة في كل الحضارات، وذلك على عكس تحدد انتشار الملابس بمعناها الضيق على المناطق الباردة في الأصل.³ وتعد الاحتياجات الإنسانية للمسكن بمثابة المحدد الرئيسي لتشكيل البيئة المبنية. فالإنسان يعيد تشكيل بيئته الطبيعية لإنتاج بيئة مبنية تلبي رغباته وحاجاته المختلفة. والمهم بالنسبة لتشكيل البيئة المبنية هو الأسلوب المتبع ثقافيا للتعامل مع تلك الحاجات، فالمسألة بالأساس هي

¹ - قبيلة فارس المالكي، تاريخ العمارة عبر العصور، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، 2011، ص

² - عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من

نوي السلطان الأكبر، ج (6) منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، 1971، ص 411 - 412.

³ - محمد رياض، مرجع سابق، ص 369

أين وكيف يمارس الإنسان أنشطته الحياتية¹. وعلى حسب رفعة الجادرجي فالحاجة عند الإنسان تتألف من ثلاث مقولات أساسية: نفعية، رمزية واستيطيقية

- الحاجة النفعية: هي تأمين بقاء البدن وإدامته ونموه وتكاثره، حيث تضمن تأمين المأكل والحماية والراحة البدنية وملجأ المعيش اليومي². فالدار توظف لإرضاء الحاجة النفعية كملجأ لتأمين الحماية من العوامل المناخية، من خطر العدو، إضافة إلى تأمين حيز للخلوة والعزلة وخصوصية المعيش³.

- الحاجة الرمزية: وظيفتها هي إرضاء متطلبات الحس السيكلوجي لعلاقة الذات الواعية بكيانها حيث تحد هذه العلاقات بموقع ومقام الذات بين الأشياء والظواهر الطبيعية وبين العلاقات التراتبية الاجتماعية أي مركب هوية الذات⁴. أي توظيف الدار للتعبير عن هوية الذات الساكنة فيها، وعن هوية الجماعة التي تقترن هويتها بمقام ذلك الساكن⁵ وتؤلف في نظره هاتين الحاجتين: النفعية والرمزية، مما نصطلح عليه بالوظيفة أو الحاجة القاعدية.

- الحاجة الاستيطيقية: وهي إرضاء سيكلوجية الفرد في الاستمتاع بالوجود، فتمنحه قيمة ومعنى وجوديا حسيا مستمتعا، وذلك بعد أن يحصل تأمين البقاء عن طرق تحقيق إرضاء الحاجة القاعدية⁶. إن الأداة المادية لهذا الحس، هي صفة الابتغال القائمة في علاقات التكوين الشكلي

¹ Rapoport, Amos, , **house form and culture** op.cit. p 61

² - رفعة الجادرجي، **في سببية وجدلية العمارة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ط1، 2006،

ص282

³ - المرجع نفسه، ص 283

⁴ - المرجع نفسه

⁵ - المرجع نفسه

⁶ - المرجع نفسه

والتي يحملها بدن المصنع¹. وتتضمن الحاجات الأساسية في البناء، كإيجاد مطبخ، حمام، مكان الطعام والجلوس والوقوف، المرايا، الخزائن، الإضاءة (وكلها ترجع لعادات الشعوب). إن منزل الشخص سيعكس بالضرورة القيم والمشاعر الشعبية ولنقل الجماعية كما سماها young، التي تتأكد وتتركز في الذات البشرية، حتى لو أنه لن يبني منزله بنفسه². ولذلك قسم رابوبورت الاحتياجات الإنسانية الأساسية داخل المسكن إلى:

1- الحاجة إلى التنفس: حيث تؤثر الحاجة إلى التنفس على شكل الفتوحات ومساحتها وتوجهاتها، كما تؤثر على التركيب المكاني للفراغات، بناءً على قبول أو رفض روائح معينة داخل المسكن أو استحباب اتجاه معين للتهوية³

2 - الحاجة إلى الطعام: يؤثر أسلوب وعادات الطعام وأماكن الطهي على تكوين المسكن ففي بعض المجتمعات كان المطبخ مبني مستقلاً كالمطبخ التقليدي لقبايل الماساي بكينيا. وفي مجتمعات أخرى عملية الطبخ كانت تتم في فناء مفتوح كما هو الحال في قبائل الإنكا المنتشرة بأمريكا الجنوبية⁴. وفي بعض المجتمعات يأكل الرجال أولاً، ثم تأكل النساء، والأطفال كما هو منتشر بين الهنود الأمريكيين، وفي مجتمعات أخرى تأكل العائلة كلها مع بعضها كما هو الحال في الصين⁵.

3 - الحاجة إلى الجلوس: تفضل بعض الثقافات الجلوس على الأرض على الحصير أو السجاد، مما يجعل خلع الحذاء قبل الدخول إلى المسكن كما يؤثر ذلك على نوع الأثاث المستعمل. ويمكن

¹ - المرجع نفسه، ص 284

² - رجاء مكي طيارة، مرجع سابق، ص 91

³ Rapoport, Amos, , **House Form And Culture**. Op.Cit. P 61

⁴ Ibid

⁵ Ibid. P62

استعمال الكرسي للجلوس إلغاء الحاجة إلى خلع الحذاء والحاجة إلى أغطية وأفرشة خاصة بالأرضيات مما يؤثر على نوعية الأثاث ومستوى الجلوس وهذا الأخير بدوره يؤثر على منسوب جلسة الشباك. فعند استعمال نوافذ ذات منسوب أعلى من تلك المستعملة عند الجلوس على الأرض، وبالنسبة للنوم فإن الأثاث والترتيب، والمكان المستخدم للنوم هو ما يؤثر على شكل المسكن¹.

وقد لخص عبد الحميد ديلمي البحوث الاجتماعية من خلال دراستها لسلوكيات العائلة داخل المسكن حيث يرى في مجملها أنها حددت الحاجات الإنسانية للمسكن فيما يلي:

1- الحاجة إلى المجال وامتلاكه 2- حاجات المجموعات والأفراد إلى الشعور بالاستقلالية داخل المسكن 3- الحاجة إلى الراحة 4- الحاجة إلى الرفاهية والحرية وإزالة العوائق المادية 5- الحاجة إلى الحياة الخاصة 6- الحاجة إلى مساكن وظائف واضحة 7- الحاجة إلى الألفة بين مجموع أعضاء العائلة،

8- الحاجة إلى العلاقات الاجتماعية خارج المسكن،² فهي لا تقتصر على الداخل فقط بل تمتد إلى خارجه، بما توفره البيئة العمرانية من خدمات تلبي رغبات لخدمة الساكنة، كالمحلات، و النقل، وغيرها وبذلك تعتبر امتداد للفضاء السكني، تؤثر وتتأثر به و كليهما نتاج للآخر.

- المسكن ومسألة الخصوصية:

تختلف هذه المسألة من مجتمع لآخر، ويعود ذلك حسب ثقافته ودرجة تطوره، وطبيعة حياته الاجتماعية، فهناك مجتمعات لا تعطي أي أولوية تجاه الخصوصية، في حين تصبح الخصوصية عند مجتمعات أخرى ذات أولوية كبيرة. إذ تعتبر هذه الأخيرة من الوظائف الأساسية التي يجب أن

¹ Ibid. P63

² عبد الحميد ديلمي، مرجع سابق، ص 7

يوفرها المسكن، لكونها مطلبا هاما في تحقيق استقرار الفرد.¹ وتدور فكرة الخصوصية في جوهرها حول الاحتياجات البيولوجية بين الجنسين. فبالرغم من أن بعض الحضارات — ومنها حضارتنا المعاصرة — تستهجن فكرة العري أو تخصص أنواعا من الملابس لداخل المسكن وأخرى لخارجه، وتستهجن أيضا فكرة استخدام ملابس البيت للظهور خارج المسكن، إلا أن ذلك ليس اعتيادا قديما، وإنما هو اعتياد جديد مرتبط ببعض القيم الخلقية والسلوكية، كما أنه ليس اعتيادا شائعا بين كل الحضارات (...). وجوهر الفكرة: لا يوجد ارتباط بين العري والعلاقة البيولوجية بين الجنسين؛ ولهذا فإن فكرة «الخصوصية» قديما قد نشأت لتغطية هذا النوع من الاحتياج البيولوجي فقط، وفيما عداه لم تكن هناك حاجة إلى الخصوصية بين أفراد المجتمع من الجنسين ومن الأجيال المختلفة.² ولكن مع تقدم الحضارات أمكن قراءة مسألة الخصوصية من خلال استعمال المكان واستغلاله فتظهر التقسيمات المجالية للمأوى بشكل عام كتعبير عن تفرد الأفراد بخصوصيتهم إذ تتدرج في مجال واحد بين النوع والجنس وأهمية المظاهر التي يركز عليها أي مجتمع حسب نوعية علاقات أفرادها. فعلى سبيل المثال، عند مجتمع جيفارو Jivaro (أمريند في شرقي جمهورية أكوادور) ينقسم البيت الطويل إلى قسمين: واحد للرجال والآخر للنساء. ومنامة النساء (لكل امرأة جزء خاص مقابل الجدار تنام فيه على الأرض) مغلقة بحوائط من الحصير، أما منامات الرجال فمفتوحة. وعلى هذا النحو فإن فكرة الخصوصية هنا قاصرة فقط على العلاقة البيولوجية بين الجنسين، بينما حياة المجتمع فيما عدا ذلك مفتوحة على بعضها، ويمكن أن نعبر عن ذلك بأن "الخصوصية" تكون جزءا مكانيا صغيرا داخل الحياة التشاركية،³ وقد تضخم هذا الجزء الخاص بحيث أصبح يشمل كل

¹ سليمانى جميلة، مرجع سابق، ص 69

² محمد رياض، مرجع سابق، ص 371

³ المرجع نفسه، ص، ص 371، 372

المسكن ابتداءً من نمو النظام الأبوي ونظام تعدد الزوجات، وأصبح المسكن مملكة خاصة حدودها باب أو بوابة في مجتمعات الحضارة العليا، أو سور من النبات الشوكي أو الطين والبوص في المجتمعات الأبوية البدائية. وقد ورثت الحضارة الغربية هذا النظام الأبوي وهذا النمط من السكن، حتى برغم سقوط جوهره وأساسه: نظام تعدد الزوجات.¹

وتستمد خصوصية المسكن عند تصميمه في الحضارة الإسلامية من مناهج التعاليم القراءانية سواء أكان ذلك من الناحية الداخلية أم الخارجية. حيث جاءت في مواضع متعددة من النص القرآني، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)² (خصوصية من الخارج). و أيضاً في قوله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)³ (خصوصية من الداخل). ويمكن أن تظهر الخصوصية من الخارج في تصميم واجهات المسكن الخارجية عن طريق النوافذ والشرفات، بحث يتم الحرص على أن تفتح ضلف النوافذ الخارجية بنفس أسلوب المشربيات التقليدية (...). أما الشرفات التقليدية فيمكن أن يوضع أمام أبوابها من جهة الشارع الخارجي بعض القواطع البسيطة من الخشب البغدادي مثلاً، وبذلك لا ينكشف من بداخل الغرفة عن طريق الشرفة إذا ما فتحت،⁴ والمداخل في المساكن العائلية

¹ المرجع نفسه، ص 372

² سورة النور: الآية 27

³ سورة النور: الآية: 58

⁴ يحيى وزيري، العمارة والبنية في منظور الإسلام، روافد، الكويت، ط1، سنة 2008، ص 169

الخاصة، فيمكن أن تصمم بنفس أسلوب المدخل المنكسر في المساكن الإسلامية القديمة: أو بأي أسلوب يوفر لهذه المداخل الخصوصية، مع مراعاة أن يكون للمسكن مدخلان أحدهما أمامي للرجال والزوار، والآخر خلفي للنساء وأهل البيت،¹ ومن الداخل تكون بفصل جناح النوم وأهل البيت عن جناح المعيشة والزوار، ويكون ذلك إما بالفصل أفقياً عن طريق وجود مدخل متوسط للوحدة السكنية (...) أو بالفصل بين الجناحين رأسياً كما في التصميم التقليدي للربع الإسلامي، حيث يتم وضع جناح المعيشة والزوار في الدور الأرضي ويوضع جناح النوم في الدور الأول ويربط بينهما درج داخلي.²

وفي أكثر المجتمعات الصناعية تقدماً نجد بعض الاتجاهات الجديدة التي تغزو فكرة الخصوصية، على سبيل المثال بدأ يحدث تغير سريع في نمط الحياة الاجتماعية في الضواحي المدنية في أمريكا، ففي هذه الضواحي يحتل المسكن جزءاً من الطبيعة المحيطة، ويصبح باب السكن مفتوحاً دائماً في وجه كل قادم من الجيران.³ و نجد في النهاية تلك المجتمعات منفتحة على نفسها تماماً في أشكال الحياة الاجتماعية (وفي أحياناً كثيرة تعدت هذه التشاركية الحدود إلى شتى العلاقة بني الجنسين)، ولكن هذا المجتمع المنفتح على بعضه يصبح مغلقاً أمام الغرباء بطبيعة الحال،⁴ والملاحظ هنا فدرجة الخصوصية تعود لطبيعة العلاقات القائمة بين أفراد المجتمع ونمط العيش المتغير من مرحلة لأخرى التي تملئها ثقافة التجمعات الإنسانية. وبصفة عامة، وعلى حد قول محمد رياض فإن فكرة «الخصوصية» في الغالب قد نبعت من تشكيل حضاري متكامل، تفاعلت

¹ المرجع نفسه، ص 171

² المرجع نفسه

³ محمد رياض، مرجع سابق، ص 372

⁴ المرجع نفسه

فيه سلطة الأب والملكية الفردية بما في ذلك «ملكية» النساء في صورة تعدد الزوجات، وأن هذا التشكيل الحضاري قد بدأ يتغير باستقلال المرأة اقتصادياً واجتماعياً في المجتمعات المتقدمة الراهنة، وعودة الجنسين إلى المساواة التي كانت سائدة قبل نمو سلطة الأب¹. فخلال القرنين الأخيرين بإمكاننا رسم الخريطة الجغرافية الأخلاقية المتغيرة في الفصل، أولاً بين جهات النوم والحياة، ثم فصل البالغين عن الأطفال وفصل الأطفال بحسب جنسهم. وتكتب الأحكام حول الأخلاق والجنس في مبنى المنزل من خلال إحداث أفضية خاصة².

-المسكن والنظم الاجتماعية والاقتصادية:

إن إنتاج المكان - كما يقول هنري لوفيفر - Lefebvre. H يتطابق مع الترتيبات الاجتماعية والإنتاجية وأن التغير في الثقافة وفي أنماط الإنتاج يكشف عن تغيرات في إنتاج المكان والعكس صحيح أيضاً، كما أن الانتقال من نمط إنتاج إلى نمط إنتاج آخر يفضي إلى إنتاج مكان جديد يشير إلى طرائق إنتاج البشر لمستلزمات حياتهم³. وقد أشرنا في العديد من المحطات أن الحياة في ظل النمط الاجتماعي السابق لنشأة النظام الأبوي تظهر في صورة تجمعات، أو مجتمعات تعيش مفتوحة على بعضها في حياة اجتماعية مشتركة، وكان الكهف وهو أقدم المساكن التي عرفها الإنسان يساعد بطبيعته وشكله على إعطاء المجتمع الإطار المادي لمثل هذه الحياة. ولا تزال بعض المجتمعات البدائية المعاصرة تعيش في بيوت جماعية يُطلق عليها «البيوت الطويلة»

¹ المرجع نفسه

² مايك كرانغ، ترجمة سعيد منتاق، الجغرافيا الثقافية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2005، تم استرداده من موقع منتدى سور الأريكية

³ محمود الكردي وآخرون، تأثير أنماط العمران على تشكيل بعض عناصر الثقافة الشعبية، مركز البحوث

لطولها المفرط بالنسبة لعرضها.¹ وبشكل عام فإن لكل مجموعة إنسانية أنواعاً خاصةً من المنازل تُبنى من خامّة معينة، ومثال ذلك مساكن الريفيين الزراعيين في سهول الشرق الأوسط التي تُصنّع عادةً من اللبن، أو مساكن أصحاب الحضارة الصناعية التي تُصنّع من الطوب والأسمنت، أو أكواخ الزراع البدائيين في النطاق المداري الأفريقي التي تُصنّع من هيكل خشبي يُغطى بالطين، أو خيام البدو بأشكالها المختلفة وخاماتها المختلفة.² إضافة لذلك هناك العديد من الأنماط المختلفة والتي تصنع من خامات مختلفة كمساكن الاسكيمو، الذين يعيشون في بيئة شديدة الفقر لدرجة كانت تحتم عليهم إيجاد توازن بين مصادر الغذاء وأعدادهم بترك العاجزين عن العمل من كبار السن طعمة للحيوان المفترس.³ وقد جاءت تلك الظواهر العمرانية الخاصة بالمسكن رغم بساطتها، لتعكس طبيعة الحياة الاجتماعية، والاقتصادية التي تفاعلت مع البيئات المختلفة، إذ يتيح لنا هذا المنظور تحديد الشروط الموضوعية التي تحكم الإنتاج الاجتماعي / الثقافي للمكان، وما تتضمنه عملية الإنتاج هذه من علاقات معقدة بين نمط (أو أنماط) الإنتاج الاجتماعي الثقافي للمكان، وبين نمط (أو أنماط) الإنتاج الاقتصادي والاجتماعي التي تسود أو تهيمن داخل تكوينات اجتماعية بعينها في لحظة ما من لحظات تطورها التاريخي.⁴ فالإنسان كائن يعيش ضمن جماعة، ومسكنه محكوم بقواعد تخصص لكل فرد أو جماعة مكاناً يقيم فيه حسب الظروف: سقف، فناء، مجموعة

¹ محمد رياض، مرجع سابق، ص 371

² المرجع نفسه، 375

³ المرجع نفسه

⁴ محمود الكردي وآخرون، مرجع سابق، ص 25

خيام حول بئر، منزل مشترك للرجال أو للنساء¹ وبذلك نجد أشكال المساكن تختلف تبعاً لاختلاف شكل التجمع الأولي ففي التنظيم القائم على الأسر النووية يصبح المسكن محدود المساحة، وهو بذلك أصلح أشكال التنظيم الاجتماعي للسكن المدني، وحتى في التنظيم الأبوي القائم على تعدد الزوجات نجد أيضاً مساكن مفردة. ففي أحيانٍ كثيرة يصبح الحد الأدنى غرفة واحدة في المدن، أو يصبح كوخاً واحداً لكل زوجة عند الجماعات البدائية، وبعبارة أخرى فإن الأسرة النووية تشغل سكتاً منفرداً لا تشاركها فيه أسرة أخرى، سواء كان المجتمع بدائياً أو متقدماً.² وعلى العموم يرتبط المسكن بالنسل والقرابة، ويمكن أن يكون هذا المسكن أبوياً: عند أهل الزوج، أو قريباً في منزل خاص، أي زوجي. وقد يكون أمومياً، أي عند أم الزوجة، أو هو ملاصق لأهل الزوجة، أو خالي، أي عند الخال، سواء كان من جهة الزوج أو الزوجة. وأخيراً يمكن أن يكون مستقلاً عندما يسكن الزوجان في مكان جديد، بعيداً عن أهلهم.³ وعلى هذا الأساس يقوم الأشخاص والجماعات المعنيون باستصلاح المكان تبعاً للتصورات الثقافية الخاصة بهم: مفاهيم التآلف والتساكن مابين الجنسين والأجيال ضمن مكان واحد أو عزل البعض منهم، التساكن مع الحيوانات الداجنة أو في أمكنة خاصة بها، الرفاهية و الأثاث المعتبران ضروريين، كل ذلك يحدد التوجهات الأساسية.⁴ وإذا أخذنا الغرب بعين الاعتبار نستطيع أن نصف القرون الثلاثة الأخيرة على أنها تتمحور حول عملية التمييز والتقسيم. مثلاً، فمَنْزل التاجر في القرون الوسطى كان فضاء متكامل، يجمع بين الحياة

¹ فليب لايورت وآخرون، ترجمة مصباح الصمد، إثنولوجيا انثروبولوجيا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، سنة 2004، ص 81

² محمد رياض، مرجع سابق، ص 377

³ فليب لايورت وآخرون، مرجع سابق، ص ص 81، 82

⁴ المرجع نفسه، ص ص 347، 348

الصناعية والحياة العائلية، إذ كان يتألف من حجرة أمامية/تجارية متاخمة للشارع ومستودعات في الجزء العلوي والمؤخرة، ثم غرف العائلة فوق ذلك.¹ وخلاصة القول أن الجماعات البدائية، أو المتقدمة، التي تمارس حياةً اقتصادية قوامها الترحال (صيد أو رعي) تبعا لفصول السنة (شتاء وصيف أو مطر وجفاف)، تمتلك عادةً أكثر من نوع من المساكن تختلف فيما بينها في خامتها ووظيفتها وخطتها بالارتباط المحكم مع احتياجات التنقل. أما الجماعات المستقرة (زراعية أو صناعية) فالغالب أن لها نوعا واحدا من المساكن، يرتبط أيضا بالوظيفة الاقتصادية الاجتماعية.²

ثالثا - المسكن العربي بين التقليدي والحديث:

- خصائص المسكن العربي:

يستمد البيت العربي التقليدي تصميمه وبنيته من تقاليد وعادات وثقافة أهالي وسكان البلد. وبالرغم من بعض الاختلافات فإن تصميمه يشترك في العديد من العناصر المعمارية، ويرجع ذلك لاتساع رقعة الدولة الإسلامية واحتكاك المسلمين مع غيرهم من الأمم المجاورة، فأخذوا عنهم عمارة المسكن وطوروها، واستدلوا على تشييد المباني وزخرفتها والبناء الرفيع كالقصور وغيرها، وقد التزم المعمار المسلم في تصميم المسكن بطرق تشكيلية تتوافق مع مقاصد الشريعة وأحكامها سواء في الشكل أو المضمون فظهر في صورة متكاملة ومرتبة.³

والملاحظ أن المسكن في العمارة العربية الإسلامية لم يبنى بشكل اعتباطي، وإنما بني حسب التصورات والقيم الثقافية السائدة في المجتمع، فهو نظام رمزي مكثف يعكس ثقافة المجتمع

¹ مايك كرانغ، مرجع سابق

² محمد رياض، مرجع سابق، ص 376

³ بريشبي درويش، تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الفنون

الإسلامي،¹ فالمسكن الإسلامي تطور وبالتدريج في إطار توسع العائلات وامتدادها، وطبقا أيضا للمبادئ الدينية والثقافية للناس المحليين مثل: الرفق، وإحياء الأرض، و مبدأ لا ضرر ولا ضرار وغيرها من النظم والقوانين والأعراف التي كانت تضبط طرق البناء وعلاقات الجوار في المجتمع. والمنازل العربية التقليدية بشكل عام، عرفت على أنها منازل "انطوائية"، لأن شرفاتها تواجه الفناء من الداخل، على عكس المنازل الغربية التي تطل شرفاتها على الشارع أو الحديقة، كما أن الأسرة العربية تتمتع بعلاقات حميمة مهمة في علاقتها مع مساكنها، وتعتبر أيضا عنصر أساسي مؤثر في تصميم جميع البيوت العربية التقليدية، وهنا يتم تعريف أجزاء البيت العربي بوضوح، على أنها عامة وشبه عامة وخاصة، إضافة لذلك يميل تصميم المنزل إلى إنشاء مخطط داخلي بجدران خارجية بسيطة. وتعتمد سماكة الجدران لحماية المنزل من قسوة المناخ الخارجي، فالمواد المحيطة بساكني المبنى مهمة جدا لتوفير الوقاية من الحر والبرد (...). وقد حرص المسلمون على اختيار مواد البناء المتوافرة في البيئة والملائمة في الوقت نفسه للمناخ الحار خاصة ما كان منها ذا كفاءة عالية في العزل الحراري،² ويعتبر الفناء أهم عنصر معماري في البيوت العربية التقليدية، وهو أحد أكثر الأشكال المعمارية ديمومة إذ يتخطى الحدود الإقليمية والتاريخية والثقافية. فكانت السماء هي العنصر الذي يلطف الجو في المساء فانفتح المسكن للسماء بواسطة الحوش أو الصحن، الذي يسمى وسط الدار، أي انفتح على الكون على التأمل حتى قيل أنه منطو على نفس،³ فالتركيز على الفناء أكسب العمارة الإسلامية اسم عمارة الحجاب، لأنها ركزت على المساحات الداخلية (الأفنية

¹ هدى قاسمي، شريف درويش، القيم الثقافية في مسكن العمارة العربية الإسلامية، مجلة الباحث في العلوم

الإنسانية والاجتماعية، المجلد 3، العدد 1، سنة 2021

² يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، سلسلة عالم المعرفة، 2004، ص 105

³ رجاء مكي طيارة، مرجع سابق، ص 99

والغرف) غير المرئية من الخارج، فالباب الأمامي في العادة يؤدي إلى ممر ضيق يسد نهايته باب أو ستارة أخرى مدخل الفناء، مما يسمح له بأن يكون خاصًا ولا يمكن الوصول إليه بصريًا من الخارج، حتى لو ظل باب المدخل مفتوحًا، فالمنازل العربية تميزت بمستوى عال من الأمن والخصوصية.

المفاهيم المعمارية للمساكن العربية التقليدية :

المسكن العربي القديم تميز بعناصر معمارية (ثانوية وأساسية) ووظائفية متعددة تعكس تنظيم الجماعة وليس الأفراد، وكان المسكن آنذاك هو مسكن المجموعة (القرابي)، وليس مسكن الفرد أو الأسرة المحددة الأعضاء، فغابت خصوصية غرف النوم على حساب غرف الاستقبال والجلوس والضيافة، كما غاب المطبخ والحمام لأنه كان حاجة جماعية ومكان لقاء اجتماعي يتجمع فيه الناس ويتلاقون¹. ويجمع أغلب الباحثين الذين تعرضوا بالدراسة للمسكن العربي في تصنيفهم لأهم تلك الأجزاء المكونة له مع تبيان الاستخدامات والوظائف التي تؤديها تبعاً لاحتياجات الإنسان العربي المسلم والتي كانت بمثابة انعكاس لثقافته وعلاقاته المجالية والاجتماعية، ولعل أبرز تلك العناصر مايلي²:

المجاز (المدخل): أو الدهليز في البيت العربي التقليدي هو أول ما يدخل إليه من الشارع ، وهو عبارة عن ممر، غالبا ما يكون متعرجا أو منكسرا يؤدي إلى الصحن وغالبا ما يفتح فيه باب للمجلس. أهداف اجتماعية وبيئية، فهو من ناحية يعزل البيت عن الشارع، الشخص الواقف بالباب أو الداخل إلى المجلس لا يرى الصحن أو أي غرفة أخرى في البيت مما يوفر الخصوصية

¹ المرجع نفسه

² ما الذي يميز البيوت العربية التقليدية؟، تم الاسترداد من موقع <https://ar.quora.com>

المطلوبة حتى ولو ظل الباب مفتوحاً طوال النهار. كما أن الدخول إلى البيت يمكنه تحذير أهل البيت عن طريق النخلة أو التسليم أو الدعاء بصوت عالي.

الفناء: وهو مساحة مفتوحة محاطة بحوائط يمكن تعريفه بأنه مساحة من الأرض الفناء تقع داخل أو خارج المبنى وتطل عليها بعض نوافذ الحجرات، ويستخدم كعنصر معماري في تصميم المبنى لتلطيف درجة الحرارة داخل الحجرات ولإضاءتها وتهويتها، يزرع فيه شجر ويزود بنافورة ماء. وحسب التصميم يكون الفناء محاطاً بالجدران الأربعة أو من ثلاث جدران

الملقاف (صائد الرياح): هي عبارة عن أبراج تبريد تقوم بمقام نظام التكييف في وقتنا الحالي فمهمتها تهوية المنزل في فصل الصيف حيث يتم توجيه الهواء الساخن إلى أسفل إلى الطابق السفلي ، حيث يتم تبريده وإدخاله إلى مساحة الفناء.

المشربية (نافذة خشبية شبكية): وتستخدم لتخفيف حدة الضوء في الحجرات وتوفير التهوية اللازمة وهي على شكل فتحة مملوءة بواسطة منخل من الخشب الدقيق، كما تسمح للنساء بمشاهدة الخارج دون أن يشاهدن¹

باب الزقاق (الصناء): وهو باب البيت الكبير وهو باب واسع لإدخال الأغراض الضخمة إلى المنزل.

الخوخة: وهو باب صغير ضمنه ويكون على شكل قوس في أعلاه يسمح بمرور الأشخاص فقط بحيث يمر منه شخص واحد فقط².

¹ رجاء مكي طيارة، مرجع سابق، ص 100

² ما الذي يميز البيوت العربية التقليدية؟، مرجع سابق

أرض الدار أو الديار: وتسمى أيضاً **صحن الدار**، وهي فسحة ضخمة مفتوحة، وتحوي في المنتصف **بحرة مزخرفة** تزينها من حولها أشجار ونباتات منزلية مثل الياسمين والفل وشجر التوت والنارنج والكباد والليمون البلدي ودالية العنب التي تصعد إلى السطح¹.

الديوانية أو (البراني): وهي الغرفة القريبة من المدخل، وهي أشبه بالمضافة، وتكون عادة مجلساً لحل مشاكل أهل الحي.

الليوان: وهو مكان أعلى من صحن الدار مفتوح مباشرة على الفناء وإلى جانبه قاعات الاستقبال والضيافة، كما يستخدم للسهرات الصيفية المسائية، ولاستقبال الضيوف القادمين على عجل لقضاء حاجة معينة مع أهل البيت.

القاعة: وهي استمرار لعملية نقل الطبيعة إلى الداخل عن طريق الرمز. هنا وفي القاعة يرمز سقفاً إلى السماء بزخرفته، وهي عبارة عن مكان استقبال ومنظم².

المشرفة: وهي سطح صغير داخل البيت بين الدرج وغرف النوم في الطابق العلوي الذي يسمى الفوقاني، وعادة يوجد فيه منشئ الغسيل المطل على أرض الديار وسقالة دالية العنب.

اليوك: وهو تجويف كبير يقع في حائط غرفة النوم، وتوضع فيه الفرشات واللحف والوسائد.

القبو: وهو غرفة موجودة تحت الطابق الأرضي تصل إليها باستخدام الدرج وهي معدة للمؤونة لاحتوائها على الرطوبة والبرودة التي تحفظ الأطعمة³.

النصيّة أو (التخيتة): وهي الغرفة العلوية، وهي صغيرة الحجم وسقفها منخفض، وتستخدم للنوم أو للجلسات العائلية.

¹ المرجع نفسه

² رجاء مكي طيارة، مرجع سابق، ص 101

³ ما الذي يميز البيوت العربية التقليدية؟، مرجع سابق

السقيفة: غرفة صغيرة فوق المطبخ لوضع الحطب والأشياء المهملة مثل المدافئ القديمة.

الداكونة: وهي بيت للحطب¹.

واقع المسكن العربي:

لقد عكس المسكن التقليدي في فترة ما، حياة التنظيم السياسي، والعائلي، والاجتماعي إضافة إلى الوضع الاقتصادي السائد. تميز من خلاله على صعيد فن العمارة، ولم يثبت هذا التميز طويلاً، فحسب طبارة مكي، المسكن العربي خضع لتغييرات حدثت على مستوى المجال العام وتأثر بها مباشرة، ولم يصمد حتى في الحفاظ على بعض من تراثه². فالיום نجد نظاماً معمارية وأطر عمرانية تتحكم في مدننا نظراً لمتغيرات اقتحمت ذواتنا وسلوكياتنا وعملت بشكل أو بآخر على تحويل إدراكاتنا وتوجيه الكثير من نمط حياتنا حيث أصبحنا نعيش في فضاء لا ننتمي إليه ولا ينتمي أصبح الإنسان يعيش في نوع من الاغتراب لا استقرار نفسي ولا طمأنينة في غياب مفهوم الجار والحياء والحرمة³. وبالتالي افتقدت المجتمعات التقليدية ثقافتها وهويتها الحضارية تدريجياً إما عن عمد من المولعين بالحضارة الغربية، أو عن عدم دراية كاملة بما يملكون من مقومات الحضارة المحلية، وبالتالي فقد تعرضت العمارة ذات الخصوصية الثقافية من نوع من اللاهوية واختلال

¹ المرجع نفسه

² رجاء مكي طبارة، مرجع سابق، ص 101

³ يحي مهادوي، قراءة أنثروبولوجية للبيت التقليدي قصر القنادسة، دار المتحف للنشر والتوزيع، ط1، 2022،

المعايير كنتيجة مباشرة للاغتراب الثقافي والحضاري¹. فالمجال العربي اليوم يعاني من مجابهة عناصر ثلاثة: تصاعد في موارد النفط - تزايد ديمغرافي ومديني - تصاعد اقتصادي. فاخفت من المسكن نفحته التقليدية، ممهدا لها غياب التراث، خاصة على الصعيد الأكاديمي إضافة إلى التخلي عن المواد التقليدية وعن التقسيم الداخلي لمنفعة الباطون والمواد المصنعة سلفا ولتقنية التدفئة والتبريد². ورغم أن تلك المواد حلت العديد من مشاكل البناء، التي سادت سابقا واختزلها للجهد والوقت، إلا أن التقنيات الحديثة استعملت بشكل فضوي، ونظرت بعداية مفرطة إلى المحيط الطبيعي، فالتغيرات الجديدة والتكنولوجيا التي دخلت والتي لهث العرب وراءها لم تقد إلى خلق مفاهيم جديدة ومنتالية من العلاقات بل أحدثت تغيرات في المجال³، تحول توجه المسكن العربي من خلالها من العام إلى الخاص، من هنا يمكن القول أن قوى التغيير العصري، اخفت المدينة العربية كوحدة وككل، حيث ترجمت نتائجها على مستوى القيم الاجتماعية والثقافية المشتركة، ووقفت بمواجهة التحدي الجديد على حساب ثقل التاريخ⁴، كما انعكست على هوية المعمار العربي وعناصره التي يحيا الإنسان بداخلها، الأمر الذي يطرح العديد من التساؤلات أبرزها هو مدى استجابة أنماط السكن ومواد البناء الجديدة لتلبية متطلبات الحياة العصرية ومدى تجاوبها مع النظم الأسرية واحتياجاتها المتزايدة التي أملتتها الظروف الراهنة.

¹ عاصم عبد الحميد محمد التركي، أثر التحولات الثقافية المعاصرة على البيئة المبنية دراسة على المناطق الريفية بدلتا مصر، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية، جامعة المنوفية، مصر، نوقشت بتاريخ،

2011/05/24، ص7

² رجاء مكي طيارة، مرجع سابق، ص 101

³ المرجع نفسه، ص 102

⁴ المرجع نفسه، ص 101

خلاصة الفصل:

نخلص من هذا الفصل إلى أن المسكن البشري كمأوى، مثل جانب مهم من الجوانب الحضارية للمجتمعات الإنسانية، وقد جاءت مختلف أشكاله وخططه منسجمة إلى حد كبير مع طبيعة الحياة، والنظم الاجتماعية، والثقافية، والمعتقدات، التي عاشها الإنسان في عصر من العصور. وقد بين لنا تطوره عن تزايد حاجات الإنسان البيولوجية والنفسية المستمدة من تلك النظم التي خلقت فروق حضارية، جعلت لكل مجتمع طابعه الخاص في البناء والتخطيط، وقد لاحظنا في نهاية الفصل كيف أن المسكن العربي التقليدي بعناصره المعمارية، مثل هوية الحضارة الإسلامية، في جميع الأقطار التي وطأها الإسلام، أين جاءت معالمه متوافقة مع مبدأ الشريعة الإسلامية، وأحكامه، واستمدت رموزها في عملية البناء، كنظام معماري خاص يحفظ الإنسان كفرد، وأيضاً كعضو في المجتمع.

الفصل الرابع

المجتمعات القروية وطبيعة السكن

تمهيد:

تمثل دراسة المجتمع الريفي والحياة القروية، أهمية كبيرة ومجال خصب، للدارسين في مختلف التخصصات لما يمثله من جمع مادة معرفية، تسهل الربط بين طرق العيش في الماضي والتوجه به نحو المستقبل، كما تصور لنا تلك الحياة، المسيرة الإنسانية وتحولاتها الاجتماعية والثقافية وانعكاساتها على المجال الجغرافي والعمراني. من هنا يأتي هذا الفصل للوقوف على خصائص تلك المجتمعات بشكل عام مع إبراز تطور الدراسات خاصة الأنثروبولوجية وكيفية تناولها لموضوع القرية والحياة الريفية، ولأن المجتمع الريفي ظاهرة كونية تخص جميع المجتمعات، سنتعرض لمميزات المجتمع الريفي بالجزائر وخصوصياته والذي يمثل محور هذه الدراسة.

أولاً: المجتمعات الريفية والقروية:

-المجتمع الريفي وإشكالية تحديده:

منذ أجيال عديدة صنف الباحثون الاجتماعيون، نوعين من المجتمعات يختلف الواحد منهما عن الآخر فهناك المجتمع الريفي بطابعه البسيط العائلي وثقافته التقليدية الرتيبة، وهناك المدينة بطابع حياتها المعقد حيث تقوم علاقات الأفراد على المصلحة والمنفعة وثقافة سريعة التغير، وقد كان الطابع الريفي منذ البداية بعلاقاته، وتفاعلاته الاجتماعية، وثقافته موضع ملاحظة كثير من العلماء ومقارنته بالطابع الحضري، فقد أشار العديد من علماء الاجتماع إليهما كطرفين متضادين من صور المجتمع تستخدم في المقارنة والقياس، ومن بين هؤلاء نذكر العالم العربي ابن خلدون الذي أشار إلى مجتمع البدو ومجتمع الحضر قاصداً بالأول مجتمع الريف والثاني بالمدينة. وأشار فيرديناند تونيز إلى طابعين من المجتمعات أحدهما يتسم بالجو العائلي (الريفي) والثاني يتسم بالجو الرسمي العقدي¹. ثم قدم اميل دوركايم نظريته إلى العلاقات الاجتماعية في المجتمعين فقال أن المجتمع الريفي أو الجماعة المشابهة له تتسم بعلاقة ميكانيكية حيث يتعامل أفراد المجتمع تلقائياً ويستجيبون لبعضهم ميكانيكياً، وعلى الطرف الآخر علاقة ذات طابع عضوي تعتمد على تبادل المنفعة في استجابتها وتماسكها. وعرض روبرت ريدفيلد لاصطلاحية الثقافة الشعبية كما عرض تشارلز كولي لاصطلاحية عن الجماعة الأولية التي تتصف بسيادة علاقة الوجه بالوجه مقابل الجماعة الثانوية التي تتميز بالعلاقات الرسمية،² فالعلاقات الأولية تزيد من قوة الرقابة بين أفراد الجماعة وتدعوا إلى تماسكهم ومراعاتهم لثقافتهم وهي سمة تتسم بها المجتمعات الريفية وتميزها عن المجتمعات الحضرية، وقد استخدم مصطلح المجتمع الريفي في جميع دول العالم تقريباً لتعيين

¹ علي فؤاد أحمد، علم الاجتماع الريفي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1981، ص 37

² المرجع نفسه، ص 38

التنظيمات الاجتماعية الزراعية، أو مناطق المساكن المتفرقة. فالمفهوم كان ولا يزال جزئياً أساس تقسيم رئيسي في العلوم الاجتماعية مثل التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع أو الاقتصاد؛ فالريف هو فئة من التمثيلات الاجتماعية على نطاق واسع جداً في النقاش السياسي وفي العمل العام للتخطيط الإقليمي،¹ إذ تختلف التعريفات المستخدمة في كل دولة في العديد من النقاط ولا تسمح بنهج مقارنة حقيقي. لأنها في الغالب تطرح سلبية أخرى خاصة أيضاً بتعريف المدن والتي تؤدي بدورها إلى صعوبة تحديد السمات الخاصة بالبيئة الريفية. وهو السبب الذي دفع منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي، وفي إطار "برنامج التنمية الريفية" الخاص بها، القيام بعمل مفاهيمي وعملي يهدف إلى وضع تعريف منسق "للمجتمعات الريفية"، على أساس الكثافة السكانية وتعزيز تصنيف المناطق حسب درجة انتشارها.²

إن مفهوم المجتمع الريفي، يركز على ثلاثة أبعاد تأسيسية: هيمنة الأنشطة الزراعية والرعية في أشكال التنظيم الاقتصادي والاجتماعي. خصوصية نظام القيم (دور الأسرة، ملكية الأرض، التقاليد، إلخ) وأنماط الحياة (الاستهلاك الذاتي، العمل، التضامن القروي... إلخ) فيما يتعلق بسكان المدن؛ خصوصيات نمط تملك الفضاء واستخدام موارد التربة مما يؤدي إلى احتلال واسع النطاق للإقليم نتيجة طبيعية للتشتت وانخفاض كثافة السكان.³ ومن جهة ثانية اعتمدت الأبحاث الأمريكية صفةً واحدة لتحديد مفهوم المجتمع الريفي، من خلال وضع تعريف له على أساس إحصائي ليسهل على الباحثين والدارسين والمهتمين في الشؤون الجغرافية والاقتصاد والإحصاء من تحديد البيانات الخاصة بكافة المناطق الريفية، فقد اعتبرت تلك الدراسة أنّ المجتمع الريفي هو

¹ Bontron, Jean-Claude. "Le Monde Rural: Un Concept En Evolution." Revue Internationale D'éducation De Sèvres 10 (1996): 25-30

² Ibid

³ Ibid

الذي يقلّ عدد سكّانه عن ألفين وخمس مئة نسمة، والمنطقة التي يزيدُ فيها عدد السكان عن هذا الرقم فإنّه يكون مجتمعاً غير ريفيّ حتى لو زاول سكّانه الأعمال الزراعيّة¹. هذا وقد اتبعت دول غربية أخرى مفهوم يقوم على أساس التقسيم الاقتصادي للمهنة، فيقسم البعض الأعمال الاقتصادية إلى ثلاثة أقسام هي:

1. الصناعات الأولية: وهي الصناعات التي تعمل على استخراج المادة الخام مثل الزراعة والصيد وأعمال المناجم واستخراج الإسفنج

2. الصناعات التحويلية أو الثانوية: وهي الصناعات التي تقوم على تحويل المادة الخام إلى أشكال صناعية أخرى

3. المهن وهي الخدمات التي ليست إنتاجية في حد ذاتها وإن كانت لازمة وضرورية للإنتاج. مثل هذه المهن عمل الطبيب والمدرس والجندي والحلاق وغيرهم²

وفي قارتي آسيا وإفريقيا فكثيرٌ من الدول هناك تُعتبرُ المجتمعَ الريفي هو الذي يمارسُ سكّانه حرفة الزراعة والإنتاج الزراعي لوحده بغض النظر عن عددهم والمساحة التي يشغلونها، ومستبعدين في ذلك مجتمعات الأسماك واستخراج المعادن. و بشكل عام، يعرف المجتمع الريفي بوصفه المجتمع الذي يعيش في مستوى تنظيم منخفض. ويتكون من الفلاحين والرعاة وصيادي الأسماك ويفهم عادة كمقابل للمجتمع الحضري كما يتميز بسيطرة نسبية للحرف الزراعية، والعلاقة الوثيقة بين الناس، وصغر حجم تجمعاته الاجتماعية والتخلخل السكاني، مع درجة عالية من التجانس الاجتماعي وضالة التميز والتدرج الداخليين، فضلا عن ضالة الحراك الاجتماعي الرأسي وظيفي

¹ علي فؤاد أحمد، مرجع سابق، ص ص، 45 - 46

² المرجع نفسه ص 47

عند السكان¹. إن المجتمع الريفي لم يعد اليوم مجتمعاً زراعياً، بل أصبح متعدد الأوجه من خلال الأنشطة التي يمارسها الناس هناك، حسب أصلهم الجغرافي والدوافع التي جلبتهم إلى هناك. فالعديد من الوافدين الجدد، يقدمون سلوكيات وأنماط حياة مختلفة، ومزيج ثقافي يفتح المجتمع على العالم الخارجي. وبالتالي يمكن التأكيد أن سكان الريف الجدد اختاروا بشكل متزايد بيئتهم المعيشية.² إن التحولات في التنظيم الاقتصادي وأنماط الحياة والممارسات السكنية تعمل بالفعل على تغيير عميق في علاقة الناس بأراضيهم، كما أن الاختلافات المقبولة عموماً بين المدن والريف أصبحت محل نزاع وبالتالي، لم يعد من الممكن أن تكون الزراعة أساس الحياة الريفية لأن المناطق الريفية مأهولة بالمزارعين اليوم ولأن المهنة الزراعية لهذه المناطق تراجعت بسبب ظهور الطلب الاجتماعي على استخدامات أخرى (أوقات الفراغ، الطبيعة الحفظ، وما إلى ذلك). إن طريقة الحياة الريفية، إذا كانت موجودة على هذا النحو، تتلاشى الآن في نموذج معمم للاستهلاك، يتم تقاسم قيمه وتطلعاته على طول خطوط لا علاقة لها بالاختلافات بين المدن / الأرياف بل بالأحرى بمستويات الدخل. من ناحية أخرى، فإن التنوع الحالي لوظائف الفضاء الريفي قد أدى إلى تعديل طفيف فقط لأساليب تملكه، ولا تزال الكثافة المنخفضة، وكذا قيمة الأرض المنخفضة أبعداً قوية للتمييز بين الريف والحضر.³ وعلى العموم فأهم القواعد والمعايير أو المحكات التي تتخذ أساساً للتفرقة بين المناطق الريفية والقرية والمناطق الحضرية، تميزت بما يلي:

¹ مجتمع القرية، تم الاسترداد من موقع:

http://www.moqatel.com/openshare/behoth/mnfsia15/ruralsocie/sec01.doc_cvt.htm

² Bontron, Jean-Claude. "Le Monde Rural: Un Concept En Evolution". Op.Cit

³ Ibid

➤ التقسيم الإداري: حيث تعتبر عواصم المحافظات وبنادر المراكز والبلدن التي تفرض فيها ضرائب عقارية على المباني¹، باعتبار أن تلك المجتمعات وصلت إلى درجة من التحضر والعمران. وهي الحالة التي تجعل تلك المناطق وأهلها قادرة على تحمل الضريبة على المباني وبالتالي فهي مناطق أقرب للحضرية منها للحياة الريفية

➤ الكثافة السكانية: وهو مقياس إحصائي عددي لقياس الكثافة السكانية²، حيث يتم الاستناد من خلالها إلى كبر الحجم وزيادة السكان، كما يرتبط بوجود الكثير من أوجه النشاط الاجتماعي، السياسي والاقتصادي، والخدمات والتعليم وغيرها والذي يجعلها ذات صبغة حضرية

➤ معيار المهنة: إن نوع النشاط المهني الذي يمارسه الفرد يعكس وينعكس على مكان إقامته³ لذلك يميل العديد من الباحثين إلى اعتباره من أهم القواعد المعيارية، خاصة إذا تميزت تلك المهنة بممارسة عدد كبير من الجماعة الاجتماعية التي تجعلهم يرتبطون بعضهم ببعض. وفي ضوء ذلك يكون المجتمع القروي، هو المجتمع الذي يغلب عليه النشاط المهني الزراعي لأفراده

➤ المعيار الاجتماعي والثقافي: يشير أنصاره إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة بين الأفراد والجماعات، وما يتميز به من عادات وتقاليد وأعراف يكون لها من القوة والإلزام في توجيه أفعال الأشخاص مع أنفسهم ومع الآخرين. والمعيار الذي يؤدي إلى الوقوف على طبيعة العلاقات، إذ كلما زادت رسمية العلاقات الاجتماعية أو أخذت الوضع شبه الرسمي فإنها تكون أقرب للعلاقات

¹ محمد عباس ابراهيم، التحديث والتغير في المجتمع القروي، دارالمعرفة الجامعية جامعة الاسكندرية، مصر،

2015، ص 57

² المرجع نفسه

³ المرجع نفسه، ص 58

الإنسانية الحضرية. أما إذا كانت العلاقات على العكس من ذلك فإنها تميل إلى الجانب التقليدي المحكوم بضوابط غير رسمية.¹

- القرية كوحدة بنائية:

إن أكثر التعريفات المطبقة على المجتمع القروي، حسب عاطف غيث، ترى أن القرية نموذج له طريقة معينة في الحياة تعتمد أساساً على الزراعة، وفي هذا المقام، يعرف ردفيلد Rdfeld المجتمع القروي بأنه نموذج أو طبقة غير محددة تماماً، وللقرية على هذا الأساس كنموذج ليست محددة أو متميزة كما تتميز الطيور عن الثدييات². فالقرية من وجهة نظر اجتماعية عبارة عن تجمع سكاني دائم في منطقة جغرافية محدودة حيث يقيم السكان في وترابطهم بعض علاقات اجتماعية قوية ويعمل نسبة كبيرة منهم بالزراعة إذا لم يكن جميعهم، ويوجد بالقرية عدد قليل من المؤسسات والمنظمات الاقتصادية والاجتماعية التي تعمل على خدمتهم وخدمة غيرهم من سكان البلدان الريفية المجاورة³. ونجد أوسكار هاندلين Oskar Handlin عند استعراضه للصفات القروية التي جلبها المهاجرون إلى أمريكا الشمالية يؤكد أن جموع الفلاحين من أقاصي أوربا الغربية وفي إيرلندا وفي روسيا وفي الشرق، يتميزون بطابع متشابه في الهدوء ورباط الجأش، ويصف هذا التشابه قائلاً: "في كل مكان يوجد ارتباط شخصي مع الأرض أو ارتباط بقرية متكاملة أو مجتمع محلي. كما يظهر التركيب على أهمية الأسرة، ويعتبر الزواج شرطاً للانتعاش الاقتصادي وتركيز

¹ المرجع نفسه،

² محمد عاطف غيث، دراسات في عم الإجتماع القروي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،

1967، ص 12

³ محمد عباس إبراهيم، الريف الجديد وأنثروبولوجيا المجتمعات القروية، دار المعرفة الجامعية، جامعة

الأنساب والسلالات في الذكور. والصراع بين الارتباط بالأرض والعالم المحلي، وضرورة زرع المحاصيل النقدية¹. ويتميز بلاسيد بتعريفه الإجرائي العلمي للقرية باعتباره وحدة اجتماعية لها خصوصياتها الكامنة في متانة العلاقة بين الحياة وبين الفضاء بما يتيح تضامنا داخليا في المجتمع القروي وخارجيا مع المحيط القريب منه والجماعات المشابهة له. فالمجتمع القروي يتكون من مجموعة من الأنساق القرابية والاقتصادية والسياسية والتربوية والدينية. ويمثل الفضاء عند رامبو أحد أهم مكونات القرية التي تتغير بتغير هذا الفضاء². فعلاقة الجماعة القروية بالفضاء الجغرافي تتخذ شكلا ثقافيا هو الذي يدفع إلى اختلاف القرى وتتنوع أشكالها وأنماطها³، فالشخص عضو في جماعات متنوعة وصغيرة كالأُسرة أو العائلة باعتبارها وحدة اجتماعية أساسية في المجتمع تمد أعضائها من الأطفال الصغار إدراكهم بالمجتمع الكبير، ومع ذلك يواصل الناس وظائفهم في الحياة كأعضاء في جماعات صغيرة أكثر من عضويتهم في ذلك المجتمع الكبير. فالقروي يدرك عضويته في الدائرة القرابية قبل إدراكه لعضويته في مجتمع القرية⁴.

فالقرية إذن هي المظهر الأول لتجمع عدد من الناس في مكان واحد، وتعتبر من أقدم المجتمعات المحلية المستقرة التي عاشها الإنسان، وهكذا عرفت جميع التحركات البشرية القرية حتى أننا لانكاد نسمع بجنس من الأجناس أو شعب من الشعوب إلا وقد استقر في ظل النظام القروي أجيالا

¹ المرجع نفسه، ص 15

² محمد نجيب بوطالب، علم الاجتماع الريفي القرى والأرياف العربية، دارجامعة سعود للنشر، المملكة العربية

السعودية ، 2014، ص 7

³ المرجع نفسه، ص 8

⁴ محمد عباس إبراهيم، الريف الجديد وأنثروبولوجيا المجتمعات القروية، مرجع سابق، ص 18

طويلاً.¹ وقد مرت القرية في تطورها منذ أقدم العصور حتى وقتنا الحاضر في أربعة أطوار وهي على التتابع²:

1. القرية البدائية
2. القرية القديمة
3. القرية الإقطاعية
4. القرية الحديثة

ومن هنا يمكن أن نقول أن المفاهيم والتعريفات الخاصة بالقرية في مجملها لا تخرج عن النطاق التاريخي التي مرت به من خلال تلك المراحل، فعلى سبيل المثال يذهب "ريموند فيرث Firth" أن اصطلاح أو مفهوم القرية ينطبق على كل مجتمع يتكون من عدد من المنتجين الصغار لغرض الاستهلاك الخاص. فهذا التعريف يخرج المزارعين الذين يزرعون الأرض عن طريق الغير لغرض الاستغلال أو الريح وهم موجودون في أغلب القرى،³ وبالتالي فهو يستبعد مرحلة الإقطاعية من مراحل تطور القرية. من جهة أخرى يذهب "إيريك وولف Eric wolf" إلى تقسيم سكان القرى إلى طبقتين متميزتين هما:

الطبقة الأولى: القرويون الذين يملكون أرضاً أو يزرعون عن طريق الإيجار ويعيشون عليها وتكون طريقتهم في الحياة المعتمدة على الأرض، وليست الزراعة عملاً مربحاً لهم

¹ مهى سهيل المقدم، المجتمع القروي بين التقليد والتحديث دراسة نظرية وميدانية، المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1995، ص7

² المرجع نفسه، ص 8

³ محمد عاطف غيث، مرجع سابق ص12

الطبقة الثانية: هم أولئك المزارعون الذين ينظرون إلى الأرض على أنها مصدر من مصادر الريح وأنها نوع من أنواع رأس المال.¹

إن القرية منذ أن أصبحت واقعا بيئيا ومكانيا، من أرض زراعية وأراضي للبناء وطرق وأزقة وشوارع، وواقعا اجتماعيا، من علاقات اجتماعية وقرابة ومصاهرة وصداقة وجوار واشتراك في المواطنة والإقامة مع المثل لمقتضيات عناصر البناء الاجتماعي من نظم إيكولوجية واقتصادية واجتماعية وسياسية وقومية في النواحي الأخلاقية والتربوية، قد تميزت بعدة خصائص وسمات عامة وأساسية منها ما يلي²:

- إن القرية من صنع المجتمع وسمات إبداعاته، أي أنها نتاج لما توصل إليه العقل الجمعي من آراء تتفاعل وتدعو إلى تنظيم الحياة الاجتماعية إما حلا للمشكلات وقضايا معينة، وإما من أجل خلق حالة من الترابط الاجتماعي والوجداني بين الآخرين بعضهم ببعض³
- تميزت القرية كمجتمع محلي تقليدي ببناء اجتماعي وثقافي خاص أدى بساكنيها إلى الإحساس الجمعي بالمشاركة في العيش والآلام والأفراح، وعلى هذا الأساس تشكلت القيم والاتجاهات والرغبات، فأصبحت القرية والحياة القروية، والريفية بمثابة " طريقة في الحياة"⁴
- الحياة الاجتماعية والثقافية تتميز بالجبرية والإلزام على كافة الأنماط السلوكية، وبالتالي فمن الصعب على الفرد أن يغير من تلك الأنماط بمفرده. ومن نعمة الحياة الاجتماعية على الإنسان

¹ المرجع نفسه، ص 13

² محمد عباس إبراهيم، الريف الجديد وأنثروبولوجيا المجتمعات القروية، مرجع سابق، ص، ص 16-17

³ المرجع نفسه، ص 17

⁴ المرجع نفسه

القروي أنه لا يشعر بتلك الجبرية أو الإلزام وإنما يتقبلها في طوعية ورضا، بل إنه يتألم كثيرا عندما يرى الآخرين عند الالتزام بها¹.

- التكاملية والتساند في دور الجماعات الأولية كالأُسرة والحياة العائلية وما تشير إليه من أهمية في ضوء معاييرها وضوابطها المؤكدة على وجودها كوحدة بنائية، وعلى وظيفتها في النظم والأنساق الاجتماعية اتساعا من دائرة العلاقات القرابية إضافة إلى ما تقوم به من الوظائف التربوية والتنشئة الاجتماعية حتى يتحقق للمجتمع أهدافه الاجتماعية والبنائية ككل².
- وعلى العموم، فإن إشباع الحاجات الأساسية للمجتمع القروي، يأتي نتيجة للتفاعل بين الإنسان والبيئة، مما ينتج عنه أنماط من السلوك والتقاليد والأعراف، والتي تكون هدفا للعديد من الباحثين في دراستهم، حيث يسعون إلى فهم العلاقات والآثار المتبادلة بين كل منها في الآخر.

- إسهامات الأنثروبولوجيا في دراسة القرية:

إن الفضل يعود لعلماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية الأوائل، في تطور الدراسات المونوغرافية حول الأرياف والتجمعات القروية التي قاموا بها في بعض أنحاء العالم، وخاصة في أفريقيا وآسيا وأستراليا. كما اتضح من خلال تلك الأعمال، الدور الفعال الذي قام هؤلاء في دراسة القرية وذلك بإمطاة اللثام عن عديد الثقافات المهجورة في القرية والمجتمعات المهمشة. فعلى الرغم مما توصف به أعمالهم من سطحية واستعجال فرضها الوصف وحفت بهما الغرابة والطرافة الاستثنائية، فإن أعمالهم شأن الرحالة والجغرافيون القدامى ساهمت في تطوير علم الاجتماع القروي العالمي³. وقد تمكنوا من الاستفادة من نظريات علم النفس حيث قام العديد منهم باختبار الفرضيات السيكلولوجية،

¹ المرجع نفسه

² المرجع نفسه، ص 18

³ محمد نجيب بوطالب، مرجع سابق، ص 17

كما تميزت الدراسات المطبقة على القرى والجماعات الريفية بالتعمق في دراسة موضوع الشخصية وعلاقتها بالثقافة¹، محاولين فهم ثقافة المجتمع باعتبارها ثقافة مستقلة غير متأثرة بثقافات أخرى ولهذا ظهر الاتجاه الثقافي في دراسة هذه المجتمعات². وقد تم اختيار نظرية فرويد وآرائه في الثقافة وتكون الشخصية. نذكر من هؤلاء الأنثروبولوجيون، الأمريكية روث بدنكيت (Roth Benedict) التي ألقت كتاب (أنماط الثقافة) عام 1944 واعتبرت أن دور الأنثروبولوجيا هو توضيح أوجه الاختلاف بين الثقافات مركزة على أوجه التكامل الثقافي من خلال دراسة نماذج الشخصية، وقد طبقت ذلك على ثلاث مجتمعات محلية هي: الدوبو والزوني والكواكتيل في الولايات المتحدة وكندا وهم من الهنود الحمر. كما عادت الباحثة نفسها لدراسة أساليب التنشئة في الشخصية القومية اليابانية 1946³. حتى أنها حاولت أن تتجه اتجاهها جشلتطيا في الدراسة بوضع صيغ عامة للثقافات البدائية التي درستها أو درسها غيرها⁴. مثلما حاول جورر (Gorer) دراسة كل من الشخصية الروسية والشخصية الأمريكية دراسة مقارنة⁵. ومنهم أيضا الأمريكية مرجريت ميد (Margaret Mead) التي اهتمت بدراسة النوع الاجتماعي وعلاقته بالمزاج في ثلاثة مجتمعات محلية هي الأرابيش والموندوجومور وتشامبولي. كما درست المراهقة في مجتمع سموا في غينيا الجديدة بأستراليا من خلال جيرة مانوس مركزة على دور الإطار الثقافي العام للقرية البدائية⁶.

¹ المرجع نفسه

² محمد عاطف غيث، مرجع سابق ص 23

³ محمد نجيب بوطالب، مرجع سابق، ص 16

⁴ محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ص 23

⁵ محمد نجيب بوطالب، مرجع سابق، ص 18

⁶ المرجع نفسه، ص 17-18

ومالينوفسكي (Malinowbeski) الذي درس مجتمع جزر التروبرياند وحاول اختيار (عقدة أديب) عند سيغموند فرويد من خلال تطبيقها على مجتمع "بدائي" بسيط . كما درس علاقات القرابة ودور المرأة¹. وإن كان مالينوفسكي وردكليف براون وايفانز بريتشارد ينصحون بضرورة الإحاطة بكل نواحي الحياة الاجتماعية باعتبار أن كل جزء فيها في علاقة تساندية (وظيفية) مع الأجزاء الأخرى، وفصل بعض الأجزاء ودراستها منفصلة عن المجموع لن يؤدي إلى تمام فهمها². خاصة في المجتمعات الصغيرة التي تتميز بثقافة محددة. إن هذا الاتجاه هو الذي غلب على الأنثروبولوجيين خلال فترة القرن التاسع عشر وقد كان من طليعة العلماء الذين أسسوا قواعده تاييلور، فريزر، وماك لينان وسار على منوالهم بعد ذلك مالينوفسكي ورا دكليف براون وغيرهم ممن ذهبوا إلى أماكن بعيدة وعاشوا وسط مجتمعات صغيرة مكتفية بذاتها وسجلوا ملاحظاتهم بطريقة تؤدي إلى وصف ثقافة معينة ككل³. لقد أضحت دراسة القرية اتجاها جديدا في الأنثروبولوجيا الاجتماعية اليوم منذ أن بدأ الأنثروبولوجيون يدركون مجتمعاتهم الصغيرة التي يدرسونها كأجزاء من كل اجتماعي وثقافي معقد، وأخذ أساتذة الأنثروبولوجيا في إنجلترا وفرنسا الذين كانوا غير معنيين بدراسة المجتمعات القروية في بلادهم يدرسون المجتمعات القروية في إنجلترا وويلز وأخذوا يبعثون بتلاميذهم إلى النرويج أو غينيا البريطانية⁴. كما يمكن رد الاتجاه الوظيفي إلى تقاليد مدرسة

¹ المرجع نفسه، ص 17

² محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ص 23

³ المرجع نفسه، ص 24

⁴ المرجع نفسه، ص 25

شيكاجو أين بلور "ريدفيلد اتجاهه في دراسة المجتمع القروي من ناحية أخرى"¹ (...) بوصفه كلا متساند، أو دراسة الظواهر الجزئية في إطار سياقها العام وتحليل ارتباطها وعلاقتها الوظيفية بالظواهر الأخرى. حيث يميل هذا الاتجاه في استخدام مداخل الأنثروبولوجيا الاجتماعية في الدراسة كالبناى الاجتماعي، والنسق الايكولوجي وسير الحياة النمطية والنظرة إلى العالم، كما يعتمد أيضا تكتيكات الأنثروبولوجيا كالملاحظة المشاركة والإخباريين المحليين². وقد خلص ريدفيلد من دراسته للمجتمعات القروية في أمريكا الوسطى إلى فكرة النموذج Typology التي يمكن بواسطتها تفسير عملية التطور الحضاري. وتعرف هذه النظرية باسم "الاستمرار من البدائي إلى المدينة"، وهي دراسة لنموذج الحياة البسيطة الأولية التي نجدها في القبائل والعشائر والقرى الصغيرة، واتخذت من ذلك النموذج البسيط نقطة تبدأ منها الحضارات والمجتمعات الإنسانية³. حيث تقترض وجود خط يبدأ من المجتمع البدائي، لينتهي عند نموذج المجتمع الحضري. هذا وقد اتجه أنثروبولوجيون آخرون من تلامذته لدراسة المجتمعات القروية في الهند والصين وفي الشرق الأوسط. من جهة أخرى اتجهت الدراسة الأنثروبولوجية في أمريكا، اتجاها آخر على يد Warner حيث أخذ وتلامذته يدرسون الدول القومية والشعوب المتحضرة بطرق مختلفة عن الطريقة التقليدية⁴. فمن الناحية المنهجية أخذ الباحثون يعلقون أهمية كبرى على ارتباط موضوع دراستهم

¹ محمد عودة، دراسات في علم الاجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب جامعة عين شمس،

مصر، 1998، ص 14

² المرجع نفسه

³ محمد عباس إبراهيم، الريف الجديد وأنثروبولوجيا المجتمعات القروية، مرجع سابق، ص 33

⁴ محمد عاطف غيث، مرجع سابق ص 25

بعلاقات أوسع لابد أن تكون محل نظر دائم حتى يكون تحليلهم سائرا في الاتجاه الصحيح¹. ومن الدراسات الحديثة أيضا ما أجراه الأنثروبولوجي التونسي منذر كيلاني من أبحاث حول القرى والمجموعات الأفريقية وخاصة دراساته حول القرية السواحلية الأفريقية بالنيجر، كما تعتبر دراسات نيكولا هوبكنز حول بعض قرى المغرب العربي وخاصة دراسة لقرية "تستور" من الأمثلة الدالة على دور الأنثروبولوجيون المعاصرين في التعريف بالقرية وإبراز دورها وإدخالها للتاريخ من جديد². أخيرا يمكن القول أن دراسة القرية باعتبارها وحدة مستقلة بذاتها يمكن أن تطبق عليها أساليب دراسة المجتمعات المحلية، وباعتبارها أيضا مرتبطة بمجتمع أوسع هي جزء منه، قد نتج عنه اتجاهين بارزين يمكن أن تندرج البحوث الخاصة التي أجرتها الدراسات حول المجتمعات القروية خلال ربع القرن الأخير، وهما:

✓ الاتجاه التركيزي: وقد انصب هذا الاتجاه على دراسة القرية كوحدة أساسية للدراسة تطبق عليها الأساليب المنهجية التي استخدمه الأنثروبولوجيون في دراستهم للمجتمعات المحلية. وقد اتسمت الدراسات العامة أو الشاملة بالوصف دون التحليل وإن كانت قد ساهمت في تزويد الباحثين بمادة اثولوجية وافرة والتي استخدمت في تطوير المفاهيم النظرية والأساليب المنهجية لدراسة وفهم المجتمع القروي³.

✓ الاتجاه الممتد أو التوسعي: وهو ذلك الاتجاه الذي يشير إلى المفاهيم الخاصة بتصوير طبيعة العلاقة بين القرية والمجتمع. وعلى هذا الأساس تتحدد الطريقة التي يتبعها الباحث في الكشف عن

¹ المرجع نفسه، ص 26

² محمد نجيب بوطالب، مرجع سابق، ص 18

³ محمد عباس إبراهيم، الريف الجديد وأنثروبولوجيا المجتمعات القروية، مرجع سابق، ص 35

جوانب هذه العلاقة¹. وعلى الرغم من اختلاف الانثروبولوجيين في تحديد طبيعة أبعادها، إلا أن التصور الثقافي لعلاقة الجزء بالكل شكل أساساً منهجياً في الدراسات القروية.

ثانياً: العمران الريفي وخصائص المسكن:

- جغرافية السكن الريفي:

يمكن النظر إلى جغرافية السكن الريفي على أساس أنها مقدمة لدراسة المدينة. فالقرية تاريخياً أقدم من المدينة وكثير من المدن تطور عن أصول قروية². من الناحية التاريخية، لم يحظى السكن الريفي باهتمام الجغرافيين إلا منذ انعقاد المؤتمر الجغرافي الدولي عام 1925 بالقاهرة، فقد قدم ديمانجون A.Demangeon إلى المؤتمر أول بحث في مفهوم ومنهج جغرافية السكن الريفي وقد عكفت لجنة منبثقة عن المؤتمر على دراسة الموضوع وأصدرت تقريرها في مجلدات ثلاث ظهرت على التوالي سنوات 1927، 1930، 1931 تحت عنوان: International Union, Report of the Commission on Types of Rural Settlement. ولقد أثار هذا التقرير الرغبة عند الجغرافيين، في معالجة السكن الريفي والكتابة فيه.³

ويرتبط مدى دوام أو ثبات السكن الريفي، حيث ما وجد بمصادر الثروة التي تعتمد عليها الجماعات البشرية المختلفة وإن كان من المحتمل أن السكن الثابت هو نتاج تطور استغرق فترة طويلة من الزمن وارتبط في نفس الوقت بزيادة الموارد في الطبيعة وبزيادة مقدرة الإنسان على معاونة الطبيعة. و إنماء موارده الغذائية⁴. ويرجع Mumford ارتباط الناس بمكان معين من الأرض قديماً جداً

¹ الرجوع نفسه، ص 36

² عبد الفتاح محمد وهيب، في جغرافية العمران، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص 10

³ المرجع نفسه، ص 9

⁴ المرجع نفسه، ص 13

بزيارة موسمية يلتقي فيها أفراد العشيرة ويتبادلون المنافع ويقدمون القرابين لموتاهم. ثم لما زاد ارتباطه بالأرض بعد قيام الزراعة أقام المساكن الثابتة وحفر على مقربة منها مقابر لموتاه ولم ينسى بيتا لمعبوده. وربما كانت هذه الناحية الروحية هي من بين العوامل التي أدت إلى استقرار الشعوب الزراعية القديمة¹. وتمثل القرية التقليدية نمط من أنماط الاستيطان، والإقامة الريفية السائدة في الريف العربي ومعظم أنحاء البلدان الآسيوية والأفريقية والأوربية على السواء، والذي يميز هذا النمط أن الناس يعيشون في منازل متجاورة ويرتبطون بحقولهم حيث يذهبون إليها صباحا ثم يعودون في المساء². و تختلف عن المدينة في أن الصناعة والتجارة فيها لا تلعب إلا دورا ثانويا في حياة سكانها³. ويتأثر شكل القرية بعدد من العوامل بعضها جغرافي مثل الموقع بالنسبة لمظاهر السطح والأنهار والطرق، وبعضها تاريخي مثل الحاجة المبكرة للدفاع بعضها اقتصادي مثل نظم الزراعة التي مارسها القرية عند إنشائها، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه في الوقت الذي نمت فيه القرى نموا طبيعيا عشوائيا، فإن بعضها قد نشأ على أساس تخطيطي منذ البداية، ومن هنا تتباين أشكالها⁴. ويمكن أن نقسم نمط الاستيطان بالقرى التقليدية إلى نوعين أساسيين هما:

● القرى المنعزلة أو المنتشرة:

ويشبه هذا النوع إلى حد بعيد نمط الإقامة المنفردة في المزارع المستقلة. وغالبا ما يدل هذا التبعر على علاقة قوية بين المساكن ومكان العمل⁵. حيث يتوسطها منزل الفلاح وتوابعه من الحضائر

¹ المرجع نفسه، ص 14

² محمد عباس ابراهيم، التحديث والتغير في المجتمع القروي، مرجع سابق، ص 31

³ عبد الفتاح محمد وهيب، مرجع سابق، ص 14

⁴ حسام الدين جاد الرب، مرجع سابق، ص، ص، 154-155

⁵ المرجع نفسه، ص 158

والمخازن وطمبات الري ومساكن العمال الزراعيين إلى غير ذلك، وهذه المزارع المنتشرة المبعثرة بما يتوسطها من منازل تميز الريف الأمريكي تعرف باسم Ranches. و يتواجد هذا النوع أيضا في المناطق الجبلية أين تتواجد الأراضي الزراعية ذات المساحات الصغيرة فوق سفوح الجبال، ويحاول المزارع عادة اختيار السفوح التي تواجه أشعة الشمس القريبة من عين الماء والتي يستطيع الفلاح أن يشيد فيها مدرجاته التي يزرعها، لذلك فإن المنازل تنتشر وسط الحقائق والحقول، ومن قبيل ذلك ما نشاهده في قرى السهول أيضا¹. فنجد (الفلاح) في هذه الحالة يعيش في عزلة منفردا ويعزلته هذه تكون حياته الاجتماعية كلها في عزلة فنراه يعاني من مشقة تعليم أولاده رغم أنه يعيش حياته كلها، فلا يتأثر ولا يؤثر في نمط حياة غيره². وهذه القرى المنتشرة تخدمها القرى الكبيرة التي تعتبر مراكز اجتماعية حقيقية لها حيث توفر أماكن العبادة ومختلف الخدمات الصحية والتعليمية وغير ذلك.

• القرى المتجمعة أو المتكتلة:

وقد صاحب ظهورها منذ تواجد الحضارات التي تميزت بطابعها الزراعي، وحيث مظاهر التعاون الجماعي عند الجماعات البشرية المستقرة بها في العمل والحياة الاجتماعية. وتعتبر مصر القديمة من أول القرى والتجمعات الريفية التي ظهرت في العالم، كما ظهرت قرى أخرى في وادي دجلة والفرات ووادي السند. ولعل تلك القرى هي النواة الأولى التي تطور بها العمران البشري إلى المدينة، ويرجع استقرار هذا النمط إلى عامل توافر موارد المياه وخاصة وديان الأنهار³. وتختلف أشكال القرى المتكتلة فمنها ما تتخذ رقاعها أشكالا هندسية منتظمة تكشف عن قيمة الأرض

¹ محمد عباس إبراهيم، التحديث والتغير في المجتمع القروي، مرجع سابق، ص ص 31-32

² حسام الدين جاد الرب، مرجع سابق، ص 159

³ محمد عباس إبراهيم، التحديث والتغير في المجتمع القروي، مرجع سابق، ص 33

الزراعية، وحرص أهلها عن عدم التفريط فيها من أجل السكن.¹ ومن بينها ذات الشكل الخطي تتراعى مبانيها اليوم على الطرق البرية والأنهار والقنوات الملاحية.² وهناك القرى النجمية التي تمتد أطرافها مع المرتفع والمنخفض من خطوط الكونتور وذلك رغبة من أهلها الاستفادة من غابة أو مرعى إلى جانب زراعة الأرض. وحيث لا يوجد جبال ولا طرق هامة في وديان أنهار الشرق الأوسط والأقصى تكون قرى كبيرة من الطين مكتنلة ذات شكل أقرب للدائري منه إلى المربع وتظل على شكلها هذا حتى يمر بها طريق حديث فينتغير الشكل والحجم وحتى الوظيفة.³

-المسكن الريفي:

يدرس المنزل الريفي كظاهرة جغرافية تدخلت في تشكيلها عوامل كثيرة متشابكة جغرافية وغير جغرافية.⁴ فهو البناء الهندسي الذي يقوم على مساحة محدودة من الأرض، يعيش فيه الإنسان ويوفر له الحماية ويتيح له مزاوله نشاطه الحيوي والاجتماعي والاقتصادي.⁵ فهو بالدرجة الأولى انعكاس صادق لظروف البيئة والمجتمع ، إضافة لمواءمته مع الوسط الذي يعيش فيه الإنسان والذي يختلف من بيئة لأخرى. ويظهر أثر البيئة في الموارد التي يصنع منها المسكن الريفي، فيبنى المنزل الريفي من الطوب واللبن حيث يتوفر الطين، ويبنى من الخشب في المناطق الغابية، وقد يبنى من الحجر، حيث لا توجد مادة أخرى وهذا لا يمنع التغيير والتكيف، فالأمر أولاً وأخيراً

¹ عبد الفتاح محمد وهيب، مرجع سابق، ص 21

² المرجع نفسه

³ المرجع نفسه، ص 22

⁴ المرجع نفسه، ص 26

⁵ عمر محمد علي محمد، جغرافية العمران الريفي أسس وتطبيقات، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية،

يرتبط بأسعار هذه المواد وتكاليف النقل. فقد بيني أهل قرية ما مساكنهم من مواد أفضل بإمكانهم جلبها من خارج الإقليم. فنجد عدة مناطق تتوفر بها الأشجار الغابية إلا أن مساكنها تبنى بالحجر رغم ندرته، ونفس الشيء لمناطق تتوفر على الحجارة وتفضل الأخشاب. وتتميز القرى على المستوى المجالي بمجموعة من المساكن المتلاصقة ذات الطابق الواحد، عادة قليلة الارتفاع والمبنية من بعض مواد البناء الأولية كالطوب النيء - اللبن - تتخللها أزقة وطرق ملتوية ولا تخضع لتخطيط هندسي معين ولا يوجد بها سوى عدد صغير من المؤسسات والمنظمات الصغيرة الحجم، وتتميز حياة القرية بالبساطة كما تحيط بالقرية الحقول من جميع الجهات¹. وبمثل ما تختلف المساكن الريفية في موادها فهي تختلف من حيث خطتها وحجمها وشكلها. فمنها البسيط المتواضع جدا ومنها المنتظم شكلا وخطا ومنها المستطيل الشكل ومنها الكبير ذو الطابقين إلى غير ذلك من الأشكال والأحجام²، وتنشأ هذه الاختلافات من التنوع في نظم استغلال الأرض ومستويات الحضارة ومستويات المعيشة لذا فإننا نجد أنواعا عديدة ومختلفة من المساكن نذكر منها:

✓ المنزل المؤلف من غرفة واحدة: في هذا النموذج تتشارك أفراد الأسرة والحيوانات معا، ولا يوجد بينهما سوى حاجز صغير لا يصل ارتفاعه إلى سقف المنزل. يسمى هذا النوع في جبال الألب بفرنسا بمسكن القبيلة. وفي آسيا وأفريقيا الإستوائية عبارة عن خيمة حيث يسهل بناؤها ونقلها، وتضم كل الأفراد وما يمتلكون من حيوانات³.

¹ محمد عباس إبراهيم، الريف الجديد وأنتروبولوجيا المجتمعات القروية، مرجع سابق، ص 16

² عبد الفتاح محمد وهيب، مرجع سابق، ص 27

³ حسام الدين جاد الرب، مرجع سابق، ص 145

✓ المنزل المتجمع: وهو عبارة عن منزل كبير مؤلف من عدة غرف سواء في صف واحد أو بعضها

فوق بعض، وفي كلا النوعين يقسم المنزل الذي يضم سقفا واحدا إلى عدة غرف¹

✓ المنزل المتطور: حيث تبدو المنازل الريفية أكثر تحضرا بحيث أصبح أكبر حجما، سواء كان

للراعي أو المزارع مهما كان نوعه ولا سيما في الدول المتقدمة، حيث يوجد حاليا في قرى هذه

الدول أغلب وسائل المعيشة العصرية المتطور

✓ ة من ماء وكهرباء وطرق².

وبصفة عامة فهناك قواعد عامة مشتركة، ومتفق عليها في هيكلة المسكن الريفي، على الرغم من

عدم وجود تخطيط مسبق في بناء مختلف الوحدات السكنية، ويأتي ذلك نتيجة لتراكم التجارب

والإرث التاريخي للمجتمع لذا نرى عناصره تضم، غرفة النوم ، المضيف، الحوش ،المخزن

والحظيرة. وتختلف هذه المكونات سعة ونوعا باختلاف حجم العائلة ومتطلباتها ومستواها المعيشي:

وفيما يأتي تعريف لهذه المكونات :

1. غرف النوم: فلا يكاد يخلو المسكن الريفي من غرفة أو أكثر، وذلك حسب عدد أفراد العائلة وتبعاً

لحجم ومقدار إنتاجية العائلة الزراعية، فواحدة تكون للزوجين وواحدة أو اثنين للأولاد. وقد تكون

الغرف على شكل مربع أو مستطيل.

2. المضيف: ويعكس المستوى الاجتماعي والاقتصادي للعائلة ،إلى جانب كونه مكان لتناول الطعام

والمقر الذي يقيم فيه الغرباء أو الضيوف ويمكن القول بأن مكانة الفرد في القرية ترتبط بسعة ونمط

¹ المرجع نفسه، ص 146

² المرجع نفسه، ص، ص 146 - 147

بناء مضيفه والذي يختلف سمة وشكلا تبعا لمكانة العائلة الاجتماعية والاقتصادية¹ ويكون المضيف في العادة قريب من الباب الخارجي للمسكن معزولا عن بقية الغرف كما يتجه الباب إلى الخارج توفيراً للعزل الاجتماعي .

3. المطبخ: عبارة عن قاعة صغيرة نسبيا وتسمى أيضا بالنوالة محليا ويرتبط وجودها أيضا بالمستوى الاقتصادي للأسرة وعدد أفرادها، وإلا يستعاض عنها بالطبخ في أحد أركان قاعة النوم. وتسمى أيضا الركنة وتكون مزودة بكانون ومدخنة بعيدين عن النوافذ والأبواب تقاديا للريح²

4. الحوش: و له عدة تسميات منها الفناء والصحن ووسط الدار. وهو ساحة مكشوفة تتوسط المسكن الريفي وتتوزع على جوانبها الغرف المختلفة ويساعد وجوده على تهوية المسكن وتلطيف الجو صيفا ووصول أشعة الشمس إلى البيت شتاء كما يمثل الساحة التي تتحرك فيها العائلة ومقر جلوسها أيضا إلى جانب كونه المكان المناسب لنوم العائلة صيفا كما يستعمل أحيانا لإيواء الحيوانات واغلب هذه المساكن لها مدخل واحد تشترك في استعماله العائلة وحيواناته³

5. الحظيرة أو الاسطبل: وهي مأوى للحيوانات تنفصل في العادة عن المسكن حيث تغلق ليلا للمحافظة على الحيوانات وتحاط بسياج ويكون الدخول إليها ضمن باب المسكن. ويقع بالقرب منها مخزن العلف والذي تتحدد مساحته بنوع وعدد الحيوانات التي تملكها العائلة كما يستخدم لخرن الأعلاف خلال الشتاء. فتصميم وبناء المسكن الريفي كما هو معلوم يرتبط أساسا بالوظيفة الاقتصادية للعائلة زراعية كانت أو رعوية أو كليهما أو إن العائلة تعنى بالصيد أو قطع الأخشاب

¹ النذير قوادرية، نماذج من المسكن الريفي بقرى منطقة المعاضيد: دراسة أثرية، مجلة العلوم الاجتماعية

والإنسانية، المجلد 11 عدد 2، 2021، ص 1171

² المرجع نفسه

³ المرجع نفسه

فترتبط بالمستوى الاقتصادي للعائلة فالعائلة الريفية التي تزاوّل تربية الحيوان تمتلك مساحات من الأرض تخصص منها مساحة واسعة للسكن فيما نجد تلك التي تتخصص في زراعة المحاصيل تمتلك مساحة صغيرة لكون الوحدة السكنية تقتصر على إيواء العائلة فقط.

-العوامل المؤثرة على المسكن الريفي:

بالرغم من ارتباط المسكن الريفي وظيفيا مع البيئة الزراعية والرعية، فإنه يتأثر بما يطرأ على عناصر هذه البيئة من تغيرات، مثل نظام الملكية ونظام الائتمان الزراعي، والتسويق، والنقل والإدارة والسياسة الزراعية والضرائب العقارية والخدمات وغيرها من الأحداث الاجتماعية والثقافية التي يتعرض لها المجتمع. ومن بين تلك العوامل ما يلي:

✓ العوامل الطبيعية:

باعتبار أن المسكن الريفي ملجأ يمي الإنسان من تقلبات الطقس، والمناخ ويوفر الراحة والطمأنينة لسكانته، كل ذلك ينعكس على اختيار مادة البناء وعلى سمك وصلابة الجدران، واتجاه الأبواب والنوافذ وطريقة تجهيز السقف لكي لا يتجمع المطر فوقه، كما تظهر لنا العوامل الطبيعية وجود وسائل التدفئة من عدمها¹. هذا وتلعب مصادر المياه دورا مهما من حيث انتشار المساكن وتكتلها ويتضح ذلك في المناطق الجافة أين تتكتل المساكن حول موارده، عكس المناطق الرطبة الكثيرة الأمطار والتي يستطيع السكان فيها خزن المياه خاصة لوقت الحاجة، وإن كان هذا ليس قاعدة، ذلك لأن النمط السكني هو نتاج عوامل طبيعية وبشرية وربما يكون للعامل البشري الوزن الأكبر²

¹ عمر محمد علي محمد، مرجع سابق، ص 362

² عبد الفتاح محمد وهيب، مرجع سابق، ص 16

✓ العوامل الاجتماعية:

العوامل الاجتماعية هي انعكاس على مستوى المعيشة ومستوى الدخل للمسكن الريفي، إذ تحدد تلك المستويات درجات الرفاهية واختيار مادة البناء ومساحة المسكن والأجهزة المنزلية التي توجد داخل المنزل ونوعيتها وتأثيرها على الصحة، ففي أي منطقة يوضح لنا نمط العمران السائد مدى تأثره بالخلفية الحضارية والثقافية والعادات والتقاليد ونوع الاقتصاد والتقدم التكنولوجي¹. فمثلا تساعد السيارة ، والهاتف، والانترنت، على زيادة البعد المكاني للشبكات الاجتماعية لأنها تيسر الاتصال. كما أن الاختلافات في البناء الأسري يؤثر على تكوين المسكن من حيث المساحة ومسطح المطبخ وعدد الحمامات وغرف المعيشة وغرف النوم، كالأسرة المكونة من أحد الوالدين فقط أو الأسر الممتدة أو الأسر متعددة الزوجات.²

✓ العوامل الاقتصادية:

والتي تحدد الأنماط الأساسية للمسكن الريفي، فضلا عن دورها في اختيار مواد البناء وتصميم المساكن من خلال تجمع المنازل وعدد الغرف ودرجة العناية بوسائل التدفئة وتوافر نوعية الأجهزة المنزلية والكهربائية.³ وتوجد في مختلف دول العالم ثنائية عمرانية تتمثل في:

- البناء القديم الذي يعد انعكاس لمعطيات البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان والسكان في بلد معين أو جزء منها
- البناء الحديث الذي شاع في أنحاء العالم بعد اكتشاف العديد من المواد التي تستخدم في البناء والتي قد لا تتماشى مع الظروف البيئية¹

¹ عمر محمد علي محمد، مرجع سابق، ص 363

² عاصم عبد الحميد محمد التركي، مرجع سابق، ص 20

³ عمر محمد علي محمد، مرجع سابق، ص 364

✓ العوامل الثقافية:

لقد خلصت معظم الدراسات التي تناولت العمران الريفي إلى أن ثقافة الجماعة من العوامل المهمة لعملية التشكيل المعماري، ذلك من خلال ارتباط النتاج البنائي بالأنساق الثقافية الخاصة بها، والتي يتم تشكيلها وصياغتها عبر فترات ممتدة من الزمن². فما يؤثر على شكل المسكن هو تصور الجماعة عن الحياة المثالية³. إن ربط الثقافة مع البيئة المبنية يستدعي استعمال عناصر ومكونات الثقافة عند التحليل، نظرا للمعنى الواسع لكلمة ثقافة، ومن بين تلك العناصر المهمة التي لها تأثير على شكل المسكن ما يلي:

- القيم: والتي تقود إلى تكوين المعايير، وباختلاف القيم تختلف معايير اختيار وتصميم المسكن
- الصورة الذهنية: يكون الإنسان صورة ذهنية تصف أسلوب الحياة المفضلة، وتصور البيئة الداعمة لهذه الحياة.

إن القيم والصور الذهنية تقود إلى تأسيس المعايير والقواعد التي تهدف إلى بناء بيئات مثالية قدر الإمكان، كما تساعد أيضا على تقييم البيئات الموجودة، ومن جهة أخرى يعكس أسلوب استعمال الغرف والقواعد والمعايير الشخصية لمستعمليه⁴

- أسلوب الحياة: جميع المتغيرات الاجتماعية والثقافية يمكن فقط أن تكون ذات صلة بتصميم البيئة المبنية إذا أثرت على أسلوب الحياة وبالتالي على تصميم المدينة أو الحي أو القرية، أو المسكن⁵

¹ المرجع نفسه

² عاصم عبد الحميد محمد التركي، مرجع سابق، ص17

³ المرجع نفسه، ص 19

⁴ المرجع نفسه، ص20

⁵ المرجع نفسه

- الهوية: يمكن التعبير عنها باستعمال عناصر البيئة المبنية، مثل الموقع العام وتخطيط المجاورات، وتصميم المباني والتصميم الداخلي والخامات والتشطيبات والألوان، وترتيب الغرف واستعمالها الخ¹
- المكانة الاجتماعية: للمسكن دور هام في التعبير عن المكانة الاجتماعية، وذلك من خلال استعمال الأشكال وأساليب الإنشاء، فنجد مثلاً في القرى أن مواد وطرق البناء الحديثة تستعمل من قبل أفراد ذو مكانة في المجتمع أولاً ثم تقلد من العامة لارتباطها بصورة الثراء وارتفاع المنزل الاجتماعية²

ثالثاً: المجتمع الريفي الجزائري وخصائصه:

-تطور المجتمع الريفي بالجزائر:

بالرغم من تشابه نمط الحياة الريفية في معظم دول العالم، ويغض النظر عن الفروق البيئية بينها، فإن الريف الجزائري له مميزاته الخاصة، التي ترجع لطبيعة الأحداث التاريخية الطويلة التي مر بها المجتمع الجزائري. فهذا الأخير، يعد الريف ركيزته الأساسية، ومحور ثقافته. وحتى الحياة في الأوساط الحضرية في الفترات السابقة لم تكن كما نراها اليوم في المدن، بل اتسمت بمظاهر الريف على حد سواء،³ يرجع ذلك إلى طبيعة نظامه الاقتصادي (المجتمع الجزائري)، الذي جعل من الأرض وليس المال المصدر الأساسي لإنتاج الثروة والقاعدة التي ينهض عليها الإنتاج المادي

¹ المرجع نفسه

² المرجع نفسه

³ العقاب خليل، المجتمع الريفي في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية "ملاح ودلالات"، مجلة سسيولوجيا

ومن الريف وليس الحضر، مركز القوة ومحور العلاقات الاجتماعية والسياسية في المجتمع¹. ولعل أبرز ما يميز هذا الاقتصاد كذلك، ارتكازه على الاقتصاد المنزلي، الذي يتسم بالتموين والاكتفاء الذاتي، أي قيام أفراد الأسرة الذين يعملون جماعيا بتوفير احتياجاتهم من الإنتاج الزراعي، ومنتجات الصناعة اليدوية التي يحتاجون إليها². ويمكن أن نتبع المشهد الريفي بالجزائر من خلال ثلاث مراحل لكل مرحلة مميزات خاصة كما يلي:

❖ المجتمع الريفي قبل الاحتلال:

أكدت مختلف الوثائق والدراسات التاريخية والسوسيولوجية والاقتصادية والأنثروبولوجية والجغرافية، أن التطور التاريخي للمجتمع الريفي الجزائري وبنيته، عرف وجود فترة كان فيها هذا المجتمع يعيش حالة من الاستقلالية في تنظيماته الاقتصادية والاجتماعية بعيدا عن كل تدخل مؤسساتي خارجي يعمل على مراقبة نشاطاته و يفرض عليه أنماطا سلوكية أو ثقافية بطريقة قسرية أو إكراهية³. ويذكر لنا محمد السويدي أن سكان الريف قد عاشوا في مجتمع عشائري (قبلي) مارسوا فيها عملهم الزراعي على أساس تعاونية جماعية، دون أن يكون في داخل هذا التنظيم تحديد ظاهر لحقوق الأفراد في ملكيتها⁴. فنظام الملكية في الريف كان بسيطا يعتمد على العرف والعادة

¹ دحماني سليمان، ظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية. العلاقات، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا،

جامعة تلمسان، سنة 2005 - 2006، ص 18

² المرجع نفسه، ص 17

³ مصطفى مرضي، المجتمع الريفي: من الاستقلالية إلى التبعية: معالم ودلالات، انسانيات، عدد 7، 1999،

ص 11-14

⁴ محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص 72

والقانون الإسلامي، ويقوم على أربعة فئات هي: أرض البايك، والأرض الجماعية (العرش)، وأرض الحبوس والملكية الخاصة (الملك)¹.

إن التطرق إلى تفاصيل تلك الأنواع من الملكيات أثناء تلك الفترة، يبين لنا بالدرجة الأولى أشكال العلاقات بين أفراد المجتمع في الجزائر، والمجتمع الريفي على وجه الخصوص. "ف نجد أن أرض البايك وهي أرض الدولة تخصص لها عقود تسجيل مثبتة في سجلات خاصة، وهذا النوع من الأرض ليس له قيمة بالنسبة للفلاح الجزائري، وسميت هكذا تميزا لها عن غيرها من الأراضي الأخرى². أما النوع الثاني فهي الأرض الجماعية "العرش" فهي تنتشر في المناطق التي استقر بها البدو وشبه البدو ، حيث يمارسون فيها الزراعة والرعي، وهذا النوع من الملكيات الجماعية للأرض سائدة لدى أغلبية أفراد المجتمع الريفي الجزائري وتمتد على مساحة واسعة وتقوم باستغلالها مجموعات تعاونية تقوم بزراعتها عن طريق التعاون³. أما بالنسبة لأرض الحبوس فتتمثل في أنها وقف على المساجد والمؤسسات الخيرية بالإضافة إلى هذا نجد أرض الملك والتي تخص أفراد دون عقود ملكية واضحة، غير أن أخصب هذه الأراضي كان يعود إلى العائلات التركية، أما الملكيات التي تعود إلى الجزائريين، فنقوم أساسا على التضامن العائلي وتحريم بيع الممتلكات⁴. "من خلال هذه الرؤية البسيطة الخاصة بتلك الفترة يمكن استخلاص بعض الخصائص التي تميز بها المجتمع الريفي بالجزائر، كرسوخ قيم روح التضامن والعصبية المستمدة من ما قبل التواجد الإسلامي والتي بقيت راسخة لدى أفراد المجتمع، الأمر الذي يؤكد أن سكان الجزائر هم سكان القرى والأرياف،

¹ المرجع نفسه، ص 73

² المرجع نفسه

³ المرجع نفسه

⁴ المرجع نفسه

ويمثلون المجتمع القبلي القائم على التعصب للعلاقات القرابية والعائلية. فبالرغم من تعاقب الدول والحضارات لم يكن بالإمكان تغيير الطابع القبلي ولا قيم التضامن والتعصب للأرض والقرابة، إذ كانت تلك المظاهر راسخة في بنيتها الذهنية، مع اللجوء إلى أشكال المساعدات المتبادلة في ميدان الأشغال الكبرى من إقامة منشآت مائية، و عمليات الحرث و البذر و الحصاد و جميع الأعمال الأخرى التي تفوق طاقة كل عائلة بمفردها¹

❖ المجتمع الريفي أثناء الاستعمار الفرنسي:

يعتبر الاستعمار الفرنسي للجزائر بمثابة إسكان، وليس مجرد استعمار استغلال²، ولم يكن من هدف له في نظر الفرنسيين سوى استملاك الأراضي والثروات الطبيعية للبلاد³ ونتيجة لهذا انتقل العديد من الأوروبيين واستوطنوا الجزائر⁴. وقد نصحوا بالاستقرار في المناطق والسهول الشمالية التي تحدها جنوبا جبال الأطلس التلي، وإقامة نوع من الحدود تحد مراكز استقرار الأوروبيين، حتى أن بعض الفرنسيين نادوا بحفر خنادق حول السهول الخصبة كسهل متيجة، وطرد سكانه خارجه. بهدف توفير الحماية للمستوطنين⁵. ولعل الكلمة التي وجهها المارشال كروزيل سنة 1830 بمناسبة تقلده منصب كوال لدليل على النية الحقيقية للمستعمر حيث قال: "لكم أن تنشئوا من المزارع ما تشاءون، ولكم أن تستولوا عليها في المناطق التي نحتلها، وكونوا على يقين بأننا سنحميكم بكل ما

¹ مصطفى مرضي، مرجع سابق، ص 11-14

² محمد السويدي، مرجع سابق ص 74

³ مصطفى الاشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص

⁴ محمد السويدي، مرجع سابق ص 74

⁵ المرجع نفسه

نملك من قوة ... وبالصبر والمثابرة سوف يعيش هنا شعب جديد وسوف يكبر ويزيد بأسرع مما كبر وزاد الشعب الذي عبر المحيط الأطلسي واستقر في أمريكا منذ بضعة قرون".¹ وقد تكونت أولى الجماعات التي استقرت على أرض الجزائر، من جنود وضباط الحملة العسكرية الذين نزلوا ابتداء من سنة 1830، وتمكن نفر منهم شراء الأرض الواقعة حول الجزائر العاصمة بأبخص الأثمان من أصحابها الفاريين، الذين تعرضوا لضغط متواصل من المستوطنين فاضطروا لبيع أراضيهم.² ومما ساعد كذلك على استيلاء هؤلاء المستوطنون على مساحات واسعة من الأراضي هو نزوح السكان وكان ذلك أولا باتجاه الغرب إلى وهران بالنسبة لسكان متيجة، حيث كانت لا تزال تحت مقاومة الأمير عبد القادر، وبعد إخمادها سنة 1847 استمر النزوح وهذه المرة باتجاه الجنوب إلى الصحراء. و كانت النتيجة أن فقد الجزائريون 45 بالمائة من أراضيهم. إذ لكي يثبت أحد أبناء الريف ملكيته أمام الإدارة الفرنسية، عليه أن يجر وراءه أفراد العشيرة كلهم، وعليه أن يتحمل نفقات كبيرة، الأمر الذي يضطر معه في الأخير التنازل عن أرضه للفرنسيين. أي أن الهدف من هذه العملية هو الاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأراضي الزراعية. وبالتالي فحركة الاستيطان المنظمة والممتدة أدت إلى تفتيت النمط الزراعي الجماعي، عن طريق القوانين التي تسمح ببيع أراضي المؤسسات الدينية الإسلامية، وتشجيع رجال الأعمال للحصول على أراضي القبائل أو أراضي العائلات.³ وفي جميع الحالات فالنتيجة أدت إلى تقليص أراضي الجزائريين.

¹ مصطفى الاشرف، مرجع سابق، ص80

² محمد السويدي، مرجع سابق ص74

³ المرجع نفسه، ص75

الجدول رقم: (1) يبين تطور ملكية المعمرين للأراضي في الجزائر من سنة 1850 إلى 1951

السنة	المساحة بالهكتار
1850	150.000
1870	765.000
1900	1682.000
1930	2364.000
1940	2720.000
1951	2727.000

المصدر: محمد السويدي. مرجع سابق ص 75

تظهر الإحصائيات الكم الهائل من الأراضي التي استولى عليها المعمرون، كما تبين حجم التحولات التي تعرضت لها المناطق الريفية، والتي لعبت دور فعال في التأثير على التركيبة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، حيث سعى الاستعمار من خلالها إلى تهجير السكان من أراضيهم، إذ لم يكن بإمكانهم العودة إليها إلا بصفتهم عمال لدى المعمرين أو مجرد خماسيين كما أصبح الكثير منهم. فالإدارة الاستعمارية أثناء تلك المرحلة، قد نجحت وإلى حد كبير في طمس العديد من القيم الثقافية المرتبطة بالبنية الاجتماعية، وفي مقدمتها التنظيمات القرابية التقليدية. حيث العائلة تقتن صفتها بعمليات الإنتاج الفلاحي (...) وصلابة الأسرة و قرابة الدم الذي كان عامل مؤثر في العمليات الإنتاجية، لأنه وكلما كانت الأرض خصبة، منتجة وذات جودة كبيرة كلما

زاد تماسك الأفراد بإرثهم، وهنا يلعب الدم والمعتقدات دورا كبيرا في الحفاظ على الهوية الريفية.¹ وخلاصة القول، أن الريف الجزائري آنذاك كان يقوم على النظام العشائري (القبلي)، وكان للعامل الطبيعي أهمية في تحديد موقع المدينة، ومدى تأثيرها في المناطق الريفية المجاورة، كما ارتبط تطورها ونموها بتطور النظام السياسي وتدهوره.² ومع دخول الاستعمار للجزائر بدأت مرحلة جديدة، تمثلت في المدن الاستعمارية وطبيعة حياتها الحضرية. حيث رافقتها ظاهرة تضخيم المدن واتساعها إضافة إلى تطور بعض المدن القديمة نتيجة لاتساع وظائفها الجديدة، ومع ذلك بقيت الجزائر (الوطن) ذات طابع ريفي في مجمله.³

❖ مرحلة ما بعد الاستقلال:

اتضح مما سبق أن السياسة الاستعمارية كان هدفها بالدرجة الأولى القضاء على المنظومة القيمية للإنسان الريفي من خلال تفكيك روح التضامن وتجزئة البناء الاجتماعي، وقد اعتبر الريف بالجزائر وإلى غاية انتهاء الثورة التحريرية، بمثابة الحصن المنيع للدولة الجزائرية في مواجهة أي تدخل خارجي أجنبي لما يتميز سكانه من صفات اجتماعية، ولا ينفي هذا الأمر المساعي الاستعمارية لمحو قيم المجتمع المتوارثة، وزرع قيم أخرى متطفلة. فمن أجل ذلك حرص الاستعمار على نشر الجهل ومحاربة العلم وتقدير الشعب. مما يؤكد ان التركة الاستعمارية كان لها وقع كبير في مرحلة ما بعد الاستقلال، وهي الفترة التي شهدت بداياتها تناقص كبير لسكان الريف في مقابل

¹ بن عرفة إبراهيم، جمال معتوق، البناء الاجتماعي الريفي والنشاط الفلاحي في الجزائر مقارنة أنثروبولوجية،

مجلة الفكر المتوسطي، عدد 13، 2018، ص 169

² محمد السويدي، مرجع سابق، ص 80

³ المرجع نفسه

زيادة معتبرة في المدينة أو الحضر خاصة خلال فترة ما بين 1966 و1977 كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم(2): تطور الهجرة الريفية

البيان السنة	1966	1973	1977
العدد الإجمالي للسكان	11.8 مليون	14.7 مليون	16.9 مليون
عدد السكان	3.9 مليون	5.7 مليون	7.10 مليون
النسبة المئوية 2 إلى 3	33 بالمائة	3.9 بالمائة	42 بالمائة
عدد سكان الريف	7.9 مليون	9 مليون	9.8 مليون
النسبة المئوية 4 إلى 1	6.7 بالمائة	61 بالمائة	58 بالمائة
الهجرة الريفية المتراكمة		840.000	520.000

المصدر: محمد السويدي مرجع سابق، ص 78

وقد جاء هذا التطور نتيجة لعوامل سياسة واقتصادية واجتماعية نذكر منها:

- تردي الأوضاع في الأرياف بعد رحيل المستعمر وإحراقه لعدد معتبر من الأراضي¹، نتيجة لذلك فبعد الاستقلال وفتح المحتشدات، اتجه السكان إلى التركيز في المدن عنها في الأرياف
- زيادة النزوح الريفي نحو المدن نظرا لتفوقها في مجال فرص الشغل وكذلك الخدمات والمرافق المختلفة في مجال التعليم والعلاج والتموين بالمواد الغذائية مما أدى إلى ارتفاع الكثافة السكانية بالمدن وكذلك معدلات النمو الحضري بها².

¹ نبيلة خبارة، تطور النسق الثقافي الريفي لسكان الريف الجزائري، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم

الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، سنة 2010، 2011، ص 76

² المرجع نفسه

- إعادة هيكلة القطاع الفلاحي وتوزيع الأراضي العمومية وحرمان بعض شباب الارياف من حق الاستفادة منها الامر الذي أدى إلى انخفاض نسبة العمالة الفلاحية¹، مما ساعد في التوسع السريع في طلب قوة العمل خارج ميدان الزراعة إلى جانب تفاوت الأجور بين النشاطات الزراعية والنشاطات غير الزراعية لمستوى واحد من التأهيل المهني أدى إلى تغذية هجرة زراعية هامة جزئية أو تامة أخذت تتحول بصورة تدريجية إلى هجرة ريفية²

- غياب الأمن في المناطق الريفية نتيجة الأحداث السياسية التي شهدتها البلاد سنوات التسعينيات، والتي أدت بدورها إلى تخلي بعض السكان عن أراضيهم وممتلكاتهم والتوجه نحو المدن التي كانت أكثر أمنا من تلك المناطق.

كل هذه الأحداث وغيرها طيلة تلك الفترات المتعاقبة أدت إلى تناقص أعداد السكان بالريف الجزائري وزيادتهم في المناطق الحضرية

وفي إطار برامج التنمية الريفية، عرف المجتمع الريفي الجزائري عبر فترات لاحقة تغيرات كبيرة في بنيته من خلال البرامج التي عرفها هذا الوسط على جميع النواحي، كبناء المراكز الصحية الريفية وشق الطرقات الصعبة وأيضا دعم سكانها بالسكن الريف والكهرباء الريفية وغيره على أساس أنها تنمية بموجبها يملك المجتمع الريفي الوسائل اللازمة لتحقيق الازدهار والرفاه وبحسن مستوى معيشتها اجتماعيا واقتصاديا. فعلى المستوى الاجتماعي يكون هدف تلك النشاطات تحقيق التطور الاجتماعي على جميع المجالات خاصة ما تعلق منها بالتجهيزات (السكن، الكهرباء، الطرق، المدرسة...). أما الجانب الاقتصادي يكون من خلال التنمية الفلاحية في المناطق ذات المؤهلات،

¹ www.ons.dz .statistiques sociales / emploi et change (au quatrième trimestre 2007) p.02

² عبد الحميد بن اشنهو، الهجرة الريفية في الجزائر، ترجمة عبد الحميد أتاسي، المؤسسة الوطنية، الجزائر، بدون

بهدف رفع الإنتاج وتحسين الأداء، وتطوير النشاطات الغير فلاحية وخلق مصادر جديدة للنشاط، كالصناعات التقليدية والحرفية في المناطق التي تقل فيها المؤهلات الفلاحية. ويكون ذلك عن طريق المساعدة والتشديد وتطوير وسائل الإنتاج كل هذا من أجل بناء الانسجام الاجتماعي بمشاركة مجتمع الريف، وتغيير في وعي أفرادها وتحسين الإطار المعيشي للسكان.¹

-الخصائص البنائية والمعارية للمجتمع الريفي الجزائري:

الخصائص البنائية:

إن أول ما نلاحظه عن طبيعة الحياة الاجتماعية في الوسط الريفي ويعتبر أساس بناءه، طبيعة البناء الأسري الذي يغلب عليه النمط الممتد والذي في الغالب مكون من أسرتين نوويتن أو أكثر، وتضم الأسرة الريفية في نفس الوقت أكثر من جيلين فنجد فيها الأجداد والأبناء والأحفاد، وتتميز بكبر حجمها². والعائلة الريفية تعتبر وحدة إنتاجية اقتصادية أساسية، تفترض في أعضائها التعاون معا والاعتماد على بعضهم البعض في جميع المجالات³. فالفرد يعيش في كنفها ويتشرب قواعدها التنظيمية ويخضع لعاداتها وتقاليدها ويتفاعل تفاعل مباشر مع الأفراد المكونين لها. كما يفضل لدى العوائل الريفية الجزائرية، الزواج المبكر إذ يخضع لقيود العادات والتقاليد، كما يتميز أفرادها بالقناعة والرضى والزهد، وكذلك تمتاز بكثرة مواليدها وتفضيل الذكور على الإناث⁴. مما يوضح أن السلطة الأبوية هي المسيطرة والواجبات جماعية لكن مع وجود بعض التنظيمات التي ربما تميز

¹ العقاب خليل، مرجع سابق، ص 181

² عبد السلام سليمة، بوسكرة عمر، مكونات البنائية والوظيفية للمجتمع المحلي الريفي، مجلة سوسولوجيا، مجلد

3، عدد 1، 2019، الجزائر، ص 39- 58

³ حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 1984، ص 175

⁴ نبيلة خيرة، مرجع سابق، ص 69

العائلة الريفية الجزائرية عن غيرها في البلدان الأخرى¹. ومن بين الظواهر المهمة في التنظيم الاجتماعي وعلاقته بالعائلة، اقتران اسم العائلة بالمنزل الذي تسكنه وتتوارثه جيلا بعد جيل فيستعمل مصطلح البيت أو الدار بمعنى عائلة. فمثلا يقال فلان من بيت فلان أو دار فلان، أي من عائلة فلان، وبسبب هذا الاقتران تحافظ القرية محافظة فائقة على منزل العائلة،² أما الحياة الاجتماعية خارج نطاق العائلة في الوسط الريفي الجزائري فتتميز بحب معرف الآخرين وأن يكون الفرد معروفا لديهم، فهو بحاجة إلى الاندماج والاجتماعية، فهذه العلاقات الخارجة عن نطاق العائلة تحفظ خصوصية كل عائلة وتقوي الروابط بينها وتؤدي إلى ظهور جماعات موسعة حسب الظروف والحاجيات³.

وعلى العموم يمكن أن نميز ثلاث أنواع من العوائل والتي تشكل طبيعة البناء الأسري للمجتمع الريفي بالجزائر وهي كما يلي⁴:

عائلة فلاحية: تمارس الفلاحة بجميع أشكالها، الزراعية والحرفية تملك قطع صغير من الماشية ومساحة زراعية صغيرة، تعتمد على منتوجاتها النباتية والحيوانية لقضاء حاجياتها

عائلة حرفية: تمارس الفلاحة كنشاط مأجور يعني تقنات لدى العائلات الفلاحية الغنية التي هي النموذج الثالث مقابل أجرة شهرية متفق عليها، وتعمل منتوجات فلاحية ذات طابع مهني تجاري مثل المنسوجات والفخاريات والطين

¹ المرجع نفسه

² حليم بركات، مرجع سابق، ص 83

³ نبيلة خيرة، مرجع سابق، ص 69

⁴ رابح درواش، علم الاجتماع العائلة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011، ص 142

عائلة البرجوازية: من العائلات الغنية والتي تعتبر ذات الرأسمال الفلاحي الكبير لها قطاعان كبيرة من الماشية وأراضي زراعية ذات مساحات شاسعة، وتحتاج لتأجير أشخاص للعمل لديها

المعايير الاجتماعية في الريف الجزائري:

تعرف المعايير الاجتماعية على أنها كل ما يتعلق بالتقاليد والعادات، والقيم الثقافية، والأعراف التي يتميز به مجتمع معين، وتختلف من جماعة لأخرى حسب الموروث الاجتماعي المكتسب، حيث تتمثل وظيفتها في تماسك الجماعة، إذ تصبح مرجعا وقانون اجتماعي ملزم للفرد والجماعة، فهي تحلل وتحرم معظم الممارسات الاجتماعية داخل المجتمع. ومن أبرز المعايير الاجتماعية التي يمكن التوقف عندها في المجتمع الريفي الجزائري نذكر ما يلي:

✓ العادات والتقاليد:

يمتاز المجتمع الريفي الجزائري بمقومات أساسية تبنى عليها قناعات توجه النشاط سواء كان فكريا أم عمليا وفق منظومة متكاملة تحوي أبعاد الحياة الاجتماعية ولواحقها، إلا أن هناك في الريف الجزائري بعض المقومات التراثية التي تزاخم المقومات الدينية المبنية أساسا على التعاليم الإسلامية يمكن أن نصنفها ضمن عادات وقيم هذا المجتمع، ومنها على سبيل المثال:

- زيارات قبور الأولياء الصالحين، والتبرك بهم وربط كل شيء بالروحانية إضافة على بعض الآداب والعادات المستحبة مثل احترام الكبار وكرم الضيافة وأهل العلم
- تمسك الإنسان الريفي الجزائري ببعض القيم التي تمثل جزء لا يتجزأ من حياته كارتباطه بالأرض وقيمته الدينية، فهو مرتبط بالأرض لدرجة التقديس، حيث تمثل جذوره وشرفه، والتخلي عنها يكون بمثابة التخلي عن عرضه

- قيم عائلية تتجلى أساسا في المحبة والتعاون والأخوة فالاعتداء على الفرد هو اعتداء على الجماعة، فالأخ رفيق وسند وظهر مهما دعت الظروف للتناقض والاختلاف.¹ إضافة إلى قيم الجيرة وما تتطلبه حياة الريف من تكاثف وحل مشاكلهم بالتوسط والمصالحة دون اللجوء للمحاكم والمسالمة طالما لا تهدد الأرض والعائلة.²

✓ الدين والمعتقد:

يدين سكان الريف بالجزائر كلهم بدين الإسلام ويتمسكون به وبأقوال علمائهم، لذا نجد أن معظم الزوايا الدينية في الجزائر تأسست في إطار الحياة الريفية، حيث كانت تعتبر مراكز مهمة لتعليم الأفراد وتوعيتهم، ويقتصر دورها بالدرجة الأولى على تحفيظ القرآن الكريم والدروس والمواعظ التي تشملها. كما يعتبر الدين الركيزة الأساسية للحياة الاجتماعية، والمسير والمتحكم في تسيير النشاط الاجتماعي في الريف، وهو أساس معظم تفسيراتهم لأغلب الظواهر التي تطرأ عليهم،³ وتتداخل مع الجانب الديني معتقدات مغايرة للعقيدة الإسلامية منتشرة على نطاق واسع في الوسط الريفي الجزائري وتحتل أضرحة الأولياء كما ذكرنا سابقا أهمية خاصة في تعبدهم الطقوسي، فيقدمون لها بصرف النظر عن انتمائهم الديني، القرايين والنذور ويحرقون البخور والشموع طالبين منها أن تحل لهم مشاكلهم اليومية.⁴

ومن بين المعتقدات المتزامنة مع هذه الطقوس هو على سبيل المثال "اعتبار شجرة الزيتون شجرة مباركة، وشجرة الدفلى شجرة الشيطان، ونسبت للشيطان لأنها سامية، وأكل ثمارها أو أوراقها قد

¹ نبيلة خيرة، مرجع سابق، ص 71

² المرجع نفسه

³ المرجع نفسه، ص 72

⁴ حليم بركات، مرجع سابق، ص 83

يسبب الموت، أما الأولى ولأنها مذكورة في القرآن الكريم فهي شجرة مباركة، وبالتالي فهي معارف دينية وليست دراسة ايكولوجية أو طبيعية¹، وفي مجال الصحة نجد أيضا بعض المعتقدات والممارسات التي ترتبط بالطب الشعبي سواء في معالجة الأفراد أو الحيوان أو النبات ومثال ذلك تغطية أجساد الأطفال المصابين بالحصبة بملايس ذات اللون الأحمر، وكذلك تناول حساء الديك البري لمعالجة الأنفلونزا.

✓ العرف والقانون:

ينعكس العرف والقانون فيما يزاوله الأفراد من أعمال، وما يلجأ إليه في كثير من مظاهر سلوكهم الجمعي وينحصر نطاقه في طبقات أو مجموعات معينة داخل المجتمع². فهو بمثابة الدستور التي تسنه "الجماعة" بالتعبير المحلي والتي تنظم من خلاله قوانين الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فهو يرتبط بالناحية العقائدية والعقلية السائدة في مجتمع ما. تتجلى مظاهره في المجتمع الريفي الجزائري على سبيل المثال، في تقاليد الزواج وما يرتبط بها من قوانين محددة لشروطه، وحل النزاعات بين العائلات، وسن قوانين الضبط الاجتماعي لأفرادها كتحديد وضع المرأة في المجتمع، وما ينبغي أن تكون عليه العلاقات الاجتماعية كاحترام مشاعر الآخرين، والتعاون معهم ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم . أما من الناحية الاقتصادية فينظم العرف الحياة الزراعية من خلال وضع قوانين استغلال موارد المياه للري حسب المساحة المتاحة لكل فرد، مع تحديد مواسم الجني والحصاد، ومناطق الرعي المخصصة لأغنامهم.

أخيرا والجدير بالذكر أن المجتمع الريفي الجزائري عرف ولا زال تحولات مست بنياته الاجتماعية والثقافية، بفعل العديد من العوامل السياسية والاجتماعية، خاصة تلك المتعلقة بالجانب الثقافي،

¹ المرجع نفسه

² العقاب خليل، مرجع سابق، ص 46

حيث أدت إلى ما يسميه العديد من الباحثين "الصراع القيمي" داخل المجتمع، وهو صراع قائم أساساً بين القيم التقليدية والقيم الحديثة الدخيلة على المجتمع والتي سنتطرق لمظاهرها في الفصل اللاحق الخاص بالتغير الاجتماعي والثقافي.

خلاصة الفصل:

يتضح لنا مما تم عرضه حول المجتمعات الريفية والقروية، طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية التي تتميز بها، والتي تستمد معالمها بالدرجة الأولى من تلك العلاقة المباشرة مع الأرض والبيئة، حيث تؤسس لنظام اجتماعي أولي قائم على العلاقات القرابية، وهو الأمر الذي كان محل نقاش بين مختلف الباحثين الاجتماعيين في تمييزهم للمجتمعات الريفية والقروية عن المجتمعات الحضرية. ومن ثم فقد حددوا مظاهرها وعوامل انتقالها، باعتبارها علاقات تتأثر بما يطرأ عليها من تغيرات مرتبطة أساسا بالمجتمع الكبير الذي يحويها، سواء السياسية أو الاجتماعية والثقافية. كما حدد الجغرافيون الطبيعيون من جهة أخرى، طبيعة المجال العمراني والسكني للمجتمع الريفي الذي يعد أيضا انعكاس للظروف البيئية، حيث أبرزت جل دراساتهم، الممارسات الاقتصادية لأفراد المجتمع الريفي وانعكاساتها على طبيعة المسكن الريفي والجانب العمراني بشكل عام. وقد تجسدت تلك النظريات والدراسات، على أرض الواقع حين تم التطرق لخصوصيات المجتمع الريفي الجزائري.

الفصل الخامس

دينامية التغير

تمهيد:

لا يمكن فهم واقع الدراسة الميدانية التي تهتم بتأثير التحولات الاجتماعية الثقافية على البيئة المبنية التي يمثلها المسكن، دون الإلمام بموضوع التغير الذي يحدث في مجمل الحياة الاجتماعية، والاعتماد عليه كخلفية نظرية، فالتغير يعد من أهم الظواهر الملازمة للإنسان منذ وجوده، وأحد القواعد التي تحكم المجتمعات البشرية في جميع مراحل تطورها، إذ لا ثابت إلا الثبات نفسه حسب تعبير العديد من الفلاسفة، الذين اهتموا بهذا الموضوع. لذا سنحاول في هذا الفصل الكشف عن المفاهيم والتعريفات المتعلقة بالتغير الاجتماعي والثقافي، إضافة إلى أهم العوامل المؤثرة فيه وأهم النظريات المفسرة له، كما سيتم التعرض لأبرز مظاهره في المجتمع الجزائري لأجل التقرب أكثر بموضوع الدراسة خاصة في بعده البنائي والوظيفي للحياة الاجتماعية.

أولاً: التغير الاجتماعي والتغير الثقافي:

- التغير الاجتماعي وخصائصه:

التغير الاجتماعي كمفهوم معترف عليه في الدراسات الدينامية، يعتبر من السمات التي لازمت البشرية منذ فجر نشأتها حتى عصرنا الحاضر، لدرجة أنه أصبح لزوماً للبقاء البشري، وتفاعل أنماط الحياة على اختلافها لتحقيق لنا باستمرار أنماطاً قيماً اجتماعية جديدة يشعر في ظلها الأفراد بأن حياتهم متحركة ومتجددة، وأنها في حركتها تتطلب منهم الحركة الدائمة والمسايرة الكاملة دون تخلف أو تشبث بالقديم¹ والواقع أن ظاهرة التغير الاجتماعي ظاهرة طبيعية تخضع لها جميع مظاهر الكون، والمجتمعات الإنسانية بجميع ظواهرها خاضعة للتغير المستمر². وقد عبر عنه الفيلسوف اليوناني هيراقليدس منذ القدم، في مقولته أن "التغير قانون الوجود والاستقرار موت وعدم" ومثاله الشهير عن التغير "إنك لا تنزل البحر مرتين فإن مياهها جديدة تجري من حولك أبداً"³. فلا يمكن الموافقة بالجمود نفسه أو التسليم به، إذ يكفي أن ننظر إلى المجتمعات ليتبين لنا حجم التغيرات التي طرأت عليها عبر التاريخ، وخلال فترة طويلة كان الفلاسفة ومن بعدهم علماء الاجتماع متمسكين بافتراض مفاده أن التغير يخضع لنموذج متميز، بالنسبة لأنصار التيار الماركسي فالتغير ينجم عن "تناقضات" وهي فكرة جوهرية في تقاليد هذا التيار وفلسفته. وبالنسبة لآخرين على غرار نيسبه (Nesbet) فالتغير ينجم عن أسباب وعوامل خارجية. ويؤكد البعض على أثر سان سيمون وكون (Comte) ، أن جميع المجتمعات تتجه بالضرورة نحو حالة مثالية أفضل. ويفسرون آخرون ممن يعتبرون امتداداً لفكر روسو (Rosso) على أنه تراجع وانحطاط. ويريد

¹ العقاب خليل، مرجع سابق، ص 182

² دلال ملحق استثنائية، مرجع سابق، ص 21

³ المرجع نفسه، ص 19

البعض أن يرى في هذا الوجه أو ذاك للأنظمة الاجتماعية أو في هذا العامل أو ذاك، الأسباب الحاسمة للتغيير: إن تطور التجارة العالمية يلعب في هذا الصدد دورا مهما في فكر مونتيكيو، ولكن أقل خصوصية من التنظيم الاقتصادي للمجتمعات لدى ماركس، ومن التطور العلمي والتقني لدى كونت، أو من الدين لدى فوستيل دوكلانج¹ (Fustel de Coulanges). لقد اهتمت تلك التوجهات في مجملها عن أسباب التغير، والتي ترجعه إما للتطور التقني أو الشروط المادية للإنتاج، أو في تحول نظام القيم في المجتمع، كما يتأكد لنا أن موضوع التغير، قديم الاهتمام لدى الباحثين الذين حاولوا تفسيره في أغلب دراساتهم حول النظم الاجتماعية، إلا أن المفهوم كان مختلطا مع مصطلحات أخرى مثل التطور، التقدم، التنمية والنمو، التي لا توفر البعد المنهجي الموضوعي لدراسة التغير من الناحية العلمية، فهي تحمل معنى قيميا يتأثر بالمنطلقات الذاتية للدارس، في حين أن التغير الاجتماعي يصف الواقع كما هو كائن فعلا، وليس ما يجب أن يكون². ومع بداية القرن العشرون أصبح من غير الجائز الخلط بين تلك المصطلحات في ميدان العلوم الاجتماعية مع تقدم أبحاثها، ومنذ أن وضع (Willi Ogbern) وليم أجبرن كتابه المعروف التغير الاجتماعي عام 1922 اتخذت الدراسات في هذا الموضوع منهجا علميا، وتتابع بعد ذلك بشكل ملحوظ³. فقد عرف أجبرن التغير الاجتماعي، أنه " كل تحول في البناء الاجتماعي يلاحظ

¹ ر. بودون و ف. بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية،

الجزائر، ط 1، ص، 167

² عبد الغني عما د، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات ... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات

الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006، ص 191

³ المرجع نفسه، ص 188

في الزمن ولا يكون مؤقتا سريع الزوال لدى فئات واسعة من المجتمع ويغير مسار حياتها¹، فهو يعطي أولوية النظر إلى البناء الاجتماعي لأي جماعة اجتماعية عند تفسير ظاهرة التغير الاجتماعي. يوافقه في هذا الطرح جنزبرج حيث يقول: "أني لا أفهم تغيرا يتم، إلا في بناء المجتمع، أي في حجمه وتركيب أجزائه وشكل تنظيمه الاجتماعي، وحينما يحدث هذا التغير في المجتمع يمارس أفرادهم مركزا وأدوارا اجتماعية مغايرة لتلك التي كانوا يمارسونها خلال فترة زمنية سابقة"². ويرى عاطف غيث أن التغير الاجتماعي هو تغير في البناء والوظائف والقيم التي تؤثر في الأدوار والتفاعل الاجتماعي كالانتقال من النمط الإقطاعي للمجتمع إلى النمط التجاري الصناعي، ومن نظام تعدد الزوجات إلى نظام وحدانية الزوجة، ومن الملكية المطلقة إلى الديمقراطية، والتغير في مراكز الأشخاص يكون بحكم تغير وتقدم السن³. فالتغير الاجتماعي إذن هو كل تحول يحدث في النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنية محددة، وأي تغير يحدث إلا ويؤدي إلى تغيرات فرعية بمستويات مختلفة في جوانب الحياة الأخرى⁴. كما أن التغير الاجتماعي يحدث في بعض الأنساق التي تؤثر في القيم والسلوك والعادات والتقاليد بفعل التغير التكنولوجي الذي يؤثر في النواحي الثقافية⁵، ويأتي ذلك حسب نظر مالمينوفسكي، استجابة لحاجات المجتمع، مرسخا بذلك بعدا وظيفيا للممارسات والظواهر الثقافية التي تتغير وتتحوّل وفق

¹ دلال ملحس استيتية، مرجع سابق، ص 23

² المرجع نفسه، ص 22

³ محمد عاطف غيث، التغير الاجتماعي والتخطيط، دار المعارف، القاهرة، 1966، ص 25

⁴ دلال ملحس استيتية، مرجع سابق، ص 22

⁵ إس - إس - دوب، التغير الاجتماعي، ترجمة عبد الهادي الجوهري وآخرون، المكتب الجامعي الحديث

تحول وتغير حاجات المجتمع¹. لذا يؤكد مالفينوفسكي على ثلاث نقاط أساسية يجب الأخذ بها عند دراسة التغير الاجتماعي هي²:

- التعرف على الثقافة الطارئة بنظمها ومقاصدها واهتماماتها
 - التعرف على القدر الموجود من عادات ومعتقدات السكان المحليين بل وتقاليدهم الحية
 - رصد عملية الاتصال والتغير، تلك التي يتقابل فيها أعضاء الثقافتين
- وبالتالي فالبعد الثقافي للمجتمع يندرج ضمن عملية التغير الاجتماعي، إذ يجب الأخذ به عند دراسة أي جماعة اجتماعية. وتحظى دراسة التغير الاجتماعي بأهمية كبرى عند رادكليف براون ، فهو يرى أن استخدام كلمة النسق وما تحويه من دلالات، تفرض علينا أن نميز بين النسق المستقر الذي قد يستمر بتغيرات بسيطة نسبيا لفترة ما من الزمن والحالة الغير مستقرة للمجتمع الخاضع لعملية التغير السريع. وينشأ حسبه من حالة عدم اتساق تتاب النسق، فتدفعه إلى طرح قضية التغير لحل معضلات كافية³. فتغير الشكل البنائي ذاته هو في النهاية بحث عن الاتساق، والتوازن، والتكامل.

التغير الثقافي:

رأبنا في الجزء السابق أن للبعد الثقافي أثر مهم في عملية التغير الاجتماعي، وأن الثقافة نفسها تتعرض للتغير لما تحمله من عناصر وأجزاء تتميز بها، والخاصة بالحياة الاجتماعية لأي جماعة

¹ Claude Griaud, **Histoire De La Sociologie**, Dar El Afaq, 1^{ere} Edition Juillet Algerie 1997, P 44

² عالية حلمي عبد العزيز حبيب، رؤية أنثروبولوجية بعد الحداثة، لقضايا التغير الاجتماعي، كلية البنات عين

شمس، 2003، تم الاسترداد من www.manaraa.com

³ المرجع نفسه

بشرية معينة، وبالتالي إذا كانت الثقافة تتميز بالتغير، كما تتميز بما لها من قوة دينامية دافعة فلا بد من دراستها في أبعادها التاريخية - فضلا عن التعرف عن العلاقات القائمة بين العناصر المكونة لها¹، فالموضوع على هذا الشكل يكون هو موضوع التغير الثقافي، وكيف يكون التغير في الثقافة، وانعكاساته على مظاهرها، وعلى البنية الاجتماعية داخل المجتمع. ولا يقتصر البحث هنا على دراسة المنظمات الاجتماعية فحسب، ولكن أيضا في مظاهر السلوك الاجتماعي التي تقوم في حدود تلك المنظمات: كاللغة والعلاقة بين اللغة ومظاهر السلوك والعلاقة بين الثقافة والشخصية ونظام القيم الذي يترك دلالات واضحة على طرق السلوك المقبولة عند أي شعب من الشعوب². فالتعرف على وجود ثقافة معينة لدى جماعة معينة يكون عندما نرى أعضاء تلك الجماعة يتصرفون (مع فروق فردية فيما بينهم) على نحو معين لقدر من الانتظام، وهذا الانتظام هو ما نسميه: قواعد ومعايير ثقافية ومنها نستخرج قيما معينة تكون ذات مكانة هامة في تلك الثقافة³. ويضاف هنا إشكالية أخرى، تتساءل حول العلاقة الموجودة بين التغير الثقافي والتغير الاجتماعي، ولما كان للثقافة مظهرين مادي ولامادي فإن دراسة التغير تقتضي أيضا فحص كلا المظهرين، حيث لا يمكن فصلهما، وبالتالي البحث في تأثير أحدهما في الآخر⁴، و يكون ما يطرأ من تبدل في جانبي الثقافة، سواء أكان ماديًا أو معنويًا. وعلى هذا يصبح التغير الاجتماعي جزءا من التغير الثقافي بالإضافة إلى ذلك، الإطار المادي، وعليه فليست جميع التغيرات الاجتماعية هي تغيرات ثقافية بينما الصحيح هو العكس، أي كل ما هو تغير اجتماعي يعد تغير ثقافي،

¹ محمد عبده محجوب، الاتجاه السوسيوأنثروبولوجي في دراسة المجتمع، وكالة المطبوعات، الكويت، ص 14

² المرجع نفسه، ص ص 14-15

³ محمد الجوهري، المدخل إلى علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2007، ص 79

⁴ عبد الغني عما د، مرجع سابق، ص 192

وبالتالي فالعلاقة بينهما هي علاقة تضمن واحتواء¹. وليست أيضا جميع التغيرات الثقافية تقع في دائرة التغير الاجتماعي على الرغم من أنها قد تتراكم وتصبح سببا أو علة للتغيير، كما هو الأمر في دخول التكنولوجيا المتقدمة وغزوها للعديد من أوجه الحياة التقليدية². وقد جاءت أبرز التعريفات والمفاهيم الخاصة بالتغير الثقافي أكثر تحديدا للجوانب الثقافية والمجالات التي يشملها التغير. فهو بشكل عام يعرف على أنه التحول الذي يتناول كل التغيرات التي تحدث في أي فرع من فروع الثقافة، بما في ذلك الفنون والعلوم والفلسفة والتكنيك كما يشمل صور التغير الاجتماعي نفسه، كما يشمل فوق ذلك كل التغيرات التي تحدث في أشكال وقواعد النظام الاجتماعي³، والتغير الثقافي شأنه شأن التغير الاجتماعي عملية مستمرة لا تتوقف، لكنها تختلف عنها في سرعة حدوثها وفي شدتها⁴. ويعبر التغير الثقافي عند (هولتكرانس 1980) عن التغير الذي يحدث في أجزاء الثقافة أي في بنائها أو في عناصرها أو في مضمونها⁵، فيما يرى درسلير (Dressler) في التغير الثقافي أنه تحول أو انقطاع عن الإجراءات المجربة والمختبرة والمنقولة عن ثقافة الماضي مع إدخال إجراءات جديدة⁶. فالعملية هنا مستمرة وتراكمية حيث تضاف للثقافة عناصر جديدة وافدة تحل محل العناصر التقليدية. ويفترض أغبرن (Ogbern) أن هذا التراكم يرجع إلى صفتين في العملية الثقافية: إحداهما ثبات الأشكال الثقافية والأخرى إضافة أشكال جديدة وبذلك ظهرت بعض

¹ المرجع نفسه

² المرجع نفسه

³ دلال ملحق استثنائية، مرجع سابق، ص 75

⁴ محمد الجوهري، مرجع سابق، ص 168

⁵ دلال ملحق استثنائية، مرجع سابق، ص 76

⁶ المرجع نفسه، ص 77

المشكلات نتيجة نسبة التغير في الثقافة المادية واللامادية وتتوصل إلى ما أطلق عليه الهوية الثقافية¹. وباعتبار أن موضوع الثقافة هو جوهر البحث في الأنثروبولوجيا، فإن تفسيراتها لحدوث التغير الثقافي جاءت في نطاق تطور النظريات التي شكلتها كعلم مستقل، فأنصار النظرية التطورية ذهبوا إلى أن التغير الثقافي في كل المجتمعات بغض النظر عن الزمان والمكان، يحدث بطريق مستقلة أي أنه يخضع لشروط ذاتية تجد أساسها في الوحدة النفسية للإنسان فالثقافة تتطور ذاتيا مثلما أن الكائنات الحية تتوالد عفويا.² أما عند أنصار النظرية الانتشارية، فإن انتشار السمات الثقافية بين الثقافات البعيدة أو القريبة يساعد على تهيئة الشروط الكفيلة بإحداث التغير الثقافي، أو الانتقال من مرحلة إلى أخرى.³ فهم يشيرون هنا إلى مظاهر الاحتكاك أو الاتصال الثقافي الذي يكون نتيجة عوامل متعددة مثل التجارة، أو الحروب، أو الهجرة، وغيرها، وبمثل التطورية فالانتشارية لها رؤية تاريخية لعملية التغير الثقافي الذي يحدث في فترة من فتراته. ورغم أن الوظيفية تستبعد التفسير التاريخي للظواهر الثقافية والاجتماعية إلا أن لها نظرتها الخاصة بها اتجاه التغير، فوفق مالمينوفسكي، أن "دراسة التغير الثقافي لا تستلزم التأويل التاريخي لأنها في الحقيقة تتضمن مقارنة بين ثقافتين مختلفتين. فالاتجاه الوظيفي في نظره يقوم على افتراض وقت محدد لتكون بمثابة نقطة الصفر، وفاصل زمني بين فترتين مختلفتين لكل منهما ثقافة خاصة، وبها تتم المقارنة بين الأوضاع التي كانت سائدة قبل نقطة الصفر أو الخط الفاصل والأوضاع القائمة بعدها وبهذا تتم دراسة كل ثقافة في إطارها التكاملي وكيانها المستقل وفترتها الزمنية الخاصة بها"⁴.

¹ المرجع نفسه، ص 76

² عبد الله بن معمر، الثقافة ونظرياتها، دار كنوز للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص 51

³ المرجع نفسه، ص، ص 63-64

⁴ عبد الغني عما د، مرجع سابق، ص 55

و التغير الثقافي يحصل وفق مالمينوفسكي عندما يخلق إشباع الحاجات الأولية حاجات أخرى مشتقة¹. وهذه الرؤية جاءت من تحليله الوظيفي للثقافة حيث يميز بين الحاجات الأولية والحاجات المشتقة معتمدا في ذلك على البيولوجيا في التحليل. ومن منظور المماثلة البيولوجية للمجتمع أيضا، أشار رادكليف براون إلى التغير الثقافي من خلال البناء الاجتماعي، "ويعتبر أن استمرار البناء ليس استمرارا استراتيجيا كاستمرار مبنى من المباني، وإنما هو استمرار ديناميكي يشبه استمرار البناء العضوي للجسم الحي، فالكائن الحي العضوي يتجدد بناؤه باستمرار طيلة حياته وكذلك الحياة الاجتماعية تتجدد باستمرار البناء الاجتماعي².

من جهة أخرى ومع تطور بحوث الأنثروبولوجية الثقافية في أمريكا، خاصة ممن عرفوا بتلامذة فراس بواز حول تحليل الثقافات، قدم الباحث الأمريكي هيريكوفيتز (M. Herskovits)، مصطلح الثقاف رفقة زميليه رالف لينتون و روبرت ردفيلد، ويتضمن هذا المفهوم التغير الثقافي الذي ينشأ حين تدخل جماعات من الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين في اتصال مباشر ومستمر³، ومن رواد هذا الاتجاه أيضا، مارغريد ميد التي درست التغير الثقافي في أحد مجتمعات الهنود الحمر بعد احتكاكهم بالمستعمرين البيض⁴، أين لاحظت أن هذا الاحتكاك كان احتكاك سيطرة، أي فرض نموذج ثقافي بعينه على نموذج آخر. في هذه الأثناء عاد الاهتمام التطوري لتفسير التغير الثقافي في حلة جديدة غير التفسير الذي تطرق إليه الرواد الأوائل، وهذه المرة مع ليزلي هوايت الذي رأى أن عامل الطاقة المحل الرئيسي لتقدم الشعوب. فالثقافات تتطور عندما تزداد كمية

¹ Bronislaw Malinowski, Une Théorie Scientifique De La Culture, Traduit De L'anglais Par Pierre Clinquart, Paris, 1968 P.144

² عبد الغني عما د، مرجع سابق، ص 53

³ المرجع نفسه، ص 54

⁴ المرجع نفسه

الطاقة التي تستعملها، وبمعنى آخر المضمون التكنولوجي لثقافة ما يحدد الكيان الاجتماعي، والاتجاهات الاديولوجية لها¹. فمقدار الطاقة وازدياد استغلالها في المجتمع هو الذي تتحول بموجبه المجتمعات من مرحلة لأخرى.

ثانيا: نظريات التغير والعوامل المؤدية لحدوثه:

النظريات المفسرة للتغير:

يجد الباحث نفسه في دراسة التغير أمام العديد من النظريات في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، التي حاولت شرحه بمختلف مجالاته، وكما تباينت تلك النظريات من حيث عوامله ودوافعه تباينت أيضا في آلياته ومراحله، إلا أنها عموما قد أثرت البحوث والدراسات التي اهتمت بموضوع التغير.

النظريات الحتمية أو السببية:

نجد من تلك النظريات الحتمية، اتجاهين رئيسيين: الأول الحتمية الجغرافية، و الثاني الحتمية البيولوجية، ويركزان في دراستهما للتغير على عامل واحد فحسب، - كالاقتصاد أو المناخ أو غيرهما بوصفه العامل الوحيد الذي يحرك العوامل الأخرى². وقد جاءت في معظمها متأثرة بعلوم أخرى كالجغرافيا بالنسبة لأنصار الحتمية الجغرافيا، وبالعلوم البيولوجية ونظرية التطور البيولوجي لأنصار الحتمية البيولوجية، وقد ساد الاعتقاد لدى الاتجاه الأول أن ثمة علاقة بين طبيعة الطقس الذي يعيش فيه الإنسان وطابعه الاجتماعي، وعلى هذا الاعتقاد حاول المنظرون الأوائل أن يميزوا أوجه الشبه والاختلاف بين الشعوب. يعد الأمريكي هنتجتون من بين الأوائل الذين استخدموا هذا المفهوم في تفسير تغير المجتمعات، فبرأيه إذا كانت الظروف الجغرافية هي التي تحدد صفات

¹ المرجع نفسه، ص 59

² عالية حلمي عبد العزيز حبيب، مرجع سابق

الناس وسلوكهم، فإن هذه الصفات وذلك السلوك لن يتغير إلا إذا تغيرت الظروف الجغرافية¹. وتأسست الحتمية البيولوجية على فرضية مؤداها أن الناس في العالم ينقسمون إلى أجناس، وجماعات متميزة بيولوجيا، وأن الأجناس تختلف في قدرتها على تطوير حياة اجتماعية وتتميتها. وأن نوعية الحياة لدى شعب من الشعوب هي مؤشر على قدرتها البيولوجية². كما تقوم على فرضية أخرى قديمة وهي تلك الخاصة بتفوق طبقات داخل المجتمع، على طبقات أخرى، والتي تتأتى نتيجة للخصائص البيولوجية. وظهرت تلك الفكرة بشكل حاد في الحضارة اليونانية من خلال اعتقادهم أن هناك أناس ولدوا ليحكموا وآخرون ولدوا كرعية³. ويعتبر (De Gobineau) دي جوبيون، ممن روجوا لها من خلال بحثه عن تفوق السلالات البشرية الذي ربط فيه بين تفوق شعب من الشعوب أو انحطاطه وبين خصائصه العرقية، وهي النظرة التي سببت توترا في الأوساط الشيوعية التي كانت تدعو إلى المساواة بين البشر⁴. فالحتمية البيولوجية ولدت صراعات سياسية وأشكال من العنصرية التي يعاني منها العالم المعاصر، كالصهيونية والعنصرية ضد السود في جنوب إفريقيا، ومن قبلها في أمريكا. وفي ضوء هذه الانتقادات وغيرها أصبح المجال مفتوحا نحو صياغات أفضل لنظريات التغير الاجتماعي⁵.

¹ دلال ملحق استيتية، مرجع سابق، ص 120

² المرجع نفسه، ص 121

³ المرجع نفسه

⁴ المرجع نفسه، ص 122

⁵ المرجع نفسه، ص 123

النظرية التطورية:

قدمت النظريات التطورية، تفسيرها للتغير من خلال اتجاهين رئيسيين: الخطي والدائري، فأنصار الاتجاه الأول يعتبرون أن الإنسان، والمجتمع يتقدمان عبر خطوات محددة من التطور، تبدأ من مراحل بسيطة لتنتهي إلى أعقد المراحل وأكملها، كما أن المجتمعات التقليدية تميل لأن تصبح مجتمعات صناعية تتميز بعلاقات آلية ولا شخصية، والتطور حسب نظرهم، هو تحول يحدث في البناء الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية، وهو مبدأ ملازم ومستمر لكل المجتمعات البشرية. من المفكرين الاجتماعيين الذين تبنا هذه النظرية سان سيمون الذي كان يؤمن إيماناً كاملاً بحتمية التقدم البشري، وبأن كل مرحلة من مراحل النمو تعتبر أفضل من سابقتها¹. كما سار على نهجه أوغست كونت من خلال وضعه لقانون الحالات الثلاث، فالمجتمعات في رأيه مرت بثلاث مراحل تميزت كل منها بمرحلة معينة من التفكير، وهذه المراحل هي: المرحلة اللاهوتية، والمتافيزيقية، والوضعية. أما أصحاب الاتجاه الدائري فالتغير حسب نظرهم يتجه صعوداً وهبوطاً في تموجات على شكل أنصاف دوائر متتابعة وبنظام مطرد بحيث يعود المجتمع من حيث بدأ في دورة معينة². فهي تقر بمبدأ التذبذب في التغير، في الاتجاه الإيجابي والسلبي، ومن رواد هذه النظرية "توينبي" في كتابه دراسة التاريخ و"سوركن" في كتابه الديناميكا والثقافة والتي ميز فيه عدة أنواع من التغير: منها تغيرات فريدة في الزمان والمكان - متكررة - غير خطية - متأرجحة - حلزونية - فرعية³.

النظرية المادية التاريخية:

¹ عالية حلمي عبد العزيز حبيب، مرجع سابق

² المرجع نفسه

³ المختار منصور، مرجع سابق، ص 39

يعتبر كارل ماركس الأب الروحي لهذه النظرية، والتي ترى أن البنية التحتية أي الاقتصاد، هي السبب دون غيرها في إحداث التغيرات في المجتمعات عبر العصور، ففي نظر ماركس أن الأصول الرئيسية للتغير الاجتماعي لا تكمن في ما يحمله الناس من أفكار وقيم، بل إن حوافز التغير الاجتماعي تتمثل في المقام الأول في المؤثرات الاقتصادية. والصراعات بين الطبقات هي التي تدفع إلى التطور التاريخي لأنها "محرك التاريخ"¹، وإذا ما تطرقنا للعناصر المختلفة التي تشكل المادية التاريخية لأجل الدراسة، فيمكن النظر إليها من منظورين رئيسيين:

الأول، أن كل المجتمعات الموجودة اليوم أو التي وجدت تقوم بعرض شكل أو نموذج من خمس طرق أو نماذج لتنظيم الإنتاج. وتسمى هذه الأشكال بنماذج الإنتاج وهي على التوالي: المشاعية البدائية والنظام القديم والإقطاع، والرأسمالية، والاشتراكية والشيوعية².

أما الثاني، ويغض النظر عن النموذجين الأول والأخير الخاصين بالإنتاج وهما المشاعية والاشتراكية فقد كان لكل نموذج خاصية معينة على العموم فكل منهما نمط في الإنتاج للسلع يعتمد على الطبقات³، ومصطلح الطبقة من وجهة نظر الماركسية له استخدام مميز، فما عدا المجتمعات الاشتراكية، توجد طبقتين سواء في النموذج الإقطاعي القديم أو الرأسمالي الحديث، هناك طبقة مالكة لوسائل الإنتاج وأخرى لا تملكه، بل تملك إلا قوة عملها الذي يجعلها مستغلة من

¹ أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 4، ص 69

² فيليب جونز، النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية، ترجمة محمد ياسر الخوجة، مصر العربية للنشر

والتوزيع، 2010، ص 96

³ المرجع نفسه، ص 97

طرف الطبقة الأولى، هذان الطبقتين هما المعنيتين بالدراسة من وجهة نظر الماركسية والصراع القائم بينهما هو جوهر التغير الذي يحرك التاريخ.

نظرية التوازن الدينامي:

ركزت البنائية الوظيفية الكلاسيكية على تكامل الأجزاء داخل الكل، والتساند، والتكامل بين الأجزاء وأن لكل من الأجزاء والكل وظيفة محددة ومعينة، وهو ما يشبه الكائن العضوي في قيامه بوظائفه هذا ما يمكن ملاحظته في الحياة الاجتماعية، من خلال الدور الرئيس الذي يلعبه الأفراد داخل البناء الاجتماعي، أين يرتبطون فيما بينهم بعلاقات اجتماعية متكاملة بحيث يؤدي إلى استمرار البناء الاجتماعي الذي يعود إلى التفاعل بين الأفراد من خلال الوظائف والأدوار الذين يقومون بها، ومن الأوائل الذين نادوا بالوظيفية، نذكر كل من سبنسر، أغست كونت ودوركايم في علم الاجتماع. ومالونوفسكي ورادكليف براون في مجال الأنثروبولوجيا. والتغير الاجتماعي حسب الاتجاه الوظيفي يطرأ على البناء الاجتماعي ثم ينسحب إلى التغير الوظيفي الذي يحقق النسق الاجتماعي. ويأتي هذا التغير إما عن طريق عوامل داخلية أو خارجية للمجتمع بالرغم من ثبات بعض أنساق المجتمع للمحافظة على الاستقرار والتوازن¹. خلال القرن العشرين تطورت الوظيفية لتركز على فكرة التوازن الدينامي في عملية التغير الاجتماعي، وبعد عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز من أشهر من طور الأفكار الوظيفية في هذا الاتجاه². ففي نظره أن المجتمع عند تعرضه لحالة تغير لا يفقد خاصية توازنه فهذا التوازن دينامي ومستمر، لذلك فإنه يمكن للمجتمع

¹ يوسف عناد زامل، سوسيولوجيا التغير، قراءة مفاهيمية في ماهية التغير واتجاهاته الفكرية، كلية الآداب،

جامعة واسط، تم الاسترداد من <https://www.iasj.net/iasj/download/756b73ba1aff38f2>

² دلال ملحق استثنائية، مرجع سابق، ص 140

أن يتكيف مع التغيرات الجديدة ودمجها داخل بنائه¹. و تطرق بارسونز في كتابه "النسق الاجتماعي"، إلى أن الاتجاه الوظيفي يخدم ثلاثة أغراض وهي: تحديد الضرورات الوظيفية للنظام، وتحديد المتطلبات الوظيفية للنظام، وتحليل المجتمع في ضوء نظرية تكامل الأنساق الثلاثة. أما بعض المشكلات التي تواجه الأنساق الاجتماعية فقد حددها بارسونز كما يلي:

- التوافق مع البيئة أي بين المجتمع والبيئة
- تحقيق الأولويات والهدف وتوفير المؤسسات البنائية
- الالتزام بقوانين المجتمع من خلال تدعيم النمط وضبط التوتر
- التكامل وهذا يأتي من خلال التنسيق والضبط بين مختلف المكونات الداخلية للنسق الاجتماعي²

العوامل المؤدية لحدوث التغير:

العوامل البيئية:

تتضمن البيئة الطبيعية الموقع الجغرافي والتربة والمناخ والمواد الأولية³. وبالرغم من أن التغير البيئي يكون نادر الحدوث، إلا أن تأثيره يكون عظيماً في حياة المجتمعات، إذ قد يؤدي إلى الهجرة الجماعية أو إلى التغير الشامل للجماعات المتبقية في الموقع، كما يحدث مثلاً في حالة الكوارث الطبيعية كالزلازل أو البراكين أو الفيضانات أو غيرها من الكوارث⁴، وللمناخ أيضاً دور كبير في نوعية المحاصيل والإنتاج الصناعي وفي طبيعة العلاقات الاجتماعية، وهذه الأخيرة تختلف طبيعتها باختلاف ما تحويه مصادر الأرض من ثروات. فاققتصاد المجتمعات التي تغلب

¹ المرجع نفسه،

² إحسان محمد الحسن، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الطليعة للطباعة، بيروت، 1975، ص 89

³ عبد الغني عما د، مرجع سابق، ص 193

⁴ دلال ملحق استثنائية، مرجع سابق، ص 47،

عليها الطبيعة الصحراوية والأراضي البور تختلف عن تلك الغنية بالمياه والأراضي الخصبة والثروات المادية كالفحم والحديد والذهب والبترو، وبالتالي تنتج عن هذا الاختلاف نظم وعلاقات اجتماعية نظم وعلاقات اجتماعية وثقافية متنوعة.¹ ويعتبر ابن خلدون ومن بعده مونتيكيو من المهتمين الأوائل بتأثير المناخ في طبيعة الظواهر النفسية والاجتماعية للسكان، وأنها من أبرز العوامل التي تؤثر في سلوكهم وفي عمليات إنتاجهم. توالى من بعد ذلك دراسات لعدة باحثين ممن اهتموا بدور العوامل الايكولوجية والفيزيائية في عملية التغير الاجتماعي، خاصة منهم الجغرافيون على غرار ريتزر (Ritter)، وديمولان (Demolins)، وفريدريك راتزل (F.Ratzel) وغيرهم.

العوامل السكانية:

يعتبر حجم، وتوزيع، وتركيب السكان من أبرز العوامل التي تساهم في إحداث التغير الاجتماعي والثقافي، يأتي ذلك لارتباط عدد السكان بمستوى المعيشة، حيث يؤدي هذا الارتباط بدوره إلى انعكاسات تشمل النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، والتي تحمل في طياتها أيضا العمالة، والبطالة ومستوى الأجور واستعمال الآلات، مما يؤثر في الأفراد والتركيب الاجتماعي لمختلف التجمعات البشرية. كما تأتي أهمية العامل الديموغرافي نتيجة للحركة السكانية زيادة أو نقصانا، وكثافة السكان وتوزيعهم داخل المجتمع وعليه فإن التقدم والتخلف مرهونا بالحركة السكانية ولهذا صار العامل السكاني حاسما في عملية التغير الاجتماعي.² وقد سبق وأن أشار دوركايم إلى أهميته في موضوع تقسيم العمل ومساهمته في انتقال التجمعات البشرية من تجمعات بسيطة تتميز بالتضامن الآلي إلى تجمعات أكثر تعقيدا أطلق عليه التضامن العضوي. وينظر البعض إلى النمو السكاني باعتباره وسيلة من الوسائل الهامة في إحداث التغير الاجتماعي، وذلك

¹ عبد الغني عما د، مرجع سابق، ص 193

² يوسف عناد زامل، مرجع سابق

في ضوء النظرة التي تربط بين نمو السكان وتوفر القوى العاملة المولدة للثروة¹، فعملية الإنتاج تستند في هذه الحالة على أهمية العنصر البشري في تطورها، وترى نظرية أخرى في النمو السكاني على أنه عامل ذات تأثير سلبي، حيث اعتبرت الزيادة السكانية معرقة لتقدم المجتمعات، وترجع سبب ذلك إلى أن قدرة الناس على التزايد تفوق قوة الأرض على إنتاج الحاجات الغذائية²، وهي النظرية التي يتزعمها طوماس مالتوس (T.Malthus).

العوامل الايديولوجية والثقافية:

نخص بالذكر هنا تلك العوامل التي تشتمل على العقائد الدينية أو الأفكار التقليدية، و مظاهر القيادة في المجتمع، إضافة إلى أنظمة الاتصال والتواصل. والايديولوجية قوة فكرية تعمل على تطوير النماذج الاجتماعية الواقعية وفقا لسياسة متكاملة تتخذ أساليب ووسائل هادفة، وتساندها تبريرات اجتماعية أو نظريات فلسفية، أو أحكام عقائدية أو أفكار تقليدية³. وقد أوضح ماكس فيبر أن المحور الذي يدور حوله التغير الاجتماعي والثقافي هو الصراع بين ثلاث مبادئ عامة هي التقليدية والعقلانية والكاريزما⁴، والتي كثيرا ما تقوم بحشد وتعزيز الطاقات والضغط الرامية إلى التغير، فالدين مثلا قد يكون إما قوة محافظة أو حافزا على الابتكار في الحياة الاجتماعية، كما أن بعض أشكال العقائد والممارسات الدينية قامت بدور كبح للتغير، من خلال التأكيد على ضرورة التمسك بالقيم والشعائر التقليدية⁵. وعنصر القيادة يشمل كل ما تركه الزعماء والقادة من آثار بالغة

¹ دلال ملحق استثنائية، مرجع سابق، ص، 48

² عبد الغني عما د، مرجع سابق، ص 195

³ المرجع نفسه، ص 197

⁴ المرجع نفسه، ص 198

⁵ أنتوني غدنز، مرجع سابق، ص، ص 107 - 108

على التاريخ البشري، فبالإضافة إلى الدور الديني، يمكن أن نشير إلى القادة السياسيين والعسكريين أو كبار المخترعين والمبدعين في مجال الفلسفة والعلوم، والتي بوسعها تجاوز النظام القائم إذا ما كانت قادرة على انتهاج سياسات دينامية، وحشد جمهرة من الأنصار حولها، أو إحداث تغيير جذري في أنماط الفكر والتفكير السائد في فترات وجودها¹. وتؤثر نظم الاتصال في طبيعة التغيير وسرعته، باعتبارها عناصر ثقافية مهمة. والاتصال هو تلك العملية التي تنتقل الأفكار بواسطتها سواء داخل المجتمع الواحد أو بين مجتمعات مختلفة، والتي تزيد من وتيرة الاحتكاك الثقافي بين الشعوب، خاصة في عصرنا الحالي الذي يتميز بتعدد قنوات الاتصال و انتشار الابتكارات على نطاق واسع، فالمجتمعات التي تقع عند مفترق الطرق، كانت ومازالت دائماً مراكز للتغيير، وحيث أن معظم السمات الثقافية الجديدة تنتقل من خلال الاتصال بغيرها من المجتمعات هي أكثر عرضة للتغيير السريع.²

العوامل الاقتصادية:

يرى العديد من الباحثين أن العامل الاقتصادي هو جوهر تفسير عملية التغيير الاجتماعي، والسبب الأهم في انتقال المجتمعات من مرحلة لأخرى، حيث يمثل البناء الاقتصادي جميع النواحي المادية التي تحيط بالمجتمع من إنتاج، وتصنيع، واستهلاك، وتوزيع، ونظام الملكية وغيرها، فالالاقتصاد مسؤول عن التطورات والأحداث التاريخية وعن توجيه عملية التغيير الاجتماعي في المجتمع، إضافة إلى الدور الذي يلعبه في التنظيم السياسي والقانوني والفلسفي والأخلاقي في المجتمع³، لدرجة أن جميع العوامل الأخرى تصبح عديمة الأهمية. ومما لاشك فيه أن إغفال التفسير

¹ المرجع نفسه، ص 107

² دلال ملحق استثنائية، مرجع سابق، ص ص، 48-49

³ محمد سعيد فرح، ما علم الاجتماع، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987، ص 264

الاقتصادي للتاريخ يغفل جانبا حيويا من جوانب التاريخ، ويؤدي إلى تفسير ناقص ومشوه للتغير الاجتماعي¹، فمثلا عندما يتغير نظام الملكية في مجتمع من المجتمعات، فإن ذلك يصاحبه تأثيرات عميقة وواضحة في الأنساق الاجتماعية الأخرى داخل البناء الاجتماعي. ويحدث التصنيع في الواقع تغييرا هائلا، ليس في الثروة والدخل القومي، وإنما أيضا في عقلية الإنسان من حيث قيمة الوقت و الثقة بالنفس².

العوامل التكنولوجية:

إن الاختراعات، والابتكارات، والاكتشافات العلمية، والتقدم في وسائل الاتصال، والنقل، كلها ذات أثر في التغير الاجتماعي، إذ تنعكس على الأساليب الفكرية للناس وعلاقاتهم الاجتماعية، وتغير السلوك البشري³، فالسيارة والمذياع أحدثت من التغيرات الاجتماعية البارزة ما لا يخفى على أحد⁴. وقد أدت الاختراعات الحديثة إلى زيادة الاتصالات بين الشعوب وأدى ذلك إلى احتمال حدوث تغيرات اجتماعية بين المجتمعات بسبب هذه الاتصالات ونتيجة هذا التلاحم⁵، بحيث أصبح الناس أكثر قدرة على الاختيار والتبني والاستعارة، وهو ما نتج عنه أيضا ازدياد التوتر والحذر بين العناصر القديمة والحديثة للثقافة⁶، فالمجتمعات الإنسانية أصبحت متماسكة لدرجة أنه لا يمكن الفصل بينها، الأمر الذي يجعل أي تغير في مجتمع ما يكون له أثر وصدى كبير على

¹ عبد الغني عما د، مرجع سابق، ص 208

² دلال ملحق استثنائية، مرجع سابق، ص 54

³ أمينة علي كاظم، التغير الاجتماعي والثقافي في المجتمع القطري، هجر للطباعة والنشر، مصر، 1993، ص

⁴ دلال ملحق استثنائية، مرجع سابق، ص 57

⁵ المرجع نفسه، ص، ص 57-58

⁶ عبد الغني عما د، مرجع سابق، ص 203

المجتمعات الأخرى. وقد تباينت آراء الباحثين حول العامل التكنولوجي ودوره في التغيير الذي يلحقه بالمجتمعات، فأغبرن (Willi Ogbern) مثلا، اعتبر العامل التكنولوجي، عاملا أولا في التغيير الاجتماعي وفي التخلف الثقافي أيضا، حيث يرى أن التكنولوجيا تؤدي إلى التغيير الاجتماعي، كما أنها تؤدي إلى الاختراعات الاجتماعية أيضا¹، أما شنيدر (Schneider) ذهب إلى أنه باستمرار التغيير التكنولوجي، يستمر التغيير الاجتماعي، وأن أي تغيير جديد قد يحطم الأساس الاقتصادي للمدينة وقد يكون مجالا لإنشاء مدن جديدة في أماكن أخرى². أما لوبير (Lapier) فقد ركز على عنصر التنظيم والفكر فالكفاءة التكنولوجية تؤدي إلى ظهور التنظيم الدقيق والفكر الواضح، وعلى هذا الأساس يعتمد التغيير الاجتماعي على تغيير الأفكار الرئيسية للمجتمع والتي ينبثق عنها أنظمة تنظم العلاقات بين الأفراد والجماعات³.

وأخيرا يمكن القول أنه لا يمكن الجزم بتأثير عامل من العوامل دون غيره في عملية التغيير، فكلها تشكل جانب مهم ومساهم بشكل فعال، لأن أي تغيير في جانب معين، سوف يؤثر في الجوانب الأخرى للبناء والنسق الاجتماعي، فالتغيير عملية متكاملة بغض النظر عن مدى السرعة التي يسير بها.

ثالثا: مظاهر التغيير الاجتماعي والثقافي في المجتمع الجزائري:

لرصد مظاهر التغيرات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الجزائري، وجب أولا الإشارة إلى طبيعة بنيته التقليدية وخصائصها، والتي تمثل بالنسبة لدراستنا نقطة بداية التغيير، كما من شأنها أيضا، أن تبين لنا أهم المراحل التي انتقل من خلالها المجتمع من حالة لأخرى، فمعرفة الحاضر لا

¹ دلال ملحق استيتية، مرجع سابق، ص 58

² المرجع نفسه

³ المرجع نفسه، ص 59

يتحقق إلا بالرجوع للماضي ومحاكاته، بل واستنطاقه من أجل الإمام بمختلف الظواهر السوسيو ثقافية، ومصدرها، ومدى تأثيرها على المجتمع الجزائري

البنى الاجتماعية التقليدية :

يمكن تصنيف التنظيم الاجتماعي التقليدي إلى ثلاث وحدات شكلت نواته الأساسية ولعبت دور مهم في مختلف جوانب حياته السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، وتتمثل تلك الوحدات: في العائلة الموسعة، والعشيرة والقبيلة ولو أن لكل منها خصائصها، إلا أنها كانت نظام اجتماعي متكامل حافظ به المجتمع الجزائري على كيانه واستقراره على مر عقود من الزمن

العائلة الموسعة:

إن العائلة التقليدية بمثابة حجر الزاوية في التنظيم الاجتماعي. وهو القالب الذي على شكلته ترتسم الجماعات النموذجية الأخرى من عشيرة وقبيلة ودولة¹، وقد أشار بيار بورديو (pierre bourdieu) في دراساته للمجتمع الجزائري، أن العائلة هي النموذج الذي على صورته تنتظم البنيات الاجتماعية، فهي لا تقتصر على جماعة من الأزواج وذرياتهم، ولكنها تضم أيضا كل الأقارب التابعين للنسب الأبوي، حيث تضم تحت رئاسة قائد واحد عدة أجيال في جمعية واتحاد حميمين². فبالنسبة له تعتبر خلية اجتماعية مهمة وأساسية في المجتمع، ومحور كل العمليات التي يقوم عليها التنظيم الاجتماعي التقليدي في المجتمع الجزائري. هذا ويمثل الأب أو الجد في العائلة التقليدية، القائد الروحي للجماعة: فالنظام الأبوي هو بنية سيكولوجية واجتماعية وثقافية، ناتجة عن شروط تاريخية وحضارية نوعية تكونت من مجموع من القيم والأنماط السلوكية التي ترتبط بنظام اقتصادي

¹ دحماني سليمان، مرجع سابق، ص 10

² Pierre Bourdieu, Sociologie De L'algerie, Coll , Que Sais Je ? N° 802, Paris, Puf, 1974, P12

تقليدي له خصوصياته ويشكل واقعا اجتماعيا حيا¹. وقد عرف مصطفى بوتفنوشة الأسرة التقليدية مركزا على طبيعة الإقامة والسكن الذي تتميز به، فمهما اختلفت الظروف البيئية، فهي أسرة ممتدة تعيش في أحضانها عدة أجيال، أي عدة أسر زواجية تحت سقف واحد فهي الدار الكبيرة عند الحضر، والخيمة الكبيرة عند البدو².

العشيرة:

توصف العشيرة في المجتمع التقليدي، أنها وحدة التفاعل الاجتماعي الحقيقي داخل القبيلة، كما تقوم أيضا بعدة وظائف اجتماعية لأفرادها، فهي المسؤولة على تنظيم النشاط السياسي والاقتصادي ورعاية شؤون الزواج، والسهر على الضبط الاجتماعي والتضامن بين أفرادها³. وفكرة العشيرة كانت نقطة انطلاق الدراسات عن النسب الوحيد الخط. وقد طبقت على كل مجموعة ذات زواج خارجي ينتسب أعضاؤها إلى أب مشترك بمقتضى نسب حصري (في الخط الأبوي أو الخط الأمومي)⁴. وقد اقترح ر. ه. لوي أن تعرف العشيرة من خلال تأليفها وحدة ذات زواج خارجي من جهة و حيازة أرض من جهة أخرى، يقوم الاستثمار الجماعي لمواردها وملكيته المشتركة مقام أساس للتنظيم العشيري⁵. وتنهض العشيرة في المجتمع الجزائري التقليدي أساسا، على القرابة من جانب الأب

¹ العماري الطيب، التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري وإشكالية الهوية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، ص 431

² Mustapha Bouteftouchet, La Famille Algérienne, Evolution Et Caractéristiques Récentes, Alger, Sned, 1982, P40

³ دحماني سليمان، مرجع سابق، ص 10

⁴ بيار بونت، ميشال إيزار، مرجع سابق، ص 651

⁵ المرجع نفسه

ويكون النسب في هذه البنية الاجتماعية حقيقياً أكثر منه شكلياً أو وهمي، والعشيرة تعد فرع من فروع القبيلة هذه الأخيرة التي تتكون من مجموعة من العشائر.¹

القبيلة :

القبيلة هي البنية الاجتماعية الأساسية والشكل الواقعي الملموس للنظام القبلي، وأيضاً وحدة اجتماعية يعتقد أفرادها أنهم ينتمون لجد واحد سواء أكان هذا الاعتقاد حقيقياً أو وهمي، وتشكل رابطة الدم محور التعاون والتماسك الاجتماعي في هذه البنية،² وهكذا فإن الفرد لا يتمتع بكيانه الشخصي في المجتمع القبلي، إلا داخل عصب، أية عصب. أما خارجها فهو يفقد هذا الكيان تماماً، ومن هنا كانت هوية الشخص، تحدد لا بـ"من" أنت بل بـ"ابن من أنت أو إلى أي قوم تنتمي". في المجتمع القبلي لا يعرف الشخص باسمه بل بانتسابه إلى عصب أو قبيلة معينة،³ وبالتالي تطرح القبيلة نفسها في المجتمع التقليدي كنظام اجتماعي وسياسي، ويكون ذلك من خلال النسب على اعتبار أن "الحمية القبلية" هي الأصل الأول في تشكل الهوية الاجتماعية، أو لنقل الأصل البدائي ليشكل هذه الهوية.⁴ ويوسع ابن خلدون مفهوم النسب إلى درجة أنه يدخل في إطاره كل رابطة تنشأ بين الأفراد بسبب طول المعاشرة.⁵ وبالتالي فالنسب الذي يشكل النظام القبلي يتميز ببعدين أساسيين أحدهما نسب دموي قريب والآخر بعيد.

¹ دحماني سليمان، مرجع سابق، ص 10

² المرجع نفسه، ص 8

³ محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز

دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط6، 1994 ص 169-170

⁴ عمار بيزلي، القبيلة، الفضاء والمعتقد، بحث في تشكيل عناصر بنية الهوية المغاربية، دار لالة صافية للنشر

والتوزيع، الجزائر، ط1، 2016، ص 127

⁵ محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 171

التحولات السوسيو-ثقافية في المجتمع الجزائري:

إن الحديث عن التحولات السوسيو-ثقافية بالمجتمع الجزائري، يدفعنا إلى محاولة أن نضع لأنفسنا نقطة فاصلة يمكن الانطلاق منها، لرصد وتتبع أهم المحطات والأحداث التي كانت لها الأثر في تغيير حياة المجتمع الجزائري. قد سبق وأن أشرنا في الجزء السابق، إلى طبيعة البنية التقليدية حيث أكدت لنا عناصرها ما تطرقتا إليه حول في الفصل السابق حول هيمنة الحياة الريفية في المجتمع الجزائري قبيل الاستعمار، سواء في القرى أو المدن. إذن فما يجب الأخذ به هنا، هو مخلفات الفترة الاستعمارية وما بعدها، والتي كان لها انعكاسات ثقافية أكثر منها اجتماعية، سياسية واقتصادية. فقد شهد البناء الاجتماعي في الجزائر في النصف الثاني من القرن الماضي تغيرات على جميع المستويات،¹ جاء ذلك أولاً، نتيجة تحطيم القبيلة ككيان سياسي إلى دواوير بواسطة قانون السناتيس كونسلت 22 أبريل 1863 الخاص بالملكية وقانون وارني في 26 جويلية 1873 بعدها، الذي كرس مبدأ الملكية الفردية، وتقليص أراضي العرش وبذلك تم تهديم البنية الاجتماعية القبلية ونمت فكرة الأحادية بدل الجماعة بفعل سياسة التجميع.² وهي الفترة التي اعتبرت لدى العديد من الباحثين بمثابة بداية التغير الذي مس البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري. وعلى الرغم من بروز التغير في تلك المرحلة، إلا أن الملامح الأساسية للتغير الاجتماعي في الجزائر حددت بمرحلتين أساسيتين وهما: بداية حرب التحرير الوطني والتي تمخض عنها استقلال الجزائر والثاني المسار التنموي بعد الاستقلال الذي شهد نقلة نوعية على جميع الأصعدة والمستويات الاجتماعية، الثقافية،

¹ تجليات العولمة وانعكاساتها على الفضاء السوسيو-ثقافي في المجتمع الجزائري , Mansouri Samira ,

aleph, 8 (3), 2021 , 53-73

² ليلي تيتة، تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة العلوم الإنسانية

الاقتصادية والسياسية، إضافة إلى تأثير التحولات العالمية. فعلى الصعيد الداخلي، شهدت البلاد مشروع إصلاح اقتصادي، وسياسي من أجل إعادة بناء الوحدة الوطنية ورد شخصيتها وخصوصياتها الثقافية،¹ حيث تم إنشاء قاعدة صناعية وفتح العديد من المدارس والجامعات للقضاء على البطالة والجهل والأمية،² وقد سعى هذا المشروع التنموي قبل كل شيء إلى إنشاء إطار اجتماعي وثقافي يتماشى مع مبادئ الأيديولوجية العربية الإسلامية. وكانت المشكلة الرئيسية هنا، هي تلك التي طرحها نور الدين طوالي حول مشكلة الاختيار المزدوج.³ كما شهدت انقسام العائلة الكبيرة التي كانت تضم مجموعة من الأفراد لتصبح أسرة نووية، وإعادة توزيع الأدوار والمراكز الاجتماعية بما يتفق مع الوضع الجديد وتماشيا مع الأدوار والمراكز الاجتماعية التي تحدد مكانة كل فرد داخل البناء الاجتماعي⁴، وبالتالي تلاشت سلطة الشيخ أو كبير العائلة، مع أوضاع جديدة تستند إلى قوة المال والمركز وكثرة العلاقات والنفوذ، على حساب النمط الثقافي التقليدي الذي كان يستند إلى الوجاهة والمكانة والسمعة الطيبة، لمن يسير شؤون الجماعة ويفصل في أمورها، فظهر نظام الأجور في المجال الاقتصادي على أوسع نطاق أحدث تغيرات واسعة على مستوى العائلة التقليدية،⁵ فقد أصبح الرجل يشعر بفردانيته عندما يتقاضى أجرا مقابل عمله، ما يجعله يثور على جماعته، وأصبح الأفراد كثيري الحركة وأقل ارتباطا بالأسرة سواء من الناحية

¹ Khedidja, G. U. E. C. H. I. "**Changement Social En Algérie: Approche Sociologique**", El-Ihyaa Journal, Volume: 23, Issue: 32, January 2023, P 923

² Mansouri Samira , Op.Cit.P 53-73

³ Khedidja, G. U. E. C. H. I. Op.Cit. P923

⁴ Mansouri Samira , Op.Ct. P 53-73

⁵ العماري الطيب، التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري وإشكالية الهوية، مجلة العلوم الإنسانية

والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية

المكانية أو من ناحية الدور والمكانة في المجتمع،¹ وعلى ذلك يتأسس مفهوم المادية خاصة في الحياة المدنية مقابل الفردانية في الحياة الريفية التي تقوم على الحفاظ على تماسك القبيلة أو العشيرة أو التجمعات البشرية والخضوع للمعايير الاجتماعية والثقافية المعمول بها.² زيادة على ذلك النمو الديمغرافي العالي الذي عرفته الجزائر وبروز فئة الشباب بصورة واسعة حيث تشكل 70 % من مجموع السكان. وأصبح هؤلاء الشباب يشكلون ضغطا على البنى الاجتماعية التقليدية وعلى رأسها العائلة،³ وبخروج الفتاة إلى المدارس والجامعات ازداد الوضع حدة، حيث جعلها تكتسب قيم اجتماعية جديدة ستجعلها فيما بعد مؤهلة للحياة العامة، وسيحطم الحياة الخاصة للعائلة خروج المرأة للعمل، من أجل مساعدة الزوج، في إعالة الأسرة، مما سينعكس غيابها على تنشئة الأطفال وعلاقاتهم بها، وبذلك تتخلى الأم ولو (جزئيا) عن واجبها الأساسي وهو تربية الأطفال لتدفع بأطفالها نحو المؤسسات الاجتماعية الأخرى التي ستحل محل الأمهات.⁴ وعلى الصعيد الدولي، كان للتغيرات العالمية السريعة الآثار البارزة للبناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري، منه⁵:

- اضمحلال وتلاشي الحرب الباردة وبروز القطب الواحد
- التحول في بنية النظام العالمي وآلياته وتطوير شبكات الاتصال والمعلوماتية.
- تشريع قوانين دولية لضبط الحركة الاقتصادية العالمية، وظهور أفكار وثقافة غربية يريدونها الغرب أن تكون موحدة لشعوب العالم في إطار ما يعرف بالعولمة.

¹ المرجع نفسه

² المختار منصور، مرجع سابق، ص 125

³ العماري الطيب، مرجع سابق، ص 436

⁴ المرجع نفسه

ولقد فرضت الثورة التكنولوجية جملة من التغيرات الاجتماعية التي طالت كافة مناحي الحياة، ما بين القديم والحديث، وما بين القيم الأصيلة والدخيلة في المجتمعات عامة¹، وهي حتمية، اختزلت المسافات وطمست معالم الحدود الجغرافية، لتعلن ظهور عولمة ثقافية قيمة على حساب الثقافة العربية الأصيلة.² وقد انعكست على مستوى الحياة الاجتماعية في المجتمع الجزائري، في ظهور قيم عصرية حديثة قادمة من الغرب كظهور النزعة الفردية من خلال البحث عن الاستقلالية بعد الزواج، تغير نمط العلاقات الاجتماعية، طرق إحياء الحفلات والزواج عند الكثير من الفئات الاجتماعية، بالإضافة إلى ظهور الموسيقى الغربية وظهور أنماط لباس غربية وقصات للشعر. إن أغرب هذه المؤشرات تنبأ بوجود حالة من التغير، إضافة إلى أن القيم التقليدية لم تعد تؤثر في المنظومة القيمية للمجتمع الجزائري³، ولم تعد العلاقات بين الأفراد تلك المألوفة سابقا، بفعل انتشار الأجهزة الالكترونية والهواتف النقالة واستعمالها على أوسع نطاق في الحياة اليومية، ورغم ايجابيتها في قضاء العديد من حاجيات الأشخاص والجماعات، إلا أن أفراد الأسرة أصبحوا على حد سواء متعلقون وبشكل كبير بالعلاقات التي ينشئونها عبر الشبكات الاجتماعية ويقضون وقتا كبيرا أمام أجهزتهم الالكترونية يفوق الوقت الذي يخصصونه للأشخاص الواقعيين وهذا ما يؤدي إلى العزلة الاجتماعية والاغتراب الاجتماعي⁴.

¹ فاطمة الزهراء سعيود، بومنجل فوزي، القيم والثقافة الجزائرية: مقارنة سوسوثقافية بين الثابت والمتغير، مجلة

البحوث والدراسات الإنسانية، المجلد 15/ العدد 01- 2021، ص 142

² المرجع نفسه، ص 144

³ المرجع نفسه، ص 149

⁴ المرجع نفسه، ص 146

خلاصة الفصل:

لقد سعينا من خلال هذا الفصل التعرف على عمليات التغير بشقيه الاجتماعي والثقافي، وفهم عوامله التي تؤثر في المجتمعات بصفة عامة، إضافة إلى عرض أهم التفسيرات والدراسات المختلفة، التي حاولت فهم الكيفية التي على إثرها ينتقل مجتمع ما من مرحلة لأخرى، وإن ركزت كل واحدة من تلك النظريات والدراسات على جوانب معينة في حدوث التغير، فقد أظهرت لنا أهمية تلك الجوانب التي لا يمكن الاستغناء عنها عند دراسة أي موضوع ما في المجتمع، وباعتبار أيضا أن وضع حالة المجتمع في سياقه التاريخي وعلاقة كل مرحلة بالبنية الاجتماعية والثقافية تبين لنا الأسباب التي جعلت الأوضاع على ما هي عليه، كما تجعلنا نتنبأ بما هو قادم من خلال ظهور بعض العناصر الثقافية الجديدة سواء أكان مصدرها داخلي أو خارجي والتي من شأنها أن تؤثر على بقية العناصر. وقد انتهينا إلى عرض الخصوصية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري من خلال عرض خصائص بنيته التقليدية التي شكلته، وأهم مظاهر التغيرات التي مست جوانبها، حيث مثلت الواجهة الأساسية، في تأثرها بحركة التغير عبر فترات زمنية معينة لكل أسبابها وعواملها، أدت إلى ظهور قيم اجتماعية وثقافية جديدة، واندثرت معها قيم أخرى تقليدية.

الباب الميداني للدراسة

الفصل السادس

الإجراءات المنهجية للدراسة

تمهيد:

تقتضي الدراسة الانثروبولوجية بالدرجة الأولى الوصول والتعرف على حياة الناس الآخرين، والإطلاع على أوضاعهم وأفكارهم ومعتقداتهم، تشكل كل تلك الجوانب أهم الصعوبات والعوائق التي يواجهها الباحث عند محاولته دراسة أي موضوع داخل أي مجتمع سواء كان الباحث عضواً فيه أو من خارجه. لقد أدركنا منذ الوهلة الأولى مدى الخصوصيات التي يحملها موضوع دراستنا في طياته. فالعوائق التي وجب تخطيها بداية تلك المتعلقة بالجانب الاجتماعي والثقافي لمجتمع البحث. لذا فقد رأينا إتباع طرق منهجية وأدوات بحثية تتميز بالمرونة في التعاطي قدر الإمكان مع مختلف متغيرات الدراسة بهدف الإلمام بالجوانب المتعددة لمجتمع البحث.

أولاً: مجالات الدراسة:

1-المجال الزمني للدراسة: يمكن القول أن المجال الزمني انقسم على قسمين أساسيين سلكتهما الدراسة، وقد تعلق المجال الأول بالإطار النظري والذي امتد من شهر ديسمبر 2019 إلى سبتمبر 2021 أين سعى الباحث إلى جمع المراجع حول الموضوع بما فيها الدراسات السابقة، وقد واجهتنا بعض الصعوبات تمثلت في تحديد الإطار المعرفي للدراسة باعتبار الموضوع يتميز بالتركيب والتعقيد إذ وجب طرق باب تخصصات أخرى، وقد كان استخدامنا لتقنية الملاحظة، طيلة تلك الفترة باعتبار أن الباحث جزء من المجتمع المدروس، مع إجراء مقابلات مع المبحوثين وكذا الفاعلين في مجال البناء، والسلطات المحلية.

2-المجال الجغرافي: ويمثل المجال العام للدراسة، ومجتمع البحث، واهتمت هذه الدراسة بقرية من أرياف مدينة تلمسان الواقعة في أقصى الغرب الجزائري. حيث عرفت أريافها تطورا عمرانيا كبيرا في الفترة الأخيرة، وقد شملت مساكن قرية زليون بمعظم أحيائها القديمة والجديدة للوقوف على مراحل تحولها.

3-المجال البشري: يمثل المجال البشري سكان قرية زليون وأحيائها باعتبارهم ذو تأثير في علاقتهم بمساكنهم وكذلك على رسم ملامح الجانب العمراني للمنطقة بشكل عام، من خلال نمط عيشهم وعلاقاتهم الاجتماعية والثقافية.

ثانياً: المنهج المتبع في الدراسة:

يرغم الباحث في عملية البحث العلمي على اعتماد منهج يكون أقرب إلى الإجابة عن الإشكالية التي قد حددها مسبقاً، فمرحلة الخيارات المنهجية تعد من أعقد المراحل التي يواجهها الباحث في التعامل مع موضوع الدراسة، والتي وجب عليه الحسم فيها لصالح منهج وطرق بحثية معينة تخدم

تصوراته والمسارات التي سيسلكها في جمع المعطيات. وقناعة منا بأن البعد الأنثروبولوجي عبارة عن تطوير حس خاص بعلاقة موضوع البحث بحياة الأفراد وتفاصيلها، فقد اعتمدنا المنهج الإثنوغرافي بشقيه الوصفي والتحليلي، حيث يتضمن البحث الميداني الإثنوغرافي دراسة الجماعات والأفراد وهم يمارسون حياتهم اليومية، بغية الوصول إلى أدق التفاصيل حول تصوراتهم وعلاقتهم بمساكنهم. كما يتضمن هذا المنهج في طياته أساليب وتقنيات بحثية متنوعة ساهمت في تطوير العديد من البحوث الكيفية على وجه الخصوص، وقد تطلب تنفيذ هذا البحث نوعين مختلفين من المهام من جانبنا:

أولاً: وصف المجال الاجتماعي والعمراني العام للمنطقة، مع الأخذ به كنتيجة لسلوك بشري تطور عبر الزمن

ثانياً: الدخول في علاقة مباشرة مع أفراد المجتمع، وتحليل أقوالهم وتصوراتهم حول علاقتهم بمجال سكنهم، وكيفية التعامل معه،

ثالثاً: تقنيات وأدوات الدراسة:

إن أي باحث يسعى إلى الإجابة على تساؤلاته التي قد طرحها ولا يأتي ذلك إلا بالاعتماد على أدوات و تقنيات يستخدمها بدقة للوصول الى مبتغاه، و تعتبر أدوات جمع المعلومات بمثابة المفاتيح التي يستخدمها الباحث للدخول إلى مجتمع بحثه، و نظر لطبيعة الموضوع، فقد رأينا استخدام الأدوات التالية لجمع البيانات و المعطيات حول الظاهرة .

الملاحظة: تقنية الملاحظة، واحدة من أقدم وسائل جمع البيانات والمعلومات الخاصة بظاهرة ما، حيث استخدمت من قبل القدماء في مجال الظواهر الطبيعية مثل خسوف القمر، والزلازل وغيرها من الظواهر، ثم انتقل استخدامها إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية.¹

و قد كان الدافع الأساسي لاختيار تقنية الملاحظة في موضوع بحثنا هذا، هو اعتبار أن الظاهرة العمرانية هي ظاهرة مرئية ومتحولة، تستدعي بالدرجة الأولى ملاحظة شكل المساكن وتطورها، والتغيرات التي تطرأ عليها باستمرار. كما ساعدتنا أيضا في الوصول إلى مقارنة بين ما هو مشاهد للباحث من خلال المعطيات الواقعية و بين تلك استقيناها من المصادر الأخرى كالوثائق، والروايات الشفهية المنتشرة في مجتمع البحث، وما سهل ذلك كون أن الباحث عايش الظاهرة ، والمجتمع محل الدراسة هو مكان إقامته، حيث استمرت الملاحظة طيلة فترة انجاز هذه الدراسة.

المقابلة: يمكن تصنيف المقابلة بأنها عبارة عن محادثة موجهة بين الباحث أو أشخاص آخرين بهدف الوصول الى حقيقة او موقف معين يسعى الباحث لتعرفه من اجل تحقيق اهداف الدراسة.² وقد كان هدفنا من استعمال هذه التقنية هو الحصول على المعلومات التي نسعى إليها من المبحوثين أنفسهم، ورصد ما يبدونه من ملامح، ومشاعر من خلال رسمهم لمجالهم واستراتيجياتهم في البناء، وكذلك للكشف عن بعض المعلومات التي تعذر جمعها عن طريق الملاحظة خاصة تلك المتعلقة بالميراث وطرق تقسيمه فيما يخص الأراضي أو المساكن بين الأفراد، وكذلك مصدر تمويل البناء إن كان دعم أو مال خاص.

¹ محمد عبيدات و اخرون، منهجية البحث العلمي القواعد و المراحل و التطبيقات، كلية الاقتصاد و العلوم

الإدارية، الجامعة الأردنية ، ط1 سنة 1999. ص73

² المرجع نفسه ، ص55.

التصوير الفوتوغرافي:

استخدمنا التصوير الفوتوغرافي لجمع وتصنيف أشكال المساكن والعناصر المعمارية التي تدخل في إنشائها مع توضيح السياقات التاريخية، والاجتماعية، والثقافية التي تنتمي إليها

الاستعانة بالإخباريين:

وقد تم الاستعانة بثلاثة من كبار السن، الذين عايشوا مختلف الأحداث التي مرت بها المنطقة، ولهم معرفة واسعة عن المجال الجغرافي، وكذلك بطبيعة سكن العائلات في البيئة التقليدية وأحوالهم، وقد تم اختيارهم بعناية، حيث حرصنا على أن يكونوا قد شهدوا جميع المراحل التي تقيدت بها الدراسة.

رابعاً: عينة الدراسة

لا يستطيع الباحث في أي مجال من مجالات البحث الاجتماعي أن يدرس و يستوجب جميع أفراد المجتمع المبحوث، لذلك يقوم بأخذ عينة يرى الباحث أنها تمثل ذلك المجتمع، فتحديد العينة يعتبر من الصعوبات التي يواجهها الباحث، ونظر لطبيعة الموضوع المتمثل في أثر التحولات الاجتماعية والثقافية على شكل المسكن استوجب علينا القيام بجمع أكبر قدر ممكن من المعطيات حول الظاهرة باعتبارها متعددة العناصر، وقد تبين لنا من خلال استطلاع الميدان أن خصائص العينة التي أثرت على طبيعة المسكن، والمشهد العمراني بشكل عام تتكون من ثلاث أصناف كما يلي:

1- أفراد استفادوا من قطع أرضية، ومارسوا عليها البناء

2- أفراد استفادوا من مشروع دعم البناء الريفي

3- أفراد أقاموا البناء بأموالهم الخاصة

لذا فقد اعتمدنا في هذا البحث على العينة القصدية، و التي قد تم تحديدها من طرف الباحث، وهم أفراد يوفون غرض الدراسة وتتوفر فيهم شروط محددة، تم الإعلان عنها في هذا التصنيف، وقد بلغ

عددهم 30 فردا تم انتقاءهم بشكل مقصود ومقابلتهم مباشرة من قبل الباحث، نظر لتوفر بعض الخصائص في أولئك الأفراد دون غيرهم، ولكون تلك الخصائص هي من الأمور الهامة للدراسة.

الفصل السابع

التحولات المجالية والمعمارية بقرية

"زلبون"

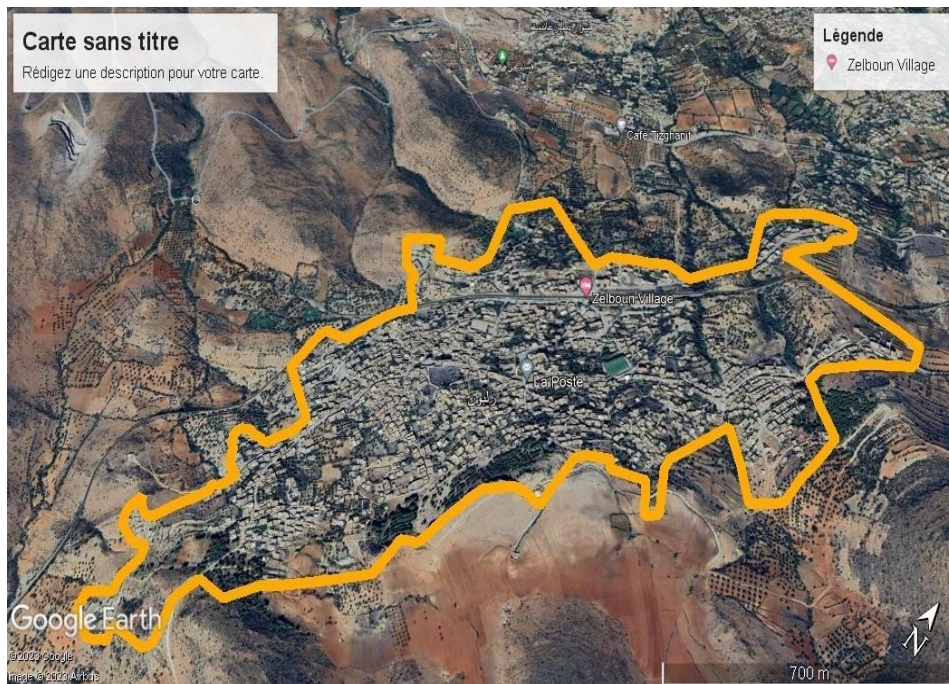
تمهيد:

نسعى من خلال هذا الفصل إلى التعريف بمجتمع الدراسة من خلال تقديم دراسة وصفية عامة للمجال الاجتماعي والعمراني في الوقت الراهن الذي يشكل مورفولوجية القرية، مع الإشارة للبعد التاريخي، حسب ما توفرت لدينا من معطيات حوله، محاولين إبراز أهم المحطات والعوامل المساهمة في تطور العمران وانتقال المجتمع من نمطه التقليدي إلى الحداثي، كما سنحاول إبراز الدور الذي يلعبه المسكن بمختلف أنماطه في هذا التحول بصفته السمة الثقافية والاجتماعية الغالبة في التركيبة العمرانية الحالية للقرية، والذي يشكل لنا صورة عامة يمكن من خلالها تصنيف الفترات التاريخية والوقوف على سياقاتها الاجتماعية والثقافية.

توطين المجال



صورة رقم (1): المساحة الجغرافية للقرية:المصدر Google Map



صورة رقم (2): المساحة العمرانية: المصدر google earth



صورة رقم (3): تبين الصورة مركز القرية القديمة: المصدر الباحث

أولاً: الفضاء الجغرافي والاجتماعي للقرية:

في غياب الوثائق حول مجتمع البحث وقلتها، رأينا أن ننطلق من تعريف عام وشامل حول القرى، يتطابق مع السياق التاريخي، والجغرافي لمجتمع الدراسة، ويحمل الخصائص التي أشار إليها الباحثون الجغرافيون في هذا المجال. وهو ذلك الذي يرى أن القرى الريفية، تعد من أقدم مراكز الاستقرار البشري، وأن الإنسان قد اضطر إلى الاستقرار عبر حقبة طويلة ظل خلالها متنقلاً طلباً للماء والكلاء أو سعياً وراء الراحة والأمان، وأن استقرار الإنسان ارتبط أول الأمر بالملاجئ

والكهوف والتي اتخذت فيما بعد شكل منازل صغيرة سميت بـ "القرية"¹ وانطلاقاً مما يحويه هذا التعريف من دلالات سنحاول وصف عمران القرية بشقيه التقليدي، والحديث. فقرية زلبون تقع جنوب بلدية بني مستار التي تتبع لها إدارياً والتي تأسست بدورها في العهد الاستعماري سنة 1957.² تبعد عن مقر ولاية تلمسان بحوالي 13 كلم على الطريق الوطني رقم 7 المؤدي إلى دائرتي صبرة ومغنية، ويبلغ تعداد سكانها حسب الإحصاء العام للسكن والسكان سنة 2008، حوالي 5764 نسمة.³ يتميز نسيجها العمراني التقليدي، ببنائات متلاصقة و متجاورة متمركزة حول المسجد القديم من ناحيته الشمالية، الذي يرتفع عنها وتتعلق حوله، كما يتواجد في هذه الناحية السوق القديم (المحمي)، وهو عبارة عن ساحة مكان يتجمع فيه السكان، كان ينظم فيه السوق الأسبوعي فيما مضى، حيث يأتيه الناس من أماكن مجاورة، للبيع والشراء. ومن هذه المنطقة يبدأ العمران بالتدرج تباعاً من العام إلى الخاص، فالمقهى بجانب السوق وبعض المحلات، ثم الحرفيين والفران ثم الحمام وأخيراً المنازل، وكل البنائات مبنية بمواد محلية آنذاك كالخشب والطين والحجر، تتخللها أزقة ضيقة مستقيمة تارة ومتعرجة تارة أخرى، فهي تعكس الحياة الاجتماعية في تلك الفترة، سواء من حيث العلاقات بين الجيران والأقارب التي تنعكس من خلال علاقات المباني مع بعضها، أو من حيث مواجهة تلك المباني للظروف البيئية والطبيعية، والتواجد بمحاذاة ينابيع المياه على شكل عيون، يتزود بها السكان. فمناخ القرية يتميز بالبرودة شتاءً، والحر صيفاً، فهي واقعة على منحدر جبلي يمتد من الشمال إلى الجنوب، ومن هنا يمكن القول،

¹ أحمد نجم الدين فليجة وآخرون، الجغرافية البشرية، جامعة بغداد، مطبعة الجامعة، ط2، 1979، ص176

² توفيق بوزناشة، دليل الجمهورية، ط1 الجزء الثاني، سنة 2015، ص129.

³ المرجع نفسه.

أنه قد روعي في تخطيط القرية عوامل حسن اختيار الموقع، والظروف البيئية، إلى جانب مراعاة المقياس الإنساني و قواعد تطبيق الشريعة الإسلامية السمحة.¹

وتأتي المطحنة (الرحي)، في خارج الكتلة العمرانية من الجهة الشمالية الشرقية، التي كان يزداد التردد إليها في مواسم جني المحاصيل، خاصة القمح والشعير، وتحيط بالقرية من جميع الجوانب الحقول والجبال، وهي المناطق التي يزاول فيها السكان أنشطتهم الزراعية والرعية، ولم تستخدم فقط المنازل المبنية للسكن، بل حتى بعض الكهوف (الغيران) المتواجدة حتى داخل الكتلة العمرانية، وما زالت آثارها متواجدة حتى الفترة الحالية بجانب المسجد، التي توحى بأنها مكان استقرار الإنسان الأول بالمنطقة، كما عرفت أيضا الخيام للسكن المصنوعة حسب رواية كبار أهل القرية، والمصنوعة من العيدان والقش. أما الجهة الجنوبية المقابلة للمسجد، فتتواجد مقبرة القرية القديمة. وهناك في الناحية الجنوبية الشرقية، تتواجد كتلة عمرانية أخرى بنفس تخطيط القرية التي تحدثنا عنها وهي لجماعة قرايية تسمى " الزاوية"² بها مسجد ومنازل، أغلب سكانها يحملون لقب "فاطمي" مع قلة منهم يحملون لقب "بصغير"، يعرفون بالشرفة، ويتميز نظامهم الاجتماعي بالزواج الداخلي. وقد وردت القرية في كتابات الإدارة الاستعمارية، من خلال قانون الضرائب، سيناتيس كونسيلت المؤرخ سنة 1893م باسم أهل زليون، وقد جاء في أحد صفحاته التي تحصل عليها

¹ يحي حسناوي رؤية المستشرقين للعمارة الإسلامية، مجلة الوعي الاسلامي الصادرة عن وزارة الأوقاف و الشؤون

الاسلامية لدولة الكويت ، العدد 588 يونيو 2014.ص 48

² يختلف اهل منطقة الزاوية عن أهل زليون في بعض العناصر الثقافية بالرغم من وحدة المجال، فهم يعتقدون أن جماعتهم لا تنتمي للقرية ولا يخضعون لثقافتها مثلا في عيد الأضحى يأكلون لحم الأضحية في اليوم الأول أما باقي سكان القرية الآخرين يكتفون بأعضاء منها كالرأس والكبد ويؤخرون أكل اللحم حتى اليوم الثاني ، وحسب معتقدتهم أن أكلها في اليوم الأول ينذر لهم الشؤم والمصائب

الباحث من أحد سكان المنطقة، وصف للتركيبة البشرية لسكانها وطبيعة نشاطهم في تلك الفترة. وقد ذكر كاتب التقرير حول أهل زلبون على أنهم مزيج من العرب والبربر، وأن المنطقة توالى عليها عدة قيادات سياسية عبر التاريخ، فقد خضعت أولاً للسلطين الزيانيين، ثم العثمانيين، وبعدها انضوت تحت حكم الأمير عبد القادر أثناء مقاومته للاستعمار، كما أن المنطقة كانت معروفة لدى المستعمر منذ اكتمال السيطرة التامة على مدينة تلمسان سنة 1842م، وقد تميز نشاط سكانها بالرعي والفلاحة، حيث بلغ عددهم حسب التقرير في تلك الفترة 1039 نسمة، كما وصفهم بأنهم أناس مسالمون ويتميزون بالجد والنشاط في العمل، وهم عبارة عن ثلاث عائلات كبيرة، كانوا يشكلون تجمع حضري. ويأتي هذا القول متوافقاً إلى حد كبير مع الرواية الشفهية لدى كبار السن بالمنطقة. الذين يرون أن تلك العائلات هي أولاد إبراهيم، أولاد عياد وأولاد بوجمعة ويعرفون عندهم بأنهم السكان القدماء في المنطقة، ويضيفون عائلة أخرى كانت بمثابة عائلة أرستقراطية في المجتمع التي كانت تملك العديد من الأراضي والمواشي. وتضيف الرواية أنه قد تفرعت من تلك الفرق باقي العائلات كأولاد بن عياد وأولاد السعدية، أولاد عليان، أولاد عمار، وأولاد بوخيار، وعائلات أخرى استقرت بعدهم لسبب من الأسباب. كالهجرة لطلب العلم، أو لعدم استقرار أماكن أخرى في فترات مختلفة، وانتهى كاتب التقرير إلى أن قيمة الضرائب المدفوعة لخزينة الإدارة الفرنسية من طرف الأهالي، يبقى ضئيل مقارنة مع عائدات الإنتاج الذي يحصل عليه فلاحي القرية وهي نقطة مهمة يمكن تأويلها فيما يخص رفض أهالي المنطقة الوصاية الاستعمارية. ومن المنشآت العمرانية التقليدية الأخرى المعروفة بالقرية نذكر الأضرحة، المتواجدة داخل القرية وخارجها، والتي كانت تحتل مكانة خاصة لدى الأهالي، إذ يحمل كل واحد منها اسم ولي صالح، وله كراماته التي يتميز بها في نظرهم، وسنذكرها، كما هي معروفة عند أهالي القرية ووفقاً لأهميتها الذي تمثله في معتقدتهم:

سيدي أحمد إبراهيم المتواجد في وسط القرية، والذي مازال لحد الآن يتجمع الأهالي في محيطه عند طلب المطر، حيث يعلن عن التجمع شيوخ القرية، الذي تمثله " الطلبة" فيقوم الناس بتحضير الكسكس (الطعام) في منازلهم وإحضاره لمكان التجمع الذي يطلقون عليه اسم "الوعدة".

سيدي يوسف المتواجد في منطقة الزاوية بجانب المقبرة الخاصة بأهلها، ويمثل وليهم الصالح. وعندهم "الوعدة" والجماعة الخاصة بهم، وهم أيضا من الطلبة، يقومون في العادة بذبح جدي ويقسمونه على منازل الحي.

وهناك أيضا أضرحة أخرى يقومون بزيارتها في أوقات متفرقة من السنة، لأجل طلب الشفاء والبركة وتلبية لحاجاتهم الروحية، منها: سيد المخفي، سيدي حامد، سيدي بن علي، سيدي الطاهر، سيدي بلقاضي، وسيدي عيسى وهو مكان المقبرة الحالية للقرية.

كما عرفت القرية تواجد مدارس لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال ويطلق عليها "بالجامع"، أشهرها مدرسة قرآنية بحي "بورجال" لصاحبها سي أحمد بوجمعة وكذلك تلك المدرسة التي كانت موجودة بجانب الولي الصالح سيد أحمد إبراهيم، كان يدرس بها المدعو سي عبد الرحمن، وقد تخرج على يد هؤلاء العديد من حفظة القرآن من داخل القرية وخارجها، وهم بدورهم كان قد تتلمذوا على يد عالم جليل يدعى المازوني كان قد استقر بالمنطقة قادما من "مازونة". وكذلك بمسجد الزاوية التي مازال يؤدي مهامه لحد الآن في تحفيظ القرآن بالطريقة التقليدية والمعروفة في العديد من المناطق " القلم والدواية". وقد شكل هؤلاء الذين أطلق عليهم اسم "الطلبة"، السلطة المنظمة للحياة الاجتماعية، وتمثل دورهم في تنظيم الحياة الاجتماعية حيث يرجع إليهم في فض النزاعات بين أفراد القرية، وسن قوانين الزواج، وطريقة استغلال الحقول وغيرها من المستجدات التي تطرأ على أوضاعهم الاجتماعية. وخلال الاستعمار الفرنسي أنشأت إدارته، مدرسة التعليم الحكومي المتواجدة بوسط القرية من الناحية الشمالية الشرقية للمسجد، ولازال بناؤها قائما، وهي في الوقت الراهن مدرسة

ابتدائية. وقد سميت بعد الاستقلال بمدرسة الشهيد "اعمير محمد" وهو مجاهد من شباب القرية. كما شهدت فترة الاستعمار إنشاء بعض البنايات في الجانب الشرقي للقرية بنيت بالقرميد على الطريق القديمة المؤدية لولاية تلمسان، ومن هناك كانت النواة الأولى لحي سيتشكل نهاية السبعينيات يطلق عليه اسم "عين الرمل". وقد أنشأ المستعمر أثناء تواجده أيضا، محطة القطار، وخط السكة الحديدية الرابط بين تلمسان ومغنية المتواجد في الناحية الشمالية، أين حول مدخل القرية الرئيسي بعد الاستقلال في تلك الناحية، والذي كان متواجدا في شرقها، أنشأته السلطات الفرنسية في عهدها، ويعرف هذا المكان عند السكان بـ "passage". ويمكن القول أن المنطقة في تلك الفترة وبذلك الوضع المجالي والعمراني كانت شبه معزولة عن باقي المناطق. وترد هذه العزلة قبل كل شيء لاكتفاء السكان ذاتيا من الناحية الاقتصادية وما تذر عليهم الأرض من محاصيل وتبادلها فيما بينهم، في إطار حياة مبنية على القناعة والتضامن بين الأفراد، وقد كان تنقلهم خارج القرية لا يتم إلا نادرا، وإن تم يتم بواسطة الدواب وحتى إلى المناطق البعيدة، الذي كان يستمر فترات طويلة، نظرا لصعوبة تضاريس المنطقة وانعدام وسائل النقل¹.

وفي الفترة الحالية ومع تطور العمران أصبحت القرية تتميز بكثافة عمرانية، وجاء ذلك على أنقاض البيئة العمرانية التقليدية، وتداخلت معها أحياء جديدة ظهرت على أطراف القرية، حيث يربط القرية طريق رئيسي يمتد من شرقها إلى غربها، أطلق عليه فيما بعد بشارع 05 جويلية، وبعد الآن المكان

¹ نشير هنا أن ما ذكرناه حول تاريخ المنطقة، هو الوضع الذي كان سائدا بحسب الروايات المعروفة في المجتمع وكذا تقرير الإدارة الاستعمارية الذي أشرنا إليه ماعدا ذلك، فلا توجد كتابات حتى إعداد هذا البحث حول تاريخ المنطقة ولا حتى لدى السلطات المحلية فما هو معروف لدى العام والخاص أنها منطقة قديمة وتشهد على ذلك بعض الأماكن التي تحمل أسامي بربرية، وكذا بعض الاحتفالات الشعبية، الناير واحتفالية الآيراد التي كانت تقام

الذي انتقلت إليه معظم الأنشطة والمحلات التجارية بعدما كانت تمارس في مركز القرية " المحمى". وتتوزع السكنات على أطرافه باتجاه الشمال والجنوب تتفرع منه طرق فرعية في شكل أزقة ودروب تتميز بالضيق أحيانا و التوسع النسبي أحيانا أخرى، فالتمدد العمراني جرى بشكل أفقي أي من ناحيتي الشرق إلى الغرب نظرا لصعوبة التضاريس من الجنوب المتمثلة في الجبال والجرف ومن الشمال، أين يحد بطريق السكة الحديدية وما دونها من أراضي فلاحية وبعض البنايات التي أنشأت حديثا المتواجدة بمدخل القرية "passage". كما أنشأت طيلة هذه الفترة العديد من المنشآت والمرافق الحكومية على غرار ملحقة البلدية، ودار الشباب والمستشفى، و مكتب البريد. وأضيفت مدرسة ابتدائية أخرى بمنطقة عين الرملى، كما تم انجاز متوسطة حملت اسم الشهيد مجاهد مصطفى بعدما كان تلاميذ القرية ينتقلون إلى بلدية بني مستار للدراسة، أما تلاميذ الثانوية فلا زالوا يزاولون دراستهم بها. وكذلك بني مسجد عين الرملى وافتتح في سنوات التسعينيات، ومسجد آخر قيد الانجاز يتواجد بحي "الوكدة"

— 21 —

— PROPRIÉTÉ INDIGÈNE. — *Sénatus-Consulté*. — Homologation des opérations de délimitation et de répartition de la tribu d'Ahl-Zelboun (territoire civil d'Oran).

RAPPORT ET ARRÊTÉ DU 4 DÉCEMBRE 1893

La tribu d'Ahl-Zelboun (commune de Tlemcen) a été désignée par arrêté du 30 avril 1890 pour l'application du sénatus-consulté.

Les gens de cette tribu sont de race berbère fortement mêlée d'arabe. Ils ont successivement subi le joug des sultans de Tlemcen, des commandants turcs et de l'émir Abdelkader. L'autorité de la France a été reconnue par eux lors de l'occupation définitive de Tlemcen (1842) et depuis, la tranquillité n'a jamais été troublée dans ce territoire.

Gens paisibles et laborieux, les Ahl-Zelboun s'adonnent surtout à la culture de leurs terres : ils possèdent de beaux vergers dont les produits sont facilement écoulés sur les marchés voisins.

La tribu compte une population de 1,039 habitants qui, quoique partagés en trois fractions, ont formé une agglomération assez importante, le village indigène de Zelboun qui occupe le centre du territoire. Son cheptel se compose d'environ 1,445 bêtes (en majeure partie moutons et chèvres) et le rendement de l'impôt n'atteint guère que 1,000 francs par an, non compris les taxes municipales.

Ce territoire, d'une superficie de 2,670 hectares, est limité :

Au Nord, par la tribu d'Ouled-Riah et le donar de Beni-Mester ; à l'Est, par le donar d'Ain-Douz ; au Sud et à l'Ouest, par les douars de Terni et de Touririne (Ouled-Hammon).

La délimitation périmétrique n'a donné lieu qu'à un incident de peu d'importance :

La djemâa d'Ouled-Hammon a protesté contre le déplacement, par l'agent d'exécution, de la borne où aboutissait le point commun entre son territoire, celui d'Ouled-Riah et celui d'Ahl-Zelboun. D'abord écartée par la Commission administrative sur les indications erronées recueillies par le commissaire délimitateur, cette demande a reçu satisfaction

أنواع ومورفولوجية المساكن بالقرية:

يمثل المسكن الوحدة العمرانية البارزة في القرية، نظرا لطبيعتها الريفية وقلّة المنشآت العمرانية الحكومية المحدودة المتواجدة هناك، لذا فالمنزل الريفي يعد انعكاسا صادقا لظروف البيئة والمجتمع والمواءمة بين المسكن والوسط الذي يعيش فيه الإنسان من بيئة لأخرى،¹ وكما تختلف مساكن القرى الريفية في موادها فهي تختلف في خطتها، وشكلها، فمنها البسيط المتواضع جدا، ومنها المنتظم شكلا وخطا ومنها المستطيل الشكل ومنها الكبير ذو الطابقين إلى غير ذلك من أشكال وأحجام.² ومن خلال المشهد العمراني الملاحظ بمنطقة "زلبون" يمكن حصر أنماط مساكنها في ثلاث أجيال أساسية حسب التطورات التي حصلت في جانبها العمراني، والتي تشكل في مجملها الوضع العمراني والمجالي القائم في القرية حاليا. كما أن استقراء مورفولوجية النماذج السكنية بشقيها التقليدي والحديث، سيكشف لنا عن طبيعة العلاقة بين الشكل المبني ونمط تعايش الأسر سواء كانت أسر مركبة أو ممتدة أو نووية.

¹ حسام الدين جاد الرب، الجغرافيا البشرية، www.kotobarabia.com ص 143

² المرجع نفسه ص 144



الصور رقم : (5-6-7-8) : تبين الواقع العمراني للقرية الذي يجمع بين التقليدي والحديث

- الجيل الأول: المسكن التقليدي

شكل المسكن التقليدي بـ "زليون" مواد البيئة المحلية التي تتكون من التراب، والحجارة، والأخشاب ويتركز هذا النوع في وسط القرية الذي من خلاله نستطيع أن نميز النواة الأولى للتجمع في القرية. وهو شبيه إلى حد ما في مورفولوجيته بتلك الموجودة في شمال إفريقيا كالمسكن القبائلي والتونسي والمغربي فالمنازل هناك بالقرية تتميز بالتكثف والبساطة، وقد تكون الدار مربعة الشكل أو مستطيلة، ومن الخارج، فإن أغلب المساكن من هذا النوع لا يحتوي على نوافذ تطل للخارج، ماعدا بعض الفتوحات الموجودة خاصة في أعلى الجدار من جهة المطبخ. كما أنها ذات طابق أرضي وتتميز باتساع المساحة المقام عليها، حيث تتراوح مساحة أغلب المنازل من 180م مربع إلى 260م مربع، وتشكل الباب المنفذ الوحيد إلى الداخل فهي متسعة نسبيا ومصنوعة من مادة الخشب الخشن، ومن مميزات الباب أيضا أنها لا تقابل باب مسكن مجاور لها حفاظا على حرمة الجيران في الحي، وباتجاه الداخل مباشرة بعد الباب تتواجد "السقيفة" وهي منطقة مغطاة ومفصولة بحائط عن وسط الدار تتسع من مترين إلى ثلاث أمتار ولها عدة وظائف فهي مكان مخصص لوضع بعض الأدوات التي تستعمل في الفلاحة كالمحراث وأدوات أخرى منزلية كالغرابيل أو جرات الماء، ومن جهة أخرى فالسقيفة تحجب أنظار المارة في الشارع عن داخل المسكن، بعدها يأتي الفضاء الداخلي والذي يتكون من فناء أو وسط الدار مفتوح للسماء، محاط بالغرف التي تتسع معظمها من خمس إلى عشر أمتار طولا، ومن ثلاثة إلى أربعة أمتار عرضا، ومن اثنان ونصف إلى ثلاثة ارتفاعا. أما السقوف مغطاة بالخشب والقصب من الداخل ومن التراب من جهة السطح، ونجد نوافذ الغرف تطل للداخل على وسط الدار، وتكون الغرفة الأولى بجانب المدخل الرئيسي للمسكن مخصصة للضيوف وهي متسعة نسبيا عن باقي الغرف، وللمطبخ ركن خاص بالداخل ومشارك بين الأسر النووية التي تتقاسم العيش في السكن، وهو مشابه لبقية الغرف من حيث الشكل وصغير

نسبياً عنها، ونجد أيضاً مكان مخصص للمشاة وعادة ما يكون أكثر انعزالاً عن بقية العناصر المشكلة للسكن. وهناك من خصص لها مكان مغطى بالخشب والزنك بجانب المسكن أو من خلفه.

إن الملاحظ في هذا النموذج، أنه قد عمر لفترات زمنية طويلة رغم ما مر به المجتمع من أحداث في الفترة الاستعمارية، كما أنه يعكس نمط الحياة الاجتماعية السائدة في تلك الفترة من حيث السكن الذي يحوي الأسر الموسعة أو المركبة، والطبيعة الاقتصادية المبنية أساساً على روح التضامن وسيطرة القيم التقليدية، وقد بدأ يختفي هذا النموذج في الوقت الحالي نظراً لتطور نمط ومواد البناء العصرية، فوجود بعض المباني من هذا النوع إنما يدل على الحال الميسور لصاحبه من الناحية الاقتصادية، أو أنه إرث لعائلة لم يتم تقاسمه بين أفرادها



الصور رقم : (9-10-11-12) : تبين طبيعة المسكن التقليدي من حيث مواد ومورفولوجيته

-الجيل الثاني:

يعبر هذا النمط من المساكن عن مرحلة انتقالية بدأ يشهدها المجتمع من ناحية تركيبة الأسرة والاستقلال النسبي لأفرادها، وكذلك من ناحية استخدام مواد بناء جديدة وتوفرها في السوق، والتخلي عن مواد البيئة المحلية بشكل تام، التي يكلف جلبها من محيط القرية جهدا ووقتا أكبر ماعدا الحجر الذي يفضل الأغلبية استخدامه في بداية البناء حيث يعتبر مقاوم للرطوبة خاصة. ويمكن تحديد هذه الفترة من بداية الثمانينات إلى نهاية التسعينيات من القرن الماضي، أين عرف المسكن تطور تدريجي خلال هذه المدة، وظهور عناصر معمارية غير التي كانت سائدة من قبل، فمن ناحية الشكل الملاحظ أن المسكن حافظ على مميزات المسكن التقليدي ومساحته في البداية، كالإبقاء على وسط الدار، وطريقة توزيع الغرف داخل المسكن. ثم شيئا فشيئا بدأ يفتح للخارج من خلال النوافذ، وارتفاعه نوعا ما واعتماد الطابق الأول للسكن وزيادة الغرف فيه، واستبدال السلم الخشبية التي تؤدي إلى السطح ب " الدرج" الاسمنتية، مما سهل الحركة بين أعلى المنزل وأسفله، وقد استغل السطح لنشر الغسيل وبعض الأعمال اليومية التي تقوم بها المرأة، وكذلك إقامة الحفلات الخاصة بالزواج . كما عرف المسكن أيضا إنشاء بالكوهات مطلة على الشارع، ومن الداخل اعتمدت بعض المساكن عنصر الرواق " couloir " الذي تتقابل من خلاله الغرف وتخصيص مكان في الطابق الارضي لممارسة نشاط تجاري أو مهني من خلال فتح غرفة للخارج . كما بدأت تحدث تغيرات على مستوى التهيئة الداخلية للمسكن كالتزليج، والاهتمام بشكل المطبخ وتأثيثه، وتخصيص مكان للتلفزيون والهاتف الثابت في الصالون، التي اعتبرت عناصر عصرية آنذاك، مع تحول في طريقة توزيع الأفراد بالداخل. يتميز هذا النموذج بأنه يتقبل الإضافات المعمارية والتوجهات المجالية عند إجراء أي تعديلات على عناصره، لأنه اتبع شكل المسكن التقليدي من ناحية الحجم واختلف عنه في مواد البناء التي تضمن له المتانة، ويمكن القول أن هذا

النموذج هو الأكثر انتشارا في القرية ويضم حتى المساكن التقليدية التي رمت بمواد حديثة لتتكيف مع باقي المساكن.



الصور رقم : (13-14-15-16) : تخطيط تقليدي للمسكن بمواد حديثة

الجيل الثالث:

وهو نموذج عصري مواكب للتطورات الحاصلة على مستوى تقنيات ومواد البناء وكذا الوسائل والتجهيز والتأثيث. كالمكيفات، والافرشة العصرية، وتنظيم المطبخ. فهو يمتاز بالتخطيط المسبق لمختلف أجزائه تبعا للوظيفة التي تؤديها للسكن المريح، ومن هنا جاء شكله مختلف، خاصة من ناحية الحجم، فهو صغير نسبيا مقارنة مع النماذج السابقة حيث تتراوح مساحته بين 120 متر مربع إلى 150 متر مربع، وذات توجه عمودي أكثر منه أفقي، وغرفته هي الأخرى صغيرة الحجم، ولا تتجاوز ثلاث غرف للطابق الواحد مع تهيئة خاصة لبيت الضياف "الصالون" من حيث الديكور والإضاءة، وقد تم التخلي عن وسط الدار نهائيا، من أجل استغلال الطابق الأرضي للنشاطات الاقتصادية المختلفة، والابتعاد عن فوضى الخارج، خاصة تلك المساكن المتواجدة على طول الشارع العام، وكذلك "كراجات" للسيارة، أما الطابق الأول والثاني فهو مخصص لاحتواء أفراد الأسرة، وتوزيعهم داخل المسكن ويكون هذا التوزيع حسب وضعيتهم إن كانوا ذكورا أم إناثا، وعلى عكس النموذجين السابقين يلاحظ أن هناك اهتمام بالمظهر الخارجي للمسكن من طلاء وتقنيات معمارية حيث تدل في الغالب عن المستوى المادي لصاحبه.

إن هذه النماذج الثلاث تعبر عن فترات مختلفة تطور المسكن من خلالها من مأوى بسيط ومتشابه من حيث الشكل إلى معقد ومتعدد المظاهر وقد أثر ذلك على المشهد العمراني بالمنطقة بصفة عامة وصاحب كل ذلك تغيرات في البنية الاجتماعية، والمجالية على حد سواء



الصور رقم : (17-18-19-20) : مساكن عصرية

تطور العمران بالمنطقة:

لقد حددنا فيما سبق مورفولوجية القرية وأنواع المساكن الموجودة بها، وأشرنا كذلك لطبيعة التوسع العمراني الذي ساد من جهتي الشرق و الغرب، نظرا لصعوبة التضاريس من جهتي شمال وجنوب القرية، ونشير هنا قبل عرض تطور العمران، إلى أن ملكية الأراضي "بزلبون" أغلبها ملكية خاصة، ماعدا تلك الأراضي التي وزعت على بعض السكان في سنوات السبعينات و الثمانينيات، الذين كانوا يتركزون بوسط القرية القديمة، والتي تميزت ببيئتها العمرانية، أنها بيئة بنيت بمواد البيئة المحلية المتمثلة في الخشب والحجارة، والطين، وجل مساكنها ذات طابق أرضي، تعيش فيه العائلة الموسعة، تتمركز حول مصادر المياه المتمثلة في الينابيع و الآبار، التي غالبا ما كانت تتواجد إما داخل المنازل، أو بالقرب منها. وكانت تلك المصادر تعتبر كامتداد لفضاء المسكن، حيث كانت تتحلق حولها النسوة لقضاء حاجاتهم المنزلية باعتبارها فضاء ممتد ومشارك بين العائلات. وهناك أيضا مصدر مائي مهم يقع في جنوب القرية "فوق الجرف" المطل على البنية العمرانية، يسمى "العين الكبيرة"، وهذه العين تعد مصدر حيوي، بحيث كانت تسقي الحقول المتواجدة في الأطراف ومن جميع الجهات، ومما ساعدها على ذلك هو شدة الانحدار الذي يسلكه الماء من الجنوب إلى الشمال في الوصول لهذه الحقول، فقد خطط بعناية وبشكل طبيعي وتلقائي تم توجيهه بعناية من أجل استغلاله، كما أن " الجماعة" هي من كانت تشرف وتنظم دور كل فرد في الري على مدار اليوم والساعة. وقد تبين لنا من خلال معاشتنا للوضع القائم في القرية، أن هذا التقسيم كان يستند بالدرجة الأولى إلى تنظيم يخضع للنظام القرابي وطبيعة الأسر من حيث

قدمها في القرية، حيث تستفيد هذه العائلات من حصص أكبر من الماء.¹ أما الأحياء العمرانية بداخل القرية فهي الأخرى كانت تحمل أسماء قرابية مثل "درب أولاد "بوجمعة" درب "أولا إبراهيم " ودرب " أولاد عياد" الخ...

يمكن القول أن القرابة في النظام لعبت دورا مهما في تنظيم المجال الجغرافي والعمراني التقليدي بالقرية سواء من حيث استغلال الثروة الطبيعية المتاحة أو تنظيم المباني والأزقة، المستمد من ثقافة يمكن وصفها على أنها تقوم على روح التضامن والتعاون بين الجماعة، فطرق ومواد البناء معروفة لدى كافة الأفراد في المجتمع، فهم يتشاركون في عمليات البناء عندما يقوم أي شخص بذلك عن طريق "التوزيع" التي تتم بشكل دوري بين العائلات. ويمكن حصر بداية فترة التوسع العمراني حسب تتبع المعطيات الميدانية مع نهاية السبعينيات أين ستشهد القرية حركة عمرانية غير مسبوقه ستؤثر على مورفولوجيتها. وقد جاء ذلك نتيجة لعدة عوامل سياسية، اقتصادية، واجتماعية عرفتها المنطقة، وفي هذا الإطار زودتنا مصادر البلدية ببعض المعلومات المهمة التي تبين طبيعة التوسع الذي حصل في الجانب المجالي والعمراني، وكانت بدايته تتمثل في توزيع قطع أرضية لأجل البناء تتوزع على أطراف القرية من مختلف الجهات، الشرقية، والغربية، والجنوبية، كما هو موضح في الجدول الآتي:

¹ غالبا ما كانت تقع نزاعات عند خرق أحد الأفراد لهذا النظام، وتعتبر الألفاظ المتبادلة بين الطرفين عن العديد من

الخلفيات التي توحى بطبيعة العلاقات التي تتميز بتعصب كل فرد لجماعته القروية لكن سرعان ما يتم فض النزاع

وتعود الأمور لطبيعتها

جدول رقم (3): القطع الأرضية الموزعة على السكان من سنة 1975 الى سنة 1983¹ .

المنطقة	عدد المستفيدين من قطع أراضي
حي عين الرملة	85
حي الوطنية	31
حي باب العسة (الوكدة)	33

يبين لنا الجدول تدخل السلطات المحلية بهدف تشجيع السكان على الاستقرار بالمنطقة، في فترة كانت تعيش فيه الأرياف بالجزائر نزوحا ريفيا رهيبا نتيجة للتحويلات التي عرفتتها المدن، من خلال ظهور المصانع و استقطاب الأيدي العاملة، كما يبين أن هذا التوسع سيشهد بداية تقلص منظومة الأسر الموسعة، التي كانت تتكفل داخل القرية القديمة، وخلق أحياء جديدة تحمل أسماء الأماكن المتواجدة بها: حي الوكدة (باب العسة) ، حي عين الرملة، الأمر الذي جعل من القرية مجتمع كلي يحمل أجزاء بداخله. فقد أكسب سكان هذه الأحياء خاصة الشباب الذين ولدوا فيها، هوية أخرى غير القرابية يعرفون من خلالها وهي هوية مكان هذا الحي الذي يستقرون به. كما لوحظ أيضا أن في هذه الفترة أصبحت المنازل تبتعد نوعا ما عن مصادر المياه، مما تتطلب إيصال الماء الى البيوت وهو ما عملت عليه السلطات المحلية، من خلال استغلال العنصر المائي "العين الكبير" لتزويد سكان القرية بالماء الصالح للشرب عن طريق إنشاء خزانات لتجميعه ومن ثم يتم التوزيع بشكل منتظم، ليصبح لهذه العين دور آخر غير سقي الحقول. كما نشير هنا أن طبيعة الأراضي التي تم التوسع عليها تعتبر أراضي جبلية صعبة التربة، حيث قام المستفيدون منها " بتطويعها" حسب ما أشار إليه أحد الأهالي، أما شكل البناء فبدأ يأخذ توجهها رأسيا، وهذا تزامنا

¹ القطاع التقني لبلدية بن مستار

*تطويعها : أي اصطلاحها : اخضاعها لهم

مع التحول في مواد وتقنيات البناء المستعملة (الاجر ، الخرسانة ، الحديد)، عوض المواد التقليدية. من جهة أخرى فقد تم اطلاقنا، من مصادر بلدية بني مستار على وثيقة متعلقة بتحويل ملكية الأرض المقام عليها المسكن لأصحابها، لكل من سكان أحياء عين الرمل، والوطية، وباب العسة ، وذلك بموجب مداولة رقم 10 بتاريخ 20-02-1993، تم الموافقة من خلالها على تسوية وضعيتهم،¹ بعد أن كانوا قد تقدموا بشكوى في فترات سابقة لمصالح البلدية، يطالبون فيها بتحويل الملكية. وفي سنوات التسعينيات، قدمت السلطات المحلية بعض الإعانات على شكل مبالغ مالية مخصصة للبناء قدرت ب 12 مليون سنتيم. وزودتنا نفس المصادر بأعداد المستفيدين من سنة 1993 الى سنة 1999 و هي كما يلي : ²

جدول رقم (4) : الإعانات المالية الموجهة للبناء، من إعداد الباحث بمساعدة القطاع التقني

بلدية بني مستار

السنوات	عدد المستفيدين	القيمة المستفادة
1993	5	12 مليون سنتيم
1994	4	12 مليون سنتيم
1995	8	20 مليون سنتيم
1996	3	12
1997	5	12
1998	5	12
1999	7	12

¹ القطاع التقني لبلدية بني مستار

² المرجع نفسه

وفي إطار دعم البناء الريفي في سنوات الألفية الموجه من طرف الدولة، استفاد عدد لا بأس به من الأفراد من حصص مالية، قدرت بسبعين مليون سنتيم للفرد. فحسب نفس المصادر فقد استفاد حوالي 155 شخص، طيلة الفترة الممتدة من سنة 2005 الى غاية 2014¹. ويشترط على المستفيد في هذا الدعم أن تكون له قطعة أرضية للبناء، ومن ثم يقوم بإعداد ملف يودعه لمصالح البلدية، لتتكفل بالإجراءات القانونية اللازمة، وبعد الموافقة يشرع المستفيد في البناء، حيث يستلم تلك الإعانة على ثلاث مراحل: يقدم له في المرحلة الأولى مبلغ بمقدار 14 عشر مليون سنتيم بعد أن يسوي الأرضية، و يضع أساس البناء، و 28 مليون سنتيم عند وضع السقف، و 28 مليون سنتيم أخرى عند الانتهاء من البناء مع المراقبة الدائمة في كل مرحلة، حيث يجبر المستفيد باحترام المخطط الذي وضعته البلدية مسبقاً. ويشتمل هذا المخطط فقط على بناء ذو طابق واحد على حساب الإعانة المقدمة، وهو ما يدفع المستفيد عند الانتهاء من هذه الشروط إلى التصرف في تغيير شكل مسكنه حسب احتياجاته وقدراته المالية، فمثلاً واصل العديد من المستفيدين البناء في الأعلى، وأجروا تعديلات على الطابق الأرضي مع استحداث عناصر أخرى داخل المسكن (محل تجاري، مرفأ السيارة إلخ...)، وهي العملية التي تم الانتقال من خلالها من الشكل الموحد للمسكن الذي أقرته مصالح البلدية، إلى أشكال مختلفة تعكس الظروف الاجتماعية والثقافية لكل أسرة. وقد استمر الدعم بهذه الصيغة في السنوات التي تلت، ولكن بوتيرة ضعيفة عن سابقتها، فخلال الفترة ما بين 2015 و 2021 تم تسجيل عدد قليل من المستفيدين، ويرجع ذلك إلى توزيع سكنات مجهزة من طرف الدولة، تم إنشاؤها خارج القرية، تقع كل من منطقة "بوجميل" على بعد حوالي 7 كليومتر، وأخرى واقعة ببلدية "بني مستار"، وجاءت هذه العملية في مرحلتين سنة 2017 و 2021 استفادت من خلاله حوالي 60 أسرة من سكان القرية من سكن خاص.

¹ المرجع نفسه.

بالإضافة إلى حجم دعم الدولة للتوسع العمراني، عبر هذه المراحل التي قدمناها، فهناك أيضا من ساهم بأمواله الخاصة، على وجه التحديد فئة المغتربين، والذين كان لهم كبير الأثر الكبير في تنشيط حركة العمران، باعتبار أنهم مالكيين لرؤوس الأموال التي جنوها من عملهم في المهجر، حيث شهدت القرية في سنوات ما بعد الاستقلال حركة غير مسبقة للهجرة نحو أوروبا خاصة فرنسا، فلا يوجد أسرة من سكان القرية إلا ولها على الأقل فرد من أفرادها يتواجد بالمهجر، وبقي له ارتباط بقريته يتردد إليها مرة أو مرتين في السنة، وهي الفئة التي كان أغلبها من الشباب سنوات الستينات والسبعينات من القرن الماضي، ولهذا السبب عرفت المنطقة على مستوى ولاية تلمسان من المناطق المعروفة بالمهاجرين، حيث انعكس ذلك على طرق البناء الخاصة بهم وما تحمله من دلالات سوسيو اقتصادية وثقافية، حيث لوحظ خلال هذه الفترة الاهتمام بالشكل الخارجي وارتفاع المباني. كما امتلأت الفراغات التي بداخل القرية، التي كانت تعتبر حقول تقع على أطرافها بعد أن حاصرتها البنايات من كل جهة .



الصورة رقم : (21) : حي عين الرمل



الصورة رقم : (22) : حي الوكدة



الصورة رقم : (23) : حي الزاوية

مظاهر التحول المجالي والمعماري للسكن بالقرية:

إن التحول المجالي والمعماري الحاصل بقرية زلبون تعبر عنه عدد من المظاهر يمكن من خلالها استقراء حجم التغيرات التي تدل على انتقال المجتمع من النموذج التقليدي إلى الحداثي خاصة عند ربط الظاهرة العمرانية بالقيم الاجتماعية والثقافية ولعل أبرز هذه المظاهر مايلي:

-تفكك نواة السكن الأصلية للقرية:

التوسع العمراني الذي حدث، أدى إلى خلق مجالات عمرانية جديدة، وفي اتجاهات مختلفة وبالخصوص جهتي الشرق والغرب للقرية. هذا التشتت المجالي للسكن الريفي بالمنطقة واكبه تغير جذري في مواد البناء وفي التصميم الهندسي. ويتعلق الأمر أكثر بتلك المساكن التي تتواجد على جانب الطرقات العامة مع تحولات بسيطة بالمساكن القديمة وسط القرية ويرجع ذلك إلى التكتل العمراني وصعوبة إدخال مواد البناء لإجراء تغييرات على المسكن مع اعتبارات اجتماعية أخرى، فالانتقال مثلا إلى بناء مسكن جديد خارج البيئة التقليدية وما يتطلبه من إنفاق مادي لتهيئته حتما يعيق التفكير في إعادة إجراء التغييرات على المسكن التقليدي. كما يعتبر هذا الأخير ملك للعائلة الموسعة، ومع بداية تغير نمط الأسر أصبح بناء مسكن من أوليات الأفراد كتعبير عن استقلاليتهم، كل هذه الأمور وغيرها قد ساهمت في تغير مورفولوجية القرية من الناحية العمرانية.

-تغير في وظائف المسكن:

منذ الستينيات سيعرف السكن الريفي تطورات هامة شبيهة بتلك التي عرفتها المدن، وبالتالي سيعرف هذا السكن تغيرات أبعدت العديد من المرافق التي كانت تميزه لتخلق مرافق جديدة تتماشى والمستوى الاقتصادي والاجتماعي لسكان الأرياف¹، وقد تميز المسكن التقليدي بزلبون بوظيفتين

¹ عبد السلام بوهلال، التحولات الحديثة للسكن القروي بالريف الأوسط نماذج من صنهاجة سراير، مجلة تدخين

أساسيتين الأولى كماوى للعائلات والأخرى كوحدة إنتاجية، غير أن السكن عرف تحولات هامة على المستوى الوظائف التي كان يؤديها ، حيث انتقل من السكن الريفي الذي كان جزء كبير منه يخصص لتربية الماشية وتخزين المحاصيل السنوية، إلى سكن ريفي يؤدي وظيفة محددة ورئيسية تتمثل في السكن فقط وممارسة بعض الأنشطة التجارية.¹

-التغير في شكل المساكن وهيكله البنية الداخلية:

أفرزت التحولات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها القرية، ظهور أنماط جديدة من المساكن ويتجلى ذلك بوضوح من خلال مورفولوجيتها وبنيتها الداخلية. فعلى مستوى الشكل أخذت المساكن توجهها رأسيا وقد اتسمت بالطابع الحضري من حيث التصميم. أما على مستوى التنظيم الداخلي لهذا النوع من السكن فيتميز بكون عدد الغرف به أصبح محدودا لا يتعدى أربع غرف،² مع التخلي عن بعض المظاهر العمرانية التي تميز بها المسكن التقليدي لعل أبرزها وسط الدار حيث تحولت بعض النشاطات التي كانت تقوم بها المرأة كالغسيل وتجفيف الملابس إلى السطح إذ خصص به مكان يطلق عليه "بيت الصابون".

- التغير على مستوى توزيع الأسر داخل المسكن:

رغم اختلاف طرق التعايش من أسرة لأخرى إلا أن التنظيم المجالي في المسكن العصري يوحي بأن هناك تحول على مستوى بنية الأسر بقرية زليون، من خلال تقاسم الفضاء الداخلي بالنسبة للأسر المركبة، التي أصبحت تنتقل إلى أسر نووية، وبالتالي نجد أن بعضها تتفرد بجهة معينة في مسكن الأب أو البناء في الأعلى وجعل مدخل خاص بها وتجهيزه على حساب احتياجاتها، الأمر الذي يجعلها تحس بالاستقلالية وينطبق هذا على الأسر الميسورة التي لم تستطع بناء مسكن جديد

¹ عبد الواحد العمراني، خالد أبدا، مرجع سابق ص216

² المرجع نفسه، ص2017

خاص بها. أما الأسر المستقلة بمسكن خاص فالتوزيع داخل المسكن يكون على حساب الجنس والعمر فهناك غرفة الزوجين وغرف للإناث وأخرى للذكور، بالإضافة إلى غرفة الضيافة والمطبخ والحمام، فعلى عكس المسكن التقليدي الذي كانت تتشاركه الأسر الموسعة التي تضم الجد والأعمام في مجال واحد، أصبح المسكن يقتصر على الأب وأبنائه أي الأسرة النووية.

خلاصة الفصل:

حاولنا من خلال الوصف العام المقدم في ما سبق، عرض طبيعة المجال الاجتماعي والعمراني بمجتمع الدراسة، وأهم مراحل التطور العمراني به، وقد تبين لنا أن المنطقة لم تشهد تحولات نوعية مثلما شهدته فترة ما بعد الاستقلال، وهو حال المجتمعات القروية في الجزائر. كما يؤكد أن المسكن ليس معطى ثابت فهو يمثل الأنظمة السوسيواقتصادية يتطور ويتحول باستمرار ضمن سيرورة يمر بها المجتمع. وقد لاحظنا كيف ساهم ذلك في تشكل أحياء جديدة غيرت مورفولوجية القرية.

الفصل الثامن

المسكن بـ"زلبون" بين التقليدي
والحديث

تمهيد:

حاولنا في الفصل السابق، تأكيد أن المسكن يمثل الوحدة الأساسية لتطور المجال العمراني بالقرية، فقد ساهم تحوله في خلق العديد من الفضاءات التي تجسدت في أحياء جديدة انعكست بدورها على طبيعة البناء الاجتماعي التقليدي، واكسب هويات جديدة لدى أفراد المجتمع، فهناك علاقة جدلية بين الحياة الاجتماعية التي تشكل الوظيفة، ومورفولوجية المسكن الذي هو الإطار المادي، والذي يتغير وفق تغير تلك الوظائف الاجتماعية والثقافية التي يحويها. من هنا سنسعى في هذا الفصل إلى التطرق إلى التمثلات السوسيوثقافية للمسكن التقليدي وانعكاساتها على شكل المسكن، ضمن تلك الفترات التاريخية التي سبق وأن حددناها في مجال الدراسة، مراعين في ذلك الجانب البيئي الذي لعب دورا هاما في توجيه العملية العمرانية بشكل عام، والمسكن بصفة خاصة، من خلال تحليل أقوال المبحوثين أنفسهم، والدلالات والمعاني التي يحملونها من جوانب مختلفة، و كذلك الوقوف على مستوى وعيهم بهذا التحول.

أولاً: التمثلات السوسيوثقافية للمسكن التقليدي:

إن المعالجة الانثروبولوجية للمسكن تستدعي أولاً الوقوف على التمثلات التي يحملها الأفراد حوله، وبما أن دراستنا تهتم بتحول مورفولوجية المسكن فحتماً وجب الانطلاق من تلك التصورات الخاصة بالمسكن التقليدي التي تعد بمثابة الذاكرة الجماعية المشتركة بين أفراد المجتمع، وكذلك لاستحضار الأبعاد السوسيوثقافية لسكان قرية "زلبون" ومدى تشبثهم بالعادات والتقاليد وتفاعلهم ضمن الإطار البيئي والاجتماعي الثقافي الذي يتحكم في بنية المسكن وتشكله وفق احتياجاتهم. إن هذه الذاكرة في نظرنا تمثل رمز لهوية ثقافية صارعت ولازالت التغيرات التي تستهدف معالم المكان بالقرية وشواهد المجالية من خلال التحول الغير مسبوق في الجوانب المعمارية.

-المسكن بين البيئة الطبيعية وتشكل البيئة العمرانية:

يكشف لنا المسكن التقليدي بزلبون عن طبيعة المجتمع المبني على العائلات الموسعة والمحافظة في نفس الوقت، ويعبر عن ذلك، النمط المعماري القائم على تقسيم عناصره الداخلية للفضاء المعاش، فالمسكن التقليدي كما رأينا في وصفنا له، يتكون من مجموعة من العُرف تقوم بأدوار وظيفية مُتعددة مثل غرف النوم، غرف الضيوف وغرف للخرن، مطبخ، وعُرف أخرى خاصة لبعض الأنشطة الحرفية التقليدية كالنسيج، وغزل الصوف وغيرها. من هنا فالمنزل القروي بـ "زلبون" في فترات سابقة كان عبارة عن كيان متكامل ومستقل، مما يدل على طابع الوحدة والانعزال جغرافيا في توطنه بمنطقة جبلية. إن هذا التوطن قد أشار إليه العديد من الباحثين وأكدوه لنا بعض المخبرين، على أنه يوحى بالصراع الذي حصل خلال مسارات تاريخية مختلفة حول المناطق السهلية وهيمنة الآخر عليها، وترك لهؤلاء السكان المناطق الجبلية للاستقرار بها، على غرار العديد من المناطق الجبلية من الوطن، الأمر الذي أجبر أهالي تلك المناطق على الاعتماد على أنفسهم في قضاء حاجاتهم وفق الثروات الطبيعية المتوفرة، كما أكسبهم ملامح ذهنية وثقافية

خاصة تتميز بالعديد من المظاهر أملتھا الظروف البيئية. في هذا الصدد يفسر " مورييس جودوليه" تلك العلاقة إذ يقول : " أن الحدود بين الطبيعة و الثقافة و التمييز بين ما هو مادي وما هو فكري تميل إلى الانمحاء عندما نحلل القسم من الطبيعة الذي هو خاضع مباشرة للإنسان منتج أو معاد إنتاجه من طرف الإنسانهذه الطبيعة التي هي خارجية بالنسبة للإنسان، ليست خارجية بالنسبة للثقافة، والمجتمع، والتاريخ".¹ أي أن المجال الطبيعي هو في حد ذاته يتحول إلى جزء من ثقافة الأفراد الذي ينطبع في ذهنهم عبر مراحل حياتهم وعلاقاتهم مع البيئة التي يعيشون فيها ويتصرفون اتجاهها وفق ما تملیه عليهم.

إن تجمع منازل القرية، في منطقة محددة المعروفة ب "المحمى" وتكتلها بجانب بعضها في البداية، أظهر أنه كان بدافع توفر الحاجة للأمن والماء كما أشرنا سابقا، من خلال إمضاء حياة مشتركة في مواجهة البيئة الطبيعة الجبلية القاسية. وقد رسم هذا التجمع ثقافة حميمية وتضامنية بين أفرادها، تجلت من خلال الطقوس والحفلات والممارسات اليومية المعاشة، التي عبر عنها المبحوثون في وصفهم لبيئتهم التقليدية، وقد قال لنا أحدهم يبلغ من العمر (72 سنة) ، كنا دار وحدة، لقد كنا نتقاسم أبسط الأشياء التي نمتلكها مع الجيران. وهو ما يدل عن أهمية البيئة الطبيعية في تشكل الواقع العمراني والاجتماعي بالمنطقة، وتكيف سكان القرية معها، التي كانت تستدعي نوعا من التعاون واشتراكهم في استغلال مواردها من مياه وأشجار مثمرة وغيرها، كما هو الحال في موسم جني الزيتون أو موسم الحصاد التي استمرت حتى عهد قريب وهو ما يدعو إلى الجزم كل الجزم أن فضاء المسكن التقليدي، كان استجابة لتلك المظاهر من حيث الشكل وتهيئته الداخلية، فعادة ما تكون وسط الدار أو السطح مكانا لتجفيف تلك المحاصيل مثل القمح، أو التين،

¹ محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، الطبيعة و الثقافة، توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب، ط1،

وكذا تخصيص مكان لوضع الوسائل والأدوات الفلاحية التقليدية المرتبطة بها، التي عادة ما نجدتها في مدخل السكن عند السقيفة، ناهيك عن الأماكن المخصصة للمشاة والدواب والتخزين، كما كان للظروف البيئية الدور الفعال في توجيه وتحديد مختلف أجزاءه وظيفيا سواء من ناحية الخارج أو من داخله. فقد أبرزت لنا أقوال المبحوثين في حديثهم عن مواد وطرق البناء في هيكلة مساكنهم التقليدية، تمثلهم لعلاقة المسكن مع مواجهة الظروف المناخية، من خلال سعيهم لإقامة بناء يكون أكثر مقاومة لها، ونوجز تلك الأقوال فيما يلي:

كنا نحدد الشكل الهندسي لمختلف الغرف حسب مقاسات الخشب من حيث الطول في تحديد المسافة بين الجدار الخارجي والداخلي، حيث يفضل أن يكون طول الخشبة الواحدة 2.20م. ثم يتم إضافة القصب، والأغصان والتراب لتسوية السطح، ونحرص في ذلك على عدم تسرب مياه الأمطار للداخل.

سمك الجدران يراوح بين 50 إلى 60 سنتم ويتشكل خاصة من الحجر والتراب الذي يتم تمليسه من الداخل، حيث يضمن مقاومة للبرودة شتاءا والحرارة صيفا

بالنسبة للتهوية والإضاءة نترك بعض الفتحات في أعلى الجدار من الخارج مع إقامة بعض النوافذ التي تطل على وسط الدار

كان معظم السكان يحرص أن يبني مسكنه قريب من منبع الماء وعادة ما يوجه الباب من ناحيتها حتى يسهل استغلاله للأشغال المنزلية اليومية. كما هو الحال في حي "بابا جموع" وحي "المحمى" وحي "بورجال" وغيرها من الأحياء

هذه التصريحات فيما يخص وصف تهيئة المسكن التقليدي ومواده، تقاطعت مع وجهة نظر المقاربة البيئية أين يبدو لنا جلها هيمنة البيئة الطبيعية الجبلية بقرية زليون ، فقد استلهم المنزل نمطه المعماري وشكله لمواجهة طبيعة المناخ السائد وما تمليه جغرافية المنطقة وتضاريسها، الأمر

الذي جعله ينخرط في التمثل العمراني والوظيفي للجماعة الاجتماعية بالقرية، وقد انعكس ذلك على البيئة العمرانية التقليدية ككل حيث تشكلت دروب وأزقة ملتوية من الداخل لجعلها تتكيف مع التغيرات الفصلية من أجل خلق بيئة عمرانية ملائمة داخليا، أما المساكن الواقعة على أطراف القرية فنجد البعض يحيطه بنبات الصبار (الصابرة)، أو غرس أشجار بطريقة متقاربة ومصطفة تحيط بالمنزل، لمقاومة وتخفيف شدة الرياح وغزارة الأمطار الموسمية، وكذلك لتلطيف الجو أيام الحر. ونجد على سبيل المثال من هذا النوع بالقرية، منزل أولاد "مسعود" وأولاد "لزرقي" وأولاد "ميرك" وغيرها العديد من المنازل التي لها علاقة مباشرة مع الحقول والجبال، إن هذا الارتباط الوثيق بالأراضي المحاذية للجبال وطرق تملكها، جعلها تتدرج ضمن قانون الملكية المشاعية بين أفراد العائلة الواحدة الممتدة، وبالتالي قد ساهمت أسر قرية "زلبون" من خلال هذا العرف في عملية الإنتاج بشكل نظامي متعارف عليه في أوساطهم، كما هو الحال لدى أراضي عائلات أولاد "غلاي" وأولاد "السعدية" وعائلات أخرى حسب ما وضعه لنا أحد الإخباريين.

طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل فضاء المسكن التقليدي وخارجه:

لقد رأينا في الجزء السابق من هذا البحث أن المنزل في الوسط العمراني التقليدي، على ارتباط وثيق بالملكية الزراعية العائلية. إن طبيعة هذه العلاقة جعلت للمسكن وظائف تتماشى مع طبيعة الأسر التقليدية، فيقدر ما تتواجد أسر نووية بالعائلة بقدر ما توجد غرف تشكل الدار الكبيرة. وتؤدي تلك الغرف كما رأينا أدوار ووظائف لقضاء أوقات متعددة من الحياة الأسرية، وبعض المنازل مجهزة بمخازن للمواد الغذائية والتي تعرف عند سكان القرية بـ "التمورة" ويوجد هناك أيضا استطبيلات للدواب والمواشي. وكما لاحظنا ارتباط المسكن بجانبه البيئي، هناك أيضا ارتباط بالجانب الاقتصادي والاجتماعي للأسر، فقد جعلت المخيلة الاجتماعية لدى أهل القرية لفضاء المسكن التقليدي، علاقات خاصة بشبكة القرابة التي تستجيب لمعطياتها، فتصميمه بالشكل الذي

ذكرناه في عدة محطات من فصول هذا البحث النظري منه والتطبيقي، إنما صمم لحجب أنظار المارة الذين لا تربطهم علاقة قرابة بالعائلة، وجعل وسط الدار مجال لمبادلات وتجمع الأسر في ظل سيادة نظام أبوي، يكون فيه رب الأسرة هو من ينظم ويفرض قوانينه المستلهمة من روح الجماعة الاجتماعية التي كانت تسود بين أفراد القرية، وعلى هذا الأساس فإن المسكن كفضاء اجتماعي، يضم أفراد الأسرة الكبيرة في نظام تراتبي حسب النوع والجنس ويقومون بأدوار محددة تستجيب لبنية العائلة التقليدية، وعلاقات مباشرة أفقياً وفق الشكل الهندسي والتنظيم الذي يتميز به المسكن، وقد عبر المبحوثين من كبار السن عن هذه الوضعية عند ذكرهم لنا طريقة توزيعهم داخل المسكن، وطريقة تناولهم للطعام وكذلك عن علاقتهم مع بعضهم البعض، ونذكر من بين تلك التصريحات ما يلي:

المبحث رقم (1) إخوتي المتزوجون كان لهم غرف خاصة مع أبنائهم بينما كنا نحن الذكور "العزاب" في غرفة خاصة وللإناث غرف لوحدهم وللجد غرفة خاصة به وهي مكان التجمع في الشتاء أما الصيف فنجتمع في وسط الدار وفي وقت النوم كل يذهب لمكانه

المبحث رقم (2) وقت الأكل نجتمع في المطبخ، الرجال وحدهم، والنساء وأولادهم الصغار مع بعض لوحدهم، فالمطبخ هنا مشترك بين الأسر "كوزينة وحدة" بحسب تعبيرهم، ويكون أغلب أوقات الاجتماع مساءً لانشغال الرجال في أعمالهم الزراعية، والبالغين من الذكور في الرعي أما المنزل فهو مكان المرأة التي تقضي فيه أغلب فترات حياتها

وعن سؤالنا حول علاقة النساء فيما بعضهن يجيب أحد المبحوثين: "كانوا الرجال شحال عرايسات ومكانش المشاكل".

إن هذا الوجه الذي ظهر به المسكن التقليدي بالقرية من الداخل، هو الذي يمتد إلى خارجه في علاقاته بالقرية ويتفاعل بتواصله مع الفضاء العام. وبحكم القرب المكاني فالملاحظ أن علاقات

الجيرة هي العلاقات الأولى التي توحى بامتداد مختلف النشاطات المنزلية التي تنشأ شبكة ثانية ذات أهمية من العلاقات ضمن الامتداد الأفقي للعائلة، فعادة ما نجد بجانب المنزل "قران" مصنوع من الطين يتم طهي "الكسرة" أو عنصر ماء "عين" وهما مكان تجمع لأفراد الحي وخاصة النساء منهم، ويمتد هذا الفضاء إلى غاية جوانب المجاري المائية وبعض الأودية لغرض غسيل الألبسة والأفرشة إضافة إلى الصوف الذي يعد من المواد المرتبطة بالجوانب الاقتصادية التي تترجم في أعمال منزلية خاصة بالنساء، أين تلعب "التوزيع" دورا مهما بين أفراد الجيرة في مختلف الأحياء. وقد نشأت من خلال تلك المظاهر العديد من علاقات الزواج من خلال تلك التفاعلات، ونجد في هذا الصدد مقولات على لسان بعض المبحوثين تبين طرق الزواج عند الحديث عن ذكريات زواجهم، ودور الأم (العجوزة) في تمتين تلك العلاقات من خلال شغلها في الفضاء السكني والاجتماعي الذي تتحرك فيه.

يقول أحدهم: لم أكن أعلم ولا حتى أفكر في الزواج، فقد تمت صفقة الزواج بين أمي وأم الزوجة التي طالما لعبت معها في صغري.

ويقول آخر: خرجت للرعي وعندما عدت في المساء قالت لي أمي زوجناك بنت عمك وضيف الحمد لله جينا الأولاد وكبرناهم

وقد لاحظنا أثر الزواج بين أفراد العمومة خاصة في حي "الزاوية" أين يحمل أغلب العائلات لقب واحد بين الزوج والزوجة، والأبناء، لدرجة أنه لا يمكن للغريب عن المنطقة أن يميز بين الإخوة وأفراد العمومة بل وحتى علاقات المصاهرة. إن هذا الجانب يكشف لنا درجة ارتباط العائلات مع بعضها، والعلاقات الحميمة والتضامنية التي كانت تجمع بينها، فحتى الزواج الذي يعتبر أمر مصيري في حياة الفرد في الوقت الحالي، كان يتم في شكل تبادل للزيجات بين أفراد العائلة التقليدية ب "زليون". وبرأينا أن هذا الاختيار بقدر ما كان اختيار في نوعية أفرادها بقدر ما كان

اختيار نوع الجيرة والعلاقات القرابية التي رسمت على إثرها شكل ومورفولوجية المسكن التقليدي، وحددت أيضا مختلف العلاقات بين الداخل والخارج، والأدوار الاجتماعية المنوطة لكل فرد من أفرادها. وقد شكل هذا الوضع مرجعية متعارف عليها في طريقة البناء من حيث الامتداد الأفقي، ومستوى تهيئته الذي جاء انعكاس لطبيعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية المشتركة، فالعديد من الأسر كما ذكره لنا بعض المخبرين، كانت تشترك في منزل واحد لدرجة أن بعضها كان يضم من 15 إلى 20 فردا، وهو ما يفسر مدى تماسك العلاقات الاجتماعية المرتبطة أساسا بالأرض، لذا فغالبا ما نجد أن المسكن التقليدي بالقرية يتميز بالنمطية من حيث التصميم ووحدة الشكل، فالمنزل تتحدد مساحته بالدرجة الأولى من حجم العائلة إن كانت تحتوي على أسر مركبة تشترك بالمنزل أو تكون ممتدة، أما طرق ومواد البناء المستخدمة، وتقسيم الفضاءات الداخلية فهي معروفة لدى البنائين من أهل المنطقة.

-القيم الدينية والرمزية المرتبطة بمورفولوجية المسكن التقليدي بقرية زلبون:

عبر المسكن من خلال مورفولوجيته وامتداته المجالية، عن بعض المعتقدات الدينية والطقوسية الخاصة التي يحملها سكان القرية ويمارسونها في ثقافتهم حوله، فمن حيث مواقعها داخل القرية، تعبر المنازل التقليدية عن تدرجها مجاليا من الخاص إلى العام، متخذة الشكل الحلزوني للمظهر العام لمورفولوجية البيئة العمرانية التقليدية للقرية، حيث يظهر ارتباط المنزل بالمسجد الذي يعلو الكتلة العمرانية من الناحية الجنوبية، ويحدد مركز توزيع السكنات، وهنا يبرز البعد الديني في تشكيلها المبني ثقافيا ورمزيا على أسس التوحيد، ومجسدا بذلك الآية القرآنية في قوله سبحانه

وتعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾¹

¹ سورة النور، الآية 36

كما تجسد البعد الديني في شكل وتهيئة المنزل من خلال انفتاحه للداخل وانغلاقه على الخارج حفاظا على خصوصية الأسر، فمن خلال نمط البناء كما رأينا في وصفنا للمجال التقليدي، لاحظنا انعدام العلو في البناء من جهة، وعدم تقابل مداخل السكنات المتقاربة من جهة أخرى للحفاظ على علاقات حسن الجوار ومبدأ الاحترام بين أبناء الحي الواحد، فحتى المساكن الواقعة من جهة الطريق العام من خلال منظومتها المجالية، نجد أن مدخلها الرئيسي لا يقع من تلك الجهة، بل من الجهة التي تكون أقل حركة حفاظا على حرمة المنزل، كما هو الحال لمنازل الحي القديم "المحمى" أين تمت المساكن بظهورها من جهة السوق، ما عدا فتح بعض الدكاكين اتجاهه وهو ما يدل على الحرص عن حجب الأنظار وحماية أكبر لمبدأ الخصوصية . فحتى من خلال تصور المبحوثين لمسكنهم نجد أنهم يحملون نوعا من القدسية اتجاهه، فقد شبه أحد المبحوثين لنا المسكن بالمسجد، حيث وجب حسب نظره الالتزام ببعض التصرفات بداخله، كتفديس غرفة الأب، وحجب بيوت الخلاء عن الأنظار في مرحلة تصميم المنزل، وكذا نزع الحذاء عند دخول بعض من أجزائه كبيت الضياف. والحرص على ذكر الله عند الدخول والخروج.

وما يلاحظ أيضا على استحضار البعد الديني في المنازل هو طرق تهيئته من خلال وضع بعض الآيات القرآنية وتعليقها في الجدران، أو صور لمكة المكرمة ووضع المصاحف في جهة معينة، وكذلك سجادة للصلاة والمسابيح. كدلالة على أولوية الممارسة الدينية واستمرارها داخل المنزل، وتأدية الصلوات الخمس والحرص عليها، خاصة بالنسبة للنساء إذ يتعذر عنهن الذهاب للمسجد، وعادة ما تكون تلك التجهيزات المنزلية المرتبطة بالثقافة الدينية، كهدايا وذكرى متبادلة لأقارب ممن أدوا مناسك العمرة أو الحج، وقد أكد لنا ذلك بعض المبحوثات التي تمت مقابلتهم عن تلك التجهيزات الخاصة بالرموز الدينية حيث صرحت لنا إحداهن: "كل حاجة مين جبته، عندما ذهبت لأبأرك لبعض الأقارب عندما رجعوا من أداء مناسك العمرة أو الحج ويقاؤ ذكرى خصصنا لهم

مكانا في الصالون من أجل التزيين"، ونجدها أيضا حتى في بعض الأواني النحاسية أو الساعات المعلقة التي تحمل آيات أو أحاديث شريفة، أو بعض الأدعية، وذكرت لنا مبحوثة أخرى "أن تلك التجهيزات تدخل البركة للمنزل وتطرد الشياطين"، مما يجعل وجودها ضروري في نظرهم. كما نجد بعض المنازل تعتمد أشكال هندسية خاصة بالمسجد كنظام القوس لبعض مداخل الغرف، أو النوافذ المطلة على وسط الدار، التي تتخذ الشكل النصف دائري من الجهة العلوية حيث تجسد الرمزية الدينية التي تشير إلى وحدة الكون في النظام الهندسي الإسلامي.

ولا تقتصر المعتقدات الخاصة بالمنزل بالجانب الديني فقط، بل تزاحمه معتقدات خرافية أخرى تتجلى من خلال بعض الممارسات والألفاظ المعبرة التي تدل على تداخل أنماط التفكير بين الديني والخرافي. وتستمد مصادرها بالخصوص من بركة أولياء القرية باعتبارها امتداد مجالي تقليدي، يتردد عليها العنصر النسوي على وجه الخصوص، للزيارة وطلب العون في قضاء الحاجات الروحية منها، فمن خلال المقابلات التي أجريناها مع المبحوثين بهذا الخصوص فقد رأينا أن معظمها ترسخ في أذهانهم عبر التنشئة الاجتماعية لذا نرى أن تلك المعتقدات تستحضر وتمارس حتى داخل المسكن العصري، وقد ظهر لنا ذلك ما ذكره لنا أحد المبحوثين حيث يقول بسخرية تخبأ وراءها نوع الحنين والحميمية، أن جدته كانت تحذر الأطفال لكي يناموا مبكرا، بقولها " أرقد ذوك تخرجلك مولات الدار" وكأن المنزل له كائنات غير مرئية تتقاسم معهم مجال سكنهم خاصة في الليل إذ يجب احترامها لكي لا تؤذيهم، وهناك أيضا طقوس وممارسات معروفة ومنتشرة بين سكان القرية خاصة تلك المتعلقة في الشروع ببناء المنزل، من بينها ذبح ديك أسود أو أحمر على الأرض المقام عليه البناء أو خلال المراحل المختلفة من تلك العملية حيث يتم طلي بعض من جوانب الجدران بالدم، لإرضاء وتجنب شر الأرواح المتواجدة بالمكان حسب معتقداتهم ويختصر معظم أهل القرية تلك الظواهر في سياق الألفاظ المتداولة بينهم، بكلمة دالة تخفي وراءها

عنصر النصيحة ولو أنها تأتي على شكل مزاح في مجرى الحديث، وهي " نسيل الدم" تبقى الممارسات المرتبطة بها مألوفة لديهم ويأخذونها على محمل الجد.

وتأخذ عتبة المنزل أيضا مكانة هامة في نظرهم وتصوراتهم، فعند البناء أو تغيير مدخل المسكن، يتم دفن بعض الأشياء في عتبه، التي تدل في اعتقادهم على التفاؤل والنماء، وجلب الرزق للأفراد الساكنين بالمنزل، وقد ذكر لنا أحد المبحوثين أمثلة عنها كدفن مفتاح، أو قليل من العجين، أو الخيط والإبرة وغيرها، كما يتم غالبا وضع "صفيحة" فرس لدرأ العين، ولا تزال بعض من تلك المظاهر مستمرة لحد الآن كوضع إطار عجلة فوق السطوح.

ثانيا: جدلية العلاقة بين العوامل السوسيوثقافية وتحول مورفولوجية المسكن:

-الحركية الاجتماعية وتحول شكل المسكن:

تحدثنا في الفصل السابق حول تطور العمران ب" زليون " وعن دور الجوانب التنموية وتأثيرها في تنشيط الحركة العمرانية وتشجيع الاستقرار بالمنطقة. والتنمية برأينا مجموع من الأفكار والاستراتيجيات المعمول بها لتلبية مختلف الحاجات الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، تماشيا مع متطلبات فترة زمنية معينة. وكما أشرنا في الجانب النظري من هذا البحث حول إجماع الدراسات السوسولوجية والانثروبولوجية للمجتمع الجزائري أن المجتمعات الريفية قد شهدت منذ بداية الاستقلال تغير على مستوى بنيتها الاجتماعية والمجالية، وكان الديوان الوطني للإحصاء، قد دل على هذا التحول من خلال الإحصائيات التي نشرها سنة 2007 حين أشار إلى أن مجموع السكان المشتغلين في الريف الجزائري بلغ 3 ملايين وثلاثمائة بالتقريب منهم 4.27% يعملون في الزراعة و42% في التجارة والخدمات و9.2% في الصناعة و21.4% في قطاع البناء والأشغال العمومية¹. الأمر الذي يؤشر على تراجع الاشتغال في الأعمال الفلاحية والرعية، ولعل

¹ www.Ons.Dz.Statistiques Sociale/Emploi Et Chômage (Au Quatrième 2007)P.02-1

المشهد الأبرز الذي يمكن ملاحظته في هذا التحول هو الجانب العمراني والسكني، إذ يمثل المسكن أحد أهم الوحدات العمرانية التي تتميز بها المجتمعات الريفية، حيث شهد تطورات على مستوى مورفولوجيته التي أضحت شبيهة بتلك الموجودة في المدينة. ولم تكن "قرية زلبون" بمعزل عن تلك المجتمعات، فالانتقال من مستوى معيشي لآخر حسب استطلاعنا الميداني قد عبر عنه تطور المسكن في شكله، وتهيئته الداخلية، الأمر الذي ساهم في تحول نمط التساكن وتغير مورفولوجية القرية بشكل عام، بفعل الحركية الاجتماعية التي انتقل بموجبها الأفراد وعبر فترات زمنية متباعدة. إذ تعتبر الحركية الاجتماعية حسب تعبير عياد أبلال أنها عامل مركزي للتغيرات الأسرية وعامل مساعد أو تابع من عوامل التغير الاجتماعي، خاصة القيمي-ثقافي. كما أن الحركية الاجتماعية بمختلف أشكالها تتعالق مع التحولات التي قد يشهدها المجال¹. من هنا يمكن النظر إلى تأثير حركية الأفراد الاجتماعية على مورفولوجية المسكن بقرية زلبون من منظورين أساسيين ذات أهمية الأول موضوع حركة الهجرة إلى أوربا، والثاني تطور علاقة القرية بالمدينة.

-انعكاسات الهجرة إلى أوربا على شكل المسكن:

مما لا يدعوا مجالا للشك أن تغير نمط السكن التقليدي إلى السكن في منازل حديثة شكل تحولات عميقة في منظومة الحياة والمجال القروي، أين ارتبط شكل المسكن التقليدي بالإقصاء والتهميش في ذهنية الشباب الصاعد، أما الانتقال إلى مسكن ذو مواصفات حديثة فهو رمز للتمدن والتحضر الذي أصبح يشكل حلم لهم، فمثلا عبارة "ساكن على الخشبة" السائدة عند أهل القرية أصبحت تشير إلى أدنى درجات الفقر الذي يعيشه صاحب المنزل، ولم تكن في رأينا تلك التحولات سهلة المنال، فالانتقال في البداية ارتبط بحركية اجتماعية تضمن لهم وضعية أفضل من سابقتها التي

¹ عياد أبلال، الحركية الاجتماعية والتحويلات السوسيوإقليمية الشباب، الأسرة والوعي بالتغيير، روافد للنشر

كانت تقتصر على الفلاحة والرعي في ظل نظام الملكية الجماعية السائد. وتعد مسألة الهجرة من بين المسالك الأولى والمساهمة في تحول تلك الوضعية والتي انعكست بدورها على الجانب العمراني والسكني بـ "زليون". وبالرغم من أنه لا توجد إحصائيات تسهم في إثراء هذه الدراسة حول موضوع الهجرة بالمنطقة، إلا أن معرفتنا بمجتمع البحث، بحكم كوننا من سكان المنطقة، وكذا مساعدة الإخباريين وإجراءنا العديد من المقابلات كشفت لنا العديد من التصورات التي كانت سائدة تلك الفترة، فبعد الاستقلال مباشرة أي سنوات الستينات حسب ما شرحه لنا (ميلود زواي، 82 سنة) عن طريقة الهجرة إلى أوربا، أنه كان هناك مركز لاستقطاب الشباب الذين يريدون العمل بفرنسا (بيرو ماناداف) حسب تعبيره، حيث يذهب الشباب أولاً لإجراء الفحوصات الطبية بمدينة وهران ومن ثم يتم اقتناؤهم للذهاب خارج الوطن، وتوالت الهجرة للعمل طيلة السنوات اللاحقة، فهناك العديد من العائلات ممن هاجر معظم أفرادها من الشباب. وقد كانوا يترددون إلى القرية في فترة الإجازات التي تمنح لهم في أماكن عملهم بالمهجر وغالبا ما تكون مرة أو مرتين في السنة. هذا الغياب والرجوع أكسب هؤلاء الشباب مكانة خاصة لدى أسرهم ولدى مجتمع القرية، إذ أن تحسن وضعيتهم المادية سمحت للبعض منهم بالزواج والتفكير في بناء مسكن خاص لعائلته الجديدة وهو ما عد تعبير عن نجاح مشروعهم الهجروي، وبقدر ما أتاح هذا المشروع لأصحابه فرصة بناء منزل، بقدر ما تتطلب الحاجة إلى يد عاملة تلبي هذه الحاجة، وقد أدى هذا الطلب إلى تحول العديد من شباب القرية من العمل الفلاحي والرعوي إلى العمل المأجور في ميدان البناء والحرف الأخرى المرتبطة به كالنجارة، والحدادة، والكهرباء وغيرها، ومن هنا بدأت تظهر مصطلحات جديدة خاصة بالمسكن سواء من ناحية مواد البناء (الاسمنت، الآجر، الحديد)، وهي مواد أصبحت ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها، أو من الناحية التخطيطية للمنزل مثل (البالكو، الكولوار، الهول، النوافذ الكاراج، شكل المطبخ، عدد الطوابق) وهي أجزاء مهمة وجب وضعها

بعين الاعتبار في بداية البناء. ولم تقتصر المواد وطرق التخطيط على المسكن الجديد بل حتى المسكن التقليدي أدخلت عليه تعديلات مست العديد من أجزاءه، فقد تم استبدال السقف الخشبي، ووضع الأعمدة الإسمنتية بداخل الجدران التقليدية لإمكانية الارتفاع، وفتح نوافذ من بعض غرفه نحو الخارج، كما مست التغييرات أبواب الغرف والبواب الرئيسي للمسكن فلم تعد هذه الأخيرة من الخشب فقد استبدلت موادها من الحديد مع المحافظة على أبواب الغرف والنوافذ بمادة الخشب ووضع سياجات حديدية للنوافذ من الخارج.

يمكن القول أن فئة المهاجرين قد ساهمت في تنشيط الحركية المجالية من خلال بناء المسكن وتطوره هندسيا ومورفولوجيا، إضافة إلى التصورات الجديدة التي حملوها في مهجرهم حول طرق البناء، فأغلبهم كان يساهم في وضع الخطط والمشاركة في البناء عندما يكون في إجازة التي كانت تدوم غاية ثلاث أشهر، وهي فترة تسمح له تجسيد تصوره لشكل مسكنه. ومن جهة أخرى التأثير على طبيعة النشاط الاقتصادي للسكان والانتقال إلى نمط آخر أصبح يمارسه أغلبهم مع مرور الوقت، فالعديد من شباب القرية البطال آنذاك اكتسب مهنة جديدة أثناء عملهم عند هذه الفئة، فحسب تصريح بعض المبحوثين عن بداية انخراطهم في الحياة المهنية تبين لنا أن معظمهم مارس الرعي أو الفلاحة في كنف عائلته قبل أن ينتقل إلى تعلم مهنة أخرى سعيا في استقلالية من الناحية المادية. يقول (المنور، 62 سنة) الذي يشتغل بناء " تعلمنا هذ الحرفة في صغرنا مع الماصويات (البنائين) هذاك واش كان كاين، خير من السريحة (الرعي) واستفاديت منها، وحتى أنا بنيت داري وحدي من هذ الحرفة والحمد لله" ويضيف في وصفه لحالة الشباب مثله، " كل واحد واش تعلم كاين لتعلم الضو (كهربائي) أو الكارلاج (التزليج) سودور (الحدادة) النجارة، وهناك من مارس التجارة"، من هنا فقد أظهرت لنا أقوال المبحوثين في مجملها، الطريقة التي بدأ من خلالها المجتمع يسير من نمط اقتصادي لآخر الذي دل عليه بداية تحول نمط عمران القرية .

-علاقة القرية بالمدينة وانعكاساتها على المسكن:

أصبحت حركة الأفراد بالقرية بعد الاستقلال، أكثر ارتباطا بمدينة تلمسان كما ذكرنا سابقا، ويأتي ذلك نتيجة تفاعل عوامل عديدة تدخل في إطار مشاريع تنمية مست مختلف أنشطة الحياة الاجتماعية فعلى سبيل المثال، قد أتاحت للعديد من الشباب فرص إكمال الدراسة خارج القرية، من خلال توجيههم إلى مختلف الثانويات ومن ثم إلى الجامعات أو مراكز التكوين المهني التي تتواجد في المدينة بعد إكمال الدراسة بمؤسسة التعليم الأساسي، تزامنا مع ازدياد وتطوير وسائل النقل، وتنظيم أوقات الانطلاق والوصول خاصة حركة الحافلات والقطار، وكذلك زيادة سيارات الأجرة، من جهة أخرى لعب المجال الحضري استقطاب هام للشباب البطال نهاية السبعينيات و بداية الثمانيات، فقد فتحت العديد من المؤسسات الصناعية المختلفة بالمدينة، أدى إلى انخراط العديد من الشباب الريفي في ميدان العمل المأجور، ويجمع المبحوثين مما تم استجوابهم عن تلك المرحلة على أن ميدان الشغل أثناء تلك الفترة كان متوفرا يقول (فتحي خواني) 62 سنة "أنه من كثرة فرص العمل المتاحة آنذاك كان بالإمكان الاختيار بسهولة أي شركة يمكن الانضمام إليها". ويعبر مبحوث آخر في هذا السياق " غيل لي ما حبش يخدم كان الخير كاي". وفي خضم هذه الأوضاع فقد أصبح معظم شباب القرية سواء الذكور أو الإناث يقضي معظم أوقاته خارج القرية إما للعمل أو الدراسة، وقد سمح لهم هذا الوضع الجديد بتوسيع شبكات مختلفة من العلاقات الاجتماعية خارج نطاق العلاقات داخل القرية والعائلة، وأكثر اندماجا في الحياة الحضرية في المدينة، وقد تزامن هذا الوضع مع ذكرناه في الجدول رقم (3) في الفصل السابق الذي يبين مشروع التنمية العمرانية، من خلال توزيع أرضي للبناء الواقعة في أطراف القرية القديمة، وأيضا مع حركة الهجرة التي تم الإشارة إليها، حيث انعكست تلك التصورات الجديدة التي أصبح يحملها الشباب على واقعهم السكني وطرق تساكنتهم، فقد سرع هذا الوضع من بداية الانفصال عن العمل الجماعي

الدائم الذي كان يميز سكان القرية، وأصبحت مظاهر التضامن بين الأفراد حسب ما صرح به أحد المبحوثين تتجلى فقط في أيام العطل، مما يوحي أن الأعمال التي كانت تتطلب تجمع دائم للأفراد في القرية أصبحت ممارسات ثانوية، وهناك عدة أمثلة من هذا النوع التي عبر لنا عنها بعض المبحوثين في وصفهم لمظاهر هذا التجمع وطبيعته

يقول أحدهم: عندما يقوم شخص بتسقيف مسكنه أو ما يعرف ب(الدالة) بين أفراد المجتمع، يقوم بتحديد اليوم الذي يكون يوم عطلة حتى تسنى لأصدقائه وأفراد عائلته مساعدته ويكون هذا العمل دون مقابل.

ويقول آخر: بعدما كان لنا وجود دائم في حقولنا أصبحنا نلتقي فقط في بعض المواسم كجني الزيتون، أو موسم الحصاد ويكون ذلك في أيام العطل ويحصل كل واحد في الأخير على نصيبه من مختلف المحاصيل التي يتم جنيها، أما الآن فحتى تلك المظاهر اختفت فكل واحد أصبح إما يعمل بنفسه أو يستأجر عمال متخصصين في مختلف الأشغال التي يريد أن ينجزها.

إن هذه الوضعية التي مست مجتمع القرية في جوانبه السوسيوإقتصادية، ساهمت بشكل واضح في دفع الكثيرين من سكان القرية إلى إعادة تهيئة وهيكله الفضاء السكني تماشياً مع كل مرحلة انتقل الأفراد من وضع مهني لآخر، حيث تحول الوضع من حركية اجتماعية إلى حركية مجالية مست الجوانب العمرانية السكنية للقرية، فلم يعد المساكن القروي بقرية زليون يحتفظ بالدور الفلاحي التقليدي، خاصة تلك المساكن الواقعة على طول الشارع الرئيسي 5 جويلية، ولم تعد أيضاً تشكل مركز حياة، وإنما أقبلت بوجهها على أنشطة غير فلاحية بتشديد بنايات تجارية معزولة مجالياً عن المسكن لتقترب من الطرق العامة.

ثالثاً: جدلية الأسرة والمسكن وبداية التمايز الاجتماعي والمجالي:

- من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية:

ارتبط شكل المسكن وتهيئته بقرية "زلبون" ارتباط وثيق بطبيعة الأسر، فقد تبين لنا من أقوال المبحوثين والباحثين في وصفهم للنظام الاجتماعي التقليدي، كيف أن الأسرة الموسعة يمكن اعتبارها مركز تحديد مختلف الأنشطة السوسيوإقتصادية والثقافية، التي أملت عليها الظروف البيئية والتاريخية بالمنطقة، التي جعلت طرق تساكُن معظم عائلات القرية داخل المنزل، تضم الأبناء المتزوجين وأبنائهم، وغير المتزوجين كل تحت سقف واحد. ومن خلال ما ذكرناه أيضاً حول حركية الأفراد الاجتماعية والمتزايدة بعد الاستقلال، فإن ذلك انعكس بالدرجة الأولى على بنية الأسر من خلال بداية استقلالية أفرادها شيئاً فشيئاً، نحو حياة بعيدة نوعاً ما عن طبيعة الأسر التقليدية، والمسكن كإطار مادي ظهر جلياً كتعبير عن هذا الانفصال من خلال تطوره ليتخذ أشكالاً ومظاهر هندسية مختلفة، وهو ما دل بشكل عام على انتقال الأسر الممتدة إلى أسر نووية. وقد جاء هذا حسب ما قمنا به من مقابلات من تغير في العلاقات الاجتماعية داخل النسق الأسري حيث بدأت تتضح سنوات السبعينات والثمانينات، بداية تشكل لهوة بين جيل الآباء المتمسكين بالأعراف التقليدية، وجيل الأبناء المنخرط في الحياة العصرية، وما تميزت به من نزوع نحو الفردانية. وهذا الاختلاف حسب تفسير ابن خلدون "هو باختلاف نحلته في المعاش فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجي والكمالي"¹، إن الفوارق السوسيوإقتصادية بين أفراد الأسرة الواحدة، يمكن ملاحظتها من خلال المعطى الدلالي للمسكن المنتج نحو التحديث، والذي يفسر أنثروبولوجياً بأنه إعادة ترتيب لمكانتهم

¹ عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان

الاجتماعية، إذ يمثل المسكن العالم الصغير الذي يحوي داخله كل التفاعلات الأسرية بكل أنواعها، فهو ضرورة حتمية يسعى ساكنته إلى تحسينه وتعديله بشكل مستمر وفق ما يطرأ من تغير على نمط حياتهم. وفي هذا الصدد أظهرت لنا أقوال المبحوثين كيفية تغيير نمط سكنهم، التي جاءت معظمها تعبر إما عن السعي لبناء مسكن جديد، أو القيام بإجراء تعديلات على المسكن التقليدي من خلال تغيير المدخل الرئيسي، ومواصلة البناء في السطح و إنشاء السلالم ليكون لهذا الطابق الجديد مدخل خاص نتيجة تغير وضعية الأفراد داخل الأسرة الواحدة، خاصة المادية منها. فانفصال لأي فرد مثلاً عن العائلة نتيجة زواج، أو تحسن في وضعه المادي سيؤدي إلى القيام بتعديل عن بعض أجزاء المسكن لاستغلاله من طرف الإخوة المتبقين في المنزل وسعيهم هم الآخرين لخلق مجال سكني خاص ولو في مسكن العائلة الموسعة، ريثما يتم الفصل في تملكه لاحقاً، وقد ركزنا في هذا الصدد على خمس حالات، أوضحوا لنا أهم المراحل والتعديلات التي أجروها على مسكنهم والأسباب التي دفعتهم لذلك.

المقابلة رقم 1: المهنة مغترب متقاعد يقول "عندما تزوجت كنت لا أزال أسكن في منزل أبي مع إختي المتزوجين منهم والعازبين أيضاً، وأثناء غيابي أصبحت تنشب نزاعات بين الزوجة وزوجات إختي، والتي كانت تنشب عادة حول أمور تسيير شغل المنزل، ففي البداية قمت بطلب من الأم بتخصيص جهة من البيت بنيت فيه مطبخ خاص ومرحاض، ثم بعد ذلك قمت بشراء قطعة أرض بجانب المنزل العائلي وأقمت عليها مسكني الخاص"، في البداية بنيت طابق أرضي ومع مرور الوقت أضفت طابقين بينما الطابق الأرضي فتحت فيه متجرين يعمل فيه أبنائي، واحد يسكن معي، والآخر يسكن في الطابق الأخير.

المقابلة رقم 2: تاجر 45 سنة " كان يشترك معنا في المسكن ثلاثة من أعمامي مع أبنائهم، بعد ذلك انتقل كل واحد إلى مسكنه، وقد أورث الجد هذا المسكن لأبي". ويضيف، المسكن كان تقليدي

بوسط القرية وذو طابق واحد، في الثمانينيات أجرينا تعديلات على مدخل المنزل، وقمنا بالتوسع نحو الخارج ب 6 أمتار، وأقمنا له سقفا، وغيرنا الباب الخشبية بأخرى من حديد، بينما بقيت وسط الدار على حالها وهذا القسم الموسع بني بالمواد الحديثة " وبعد أن تزوجت سمح لي أبي ببناء غرفتين ومطبخ وغرفة الضيافة، (الصالون) فوق السطح. في البداية كان لنا باب واحدة، وعندما تزوج أخي، أعطاه الأب الطابق الأرضي للسكن، وأنا قمت بفتح باب خاص، يفتح مباشرة على (الدرج) السلالم التي تؤدي إلى الطابق الأول، ليصح لكل منا مدخله ويأتي هذا الفصل في نظره، حتى إذا كانت هناك زيارات لأهل زوجته لا يزعج بقيت الساكنة في المنزل.

المقابلة رقم 3 : موظف متقاعد 75 سنة كنت أسكن مع العائلة، استقذت من قطعة أرض بحي "الوكدة"، وبنيت طابق واحد سنوات الثمانينات، ثم أضفت طابق آخر بداية الألفيات، لدي اثنين من الأبناء الذكور، الأول موظف تزوج وسكن وحده، أما الآخر مازال معي، ويعبر عن طريق التساكن الجديدة ب " كل واحد وكوزينته"، اليوم كل واحد يحب يسكن وحده

المقابلة رقم 4 : المهنة بناء 46 سنة متزوج ولديه ثلاث أبناء بعد أن تزوجت اشتريت قطعة أرض مساحتها حوالي 120م، وضعت ملفي على مستوى مصالح البلدية، واستقذت من إعانة مالية في إطار الدعم الريفي، التزمت بمراحل بمخطط البناء الذي وضعت له البلدية، في البداية سكنت في الطابق الأرضي لمدة سنتين، وبعدها أضفت طابق آخر وحولت الطابق الأرضي إلى محل قمت بكراءه، وكراج أضع فيه سيارتي.

المقابلة رقم 5 : اشتريت هذا المسكن من إخوتي الأربعة هناك من قام بالبناء لوحده وهناك من استفاد من الدعم، قمت بإجراء العديد من التعديلات عليه في البداية، بدأت بتسقيف وسط الدار وإضافة طابق واحد، وبعد أن تزوج ابني الأكبر أضفت طابق ثاني

تظهر المقابلات في مجملها عن العديد من العمليات الاجتماعية التي كانت توحى بتحول الأسرة من ممتدة إلى نووية، حيث أن تغيير شكل المسكن من طرف ساكنته، من الشكل الأفقي إلى الشكل العمودي الذي صرح به أغلب المبحوثين، إنما هو تعبير عن تغير شكل العلاقات الأسرية التي جاءت إثر بروز الفوارق المادية بينهم، حيث أصبح الزواج من أهم المراحل الذي تؤدي مع مرور الوقت إلى إجراء تعديلات جوهرية على طبيعة وشكل المسكن ليتناسب مع حجم الأسر المستقلة، والوظائف الجديدة التي تتماشى وفق متطلباتهم، لذا فإن الاختلافات الملاحظة في مورفولوجية مساكن القرية، أصبح في الوقت الحالي يدل وبشكل واضح عن تقلص حجم الأسرة وبداية لتمايز اجتماعي وثقافي، فلم يعد ذلك الشكل الموحد الذي كان يتميز به عمران المنطقة، بل أصبحت هناك أنماط متعددة غير تقليدية تدل عن تباين في المستوى المادي والثقافي للأسر النووية، تجسدت في أنماط سكنية جديدة، منتشرة خاصة في الأحياء الجديدة بعين الرمل، والوكدة والوطية.



الصور رقم: (24-25-26): تبين الصور وضع سلالم من خارج المسكن



الصور رقم (27): تبين الصورة التوجه الرأسي عملية في البناء

تحول دور المرأة وعلاقته بالمسكن:

فيما يخص موضوع تحول دور المرأة في المجتمع وانعكاسه على تحول السكن بشكل عام فإن هذا الدور رأينا بداية أن نحدده من خلال التمثيلات الاجتماعية لسكان القرية للوضعية التي يرونها مناسبة لدور المرأة في المجتمع، الذي يسمح لنا بضبط وتيرة التحولات الاجتماعية، باعتبار أن حركية المرأة داخل المجتمع التقليدي مقارنة بالرجل تبقى ضئيلة نظرا لهيمنة العادات والتقاليد. إن تعرضنا لطبيعة وبنية المجتمع التقليدي بالقرية، بين لنا أن دور المرأة بـ "زلبون" على غرار المجتمع الريفي الجزائري، انحصر في اهتمامها بشؤون المنزل وتربية الأطفال وإعداد الطعام وبعض الأعمال المرتبطة بالمحاصيل التي يتم تحويلها داخل المسكن، وتعكس تلك الأعمال الطابع التقليدي والمحافظة للمنطقة، الذي جعل للمرأة مساحة أكثر ضيقا تتحرك فيها، فمن خلال محاورتنا للمبحوثين في هذا الموضوع، اتضح لنا الطوق المفروض اجتماعيا الذي كان يمثل نوعا من

الهيمنة الذكورية على المرأة في المجتمع، وقد عبر عنه أحد المبحوثين بمقولة "أن المرأة لها ثلاث خرجات في حياتها الأولى من بطن أمها والثانية إلى دار زوجها والثالثة إلى قبرها" ما يعني أن المسكن هو المكان الذي تقضي فيه المرأة معظم فترات حياتها حسب التصورات السائدة، ويبقى الزواج هو أهم مرحلة والمسلك الرئيسي لحركة النساء الاجتماعية داخل المجتمع التقليدي، لذا نجد أن حتى مرحلة الدراسة بالنسبة للفتاة الشابة، كانت لا تتجاوز في معظمها مرحلة التعليم الأساسي، وهو ما يعكس من الموضع الأنثروبثقافي أن المرأة مجرد كائن ينحصر وظيفته فقط في الخدمة، والمتعة، والرعاية في تصور أفراد المجتمع التقليدي.

لقد تغير دور المرأة في المجتمع بفعل العديد من العوامل الثقافية والاجتماعية، أشرنا لبعضها في سياق هذه الدراسة، وكان أولها، تحرر الأسر من سلطة العائلة التقليدية، وتحول هذه الأخيرة إلى عائلة استهلاكية، زيادة مع تراجع دور الأب وتنامي دور الأم، ومشاركتها في اتخاذ القرارات المتعلقة بمصير أبنائها خاصة الإناث منهم، في موضوع حرية اختيار شريك الزواج، أو مواصلة الدراسة، وكذلك الخروج للعمل الذي كان في وقت سابق ضرب من الخيال بالنسبة للفتاة، وقد التمسنا تحول هذا الوضع من خلال رأي أحد المبحوثين في موقفه من مستقبل الفتاة في الوقت الحالي يقول : "تتزوج ولا تحب تكمل قرابتها، الوقت تبدل ماشي كيما بكري وحتى المرأة ممكن تعاون راجلها ماديا في المستقبل"، وهو ما يدل على أن مساحة حركة المرأة أصبح أكثر حرية من السابق. وقد ساهم هذا الوضع الجديد في التأثير على الطابع المعماري للمسكن، فبالرغم من أن الأعمال المنزلية هي من مسؤولية المرأة سواء في الأسرة التقليدية أو الحديثة، إلا أن طبيعة نشاطها تغير بفعل العصرية والتطور التكنولوجي الذي يظهر من خلال استخدام الأجهزة الكهرومنزلية كآلة الغسيل، والتلفزيون وأدوات المطبخ والفرن وغيرها من الأدوات التي تستدعي تنظيم وتقسيم خاص لمختلف أجزاء المسكن، الأمر الذي يجعل منه فضاء وظيفي محدود

المساحة ومختلف تماما عن الفضاء التقليدي (الحمام، الغسيل، تحضير الطعام وغيرها). كما أن قضاء المرأة فترات خارج المسكن للتسوق أو الزيارة سمح لها الاطلاع على جديد ما توفره المحلات من أجهزة وتجهيزات أخرى واقتناص فرص اقتنائها في مواسم التخفيضات، فحسب ملاحظتنا واطلاعنا بالعادات والسلوكيات الاقتصادية لأهل القرية فإن حركة النساء للتسوق تزداد بقوة في موسم عاشوراء أو قبيل شهر رمضان لاقتناء ما يمكن لتجديد مختلف التجهيزات والأفرشة الخاصة بالمنزل. إن مراقبتنا لهذا السلوك الاقتصادي للمرأة المرتبط بتجهيز المسكن سمح لنا الوقوف على استراتيجيات الزواج المستقبلي في الوقت الحالي، من خلال اقتناء معظم التجهيزات المنزلية التي تخص الزوجة العروس من أجل حملها لمنزل الزوج، وهو ما يكشف عن التصور وفكرة الاستقلالية المسبقة عن العائلة الموسعة التي أصبحت تنطبع في ذهنهن. فتملك مختلف المقتنيات هو تصور لمطبخ خاص وفضاء مسكن خاص. وقد عبرت لنا إحدى المبحوثات عن استقلالية المرأة بسكن خاص بقولها " اليوم يا ولدي البنات راهم يحبوا يسكنوا وحدهم شحال من وحدة تقولك نسكن مع والديك ومن بعد تطلب دارها وحدها" وتقول أخرى " أصبحت العائلات تفضل الرجل لي عنده داره وحده باش ما يكونش المشاكل في الدار".

إن المرأة اليوم بـ " زليون" لم تعد تلك المرأة الريفية المعهودة سلفا، فقد أصبحت تحمل قيما عصرية جديدة مثلها مثل المرأة في المدينة أثرت بدورها في فضاء المسكن العصري جاعلة منه فضاء يلبي رغباتها وتطلعاتها فلم يعد دورها يقتصر على الشؤون الداخلية للمسكن بل أصبحت تشارك آراءها حتى في طريقة بنائه وتحديد المساحات التي تراها مناسبة.

خلاصة الفصل:

أوضحنا في ما سبق واقع المجال السكني التقليدي، والتمثلات المرتبطة به مع إبراز أهم التحولات والعوامل الاجتماعية والثقافية التي يمكن أن تتحكم في تطوره، والتي من بينها دعم الإسكان بمختلف الصيغ كما حددناه في عرضنا لمراحل تطور العمران بالمنطقة، على طول فترة اهتمام هذه الدراسة، وقد ساهمت كما ذكرنا في بروز أنماط سكنية، من فيلات وسكنات عصرية ذات أحجام مختلفة و مكونات وظيفية متعددة، هذه الأخيرة التي أصبحت تعكس رغبات الأسر بقرية زليون في تقليد السكن الحضري سواء من حيث المساحة المبنية، أو الشكل وهندسته، أو مواد البناء وتجهيزاته. وقد ازدادت حدة هذا الوضع حسب المعطيات الميدانية مع الألفية الجديدة، وتشكل هذه الرغبة أهم المتغيرات التي من خلالها يعبر الفاعلين عن تصوراتهم واستراتيجياتهم، حيث تجلت حسب المقابلات التي تم إجراؤها في انفرادهم لعملية تحديد مساحة المسكن، ومكوناته الوظيفية والفراغية المناسبة، وبالتالي فالمسكن يصبح مشروع ثقافي، يظهر في الطرق المتبعة في البناء و طبيعة المواد التي تحدد الشكل الخارجي للمسكن وكذا تقسيم الفضاء الداخلي.

النتائج والاستنتاجات العامة للدراسة

إن ما سلكته الدراسة بجانبها النظري والتطبيقي جاء كمحاولة لتعميق الفهم حول كيفية تأثير التحولات الاجتماعية الثقافية على مورفولوجية المسكن بقرية "زلبون"، باعتباره من أبرز الوحدات العمرانية الهامة التي تشكلها كمجتمع قروي بشكل عام له خصوصياته مثله كباقي المجتمعات الريفية، نتيجة لما يطرأ من تحول على بنيتها الاجتماعية والثقافية، حيث أفرزت عن واقع عمراني جديد ومختلف تماما عن الحياة الريفية التي كان يتميز بها. وبعد استعراض فصول الدراسة يمكننا الخروج بما يلي:

على المستوى النظري للدراسة:

إن موضوع المسكن كما بينته الدراسة، في فصولها النظرية فإنه يقبل العديد من التفسيرات نظرا لتداخله مع العديد من الحقول المعرفية في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية المهمة بمجال السكن والعمران وتظهر أهميته في أنه يكشف للدارس عن مجمل الحياة الاجتماعية سواء في الماضي أو الحاضر وبالتالي فالمسكن كظاهرة عمرانية لا يمكن فصله عن علاقته بالقيم الإنسانية والاجتماعية

إن التفسير الشامل والأبرز الذي تم استخلاصه من طرفنا في هذا الجانب، ووضعه في الحسبان للإجابة عن الفرضيات وفق المقاربات النظرية، التي طرحت مسبقا حول موضوع تحول شكل المسكن وأهم العوامل المؤثرة فيه، هو ذلك المتعلق بالتغير الثقافي، باعتبار أن المسكن ظاهرة إنسانية يخضع للشروط الثقافية التي بتغيرها يحصل تغيره، والذي يمكن أن يكون من خلال أحد السبل التالية :

- عندما تضاف عناصر جديدة أو تتحسن بعض العناصر القديمة عن طريق الاختراع .

- عند استعارة عناصر مجتمعات مجاورة .
- عندما تهجر بعض العناصر الثقافية غير الملائمة للبيئة أو تستبدل بعناصر أخرى أفضل منها.
- عندما تفقد بعض العناصر بسبب الإخفاق في نقلها من جيل إلى الجيل الثاني.

على المستوى الميداني للدراسة:

أظهرت الدراسة من خلال الوصف العام المجال العمراني والسكني بمنطقة "زلبون" ومراحل تطوره، وربطها بالبنية الاجتماعية، وجود انتقال للمجتمع من نمط اجتماعي يتميز بخصوصية ريفية ذات طبيعة تقليدية إلى نمط حديث شبيه لحد كبير بالحياة المدنية. وهو ما يعني التحول في نمط العيش بفعل الزحف الحضري، حيث أصبحت مظاهره تغطي على ذهنية سكان المنطقة، وهو انعكس وبشكل كبير على مورفولوجية المساكن بالقرية سواء أكانت بناؤها جديد أو تقليدي.

وإذا كان تحول بنية الأسرة بفعل حركية أفرادها بما في ذلك تحول دور المرأة ، أدت إلى تزايد الطلب على نموذج السكن الفردي الذي يؤدي حتما إلى تقلص مساحة المسكن، فإن هذا الأخير أصبح هو الآخر يشكل نوعا من الأثر الانعكاسي على مورفولوجيته، باعتبار أن المسكن لا يقتصر على إيواء الأسر ومساحة العيش، فهو أيضا مرتبط بعصرنة الحياة لطبيعتها العمرانية، التي جعلته يتميز بخصائص معمارية جديدة، ساهمت فيه دخول مواد وطرق جديدة، وهو ما يدل على امتزج بما هو فكري ومادي في شكل عناصر ثقافية وافدة فرضت وجودها كنموذج اقتصادي واستهلاكي جديد.

أظهرت الدراسة السياقات التي صاحبها أشكال معينة من المساكن، داخل القرية فقد تفاعلت التحولات الاجتماعية والثقافية بشكل جدلي لتؤثر على المجال العمراني والسكني، وذلك حسب كل فترة تاريخية مر بها المجتمع وما تحمله من خصوصيات

لقد أدى تطور المسكن إلى تدهور النسيج العمراني ويرجع ذلك حسب ما بينته الدراسة إلى أنه لم يحظى بمصاحبة تنظيمية للعمليات العمرانية من طرف السلطات الوصية مع الفاعلين، بالرغم من المجهودات المبذولة في هذا الشأن مما أدى إلى ظهور بعض المشاكل لعل أبرزها ما يلي:

- التوسع على حساب الأراضي الفلاحية وتحويلها إلى أراضي عقارية خاصة بالبناء
- التطور التدريجي للبناء لم يراعي متطلبات العصر، وطبيعة النمو الديموغرافي مما أدى إلى تكثف البنايات داخل القرية وضيق شوارعها
- فقدان المجتمع للخصائص الريفية المبني على الأسس القرابية، والتشعب بالقيم الحضرية، وتلاشي الحدود المجالية بين العام والخاص.

خاتمة

خاتمة عامة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة وصف المجال العمراني والسكني بمنطقة "زليون" ومراحل تطوره، إضافة إلى مظاهر التحول، التي تدل على وجود انتقال المنطقة من نمط اجتماعي يتميز بخصوصية ريفية، إلى نمط حداثي. ويرجع ذلك إلى حجم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي مر بها المجتمع. وقد كانت قراءتنا للمسكن وتحوله، بمثابة الموضوع الذي من خلاله يتم الكشف عن معطيات الحياة الاجتماعية وما تتعرض له من تحولات، كما يفسر لنا السياقات الاجتماعية التي صاحبها أشكال معينة من المساكن، فالمسكن التقليدي مثلاً إنما يدل على مجموعة من القيم الاجتماعية التي تميز المجتمعات التقليدية كالتضامن، والتعاون، وروح الجماعة. عكس المسكن الحديث الذي تميزه طبيعة الحياة المعاصرة. المتمثلة في قيم الفردانية والاستهلاك الاقتصادي.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

قائمة القواميس والمعاجم باللغة العربية

1. مصلح الصالح، الشامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي-عربي، دار عالم الكتب الرياض، ط1، سنة 1999.
2. إبراهيم أنس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية-مكتبة الشروق الدولية للنشر، مصر، 2004، ط 4 .
3. عبد العزيز سيد الأهل، قاموس القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة 3، 1980.
4. ر. بودون و ف. بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1.

قائمة المعاجم باللغات الأجنبية

1. alain rey, le robert dictionnaire d'aujourd'hui, france loisirs ,paris.

قائمة المراجع باللغة العربية

1. إبراهيم بن يوسف، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، منشورات ألفا، قصر المعارض، الصنوبر البحري، الجزائر، ط 2010، 1.
2. إحسان محمد الحسن، المدخل إلى علم الاجتماع، بيروت دار الطليعة للطباعة، 1975.
3. إس - إس - دوب، التغير الاجتماعي، ترجمة عبد الهادي الجوهري وآخرون، المكتب الجامعي الحديث الأزارطة، الإسكندرية، ط1، 1997.

4. أمينة علي كاظم، التغير الاجتماعي والثقافي في المجتمع القطري، هجر للطباعة والنشر، مصر، 1993.
5. أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 4.
6. بيار بونت، ميشال إيزار (تحت إشراف)، "معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا" ترجمة وإشراف مصباح عبد الصمد، المؤسسة الجامعية (مجد) بيروت، ط 2006، 1.
7. توفيق بوزناشة، دليل الجمهورية، ط 1 الجزء الثاني، سنة 2015.
8. جيلبير دوران، الأنثروبولوجيا: رموزها، أساطيرها، أنساقها، ت. مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 3، 2006 .
9. حسن فتحي، العمارة والبيئة، دار المعارف، القاهرة.
10. حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 1984.
11. حمد نجم الدين فليجة وآخرون، الجغرافية البشرية، جامعة بغداد، مطبعة الجامعة، ط 2، 1979.
12. دافيد لوبروتون، أنثروبولوجيا الجسد والحدائق، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1997.
13. دلال ملحس استيتية، التغير الاجتماعي والثقافي، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن الطبعة الأولى 2004.
14. رابع درواش، علم الاجتماع العائلة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011.

15. رجاء مكي طيارة، مقاربة نفس-اجتماعية للفضاء السكني، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1995.
16. رفعة الجادرجي، في سببية وجدلية العمارة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ط1، 2006.
17. سعاد على حسن شعبان، الأنثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 2003.
18. سليمان جميل، دراسات في علم النفس الاجتماعي الفضائي الآليات النفسية الاجتماعية للمسكن، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع -الجزائر، 2011.
19. سورة الكهف، الآية 16
20. عاطف وصفي، الانثروبولوجيا الثقافية، مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديريون الأمريكية، دار النهضة العربية، بيروت.
21. عالية حلمي عبد العزيز حبيب، رؤية أنثروبولوجية بعد الحادثة، لقضايا التغير الاجتماعي، كلية البنات
22. عبد الحميد بن اشنهو، الهجرة الريفية في الجزائر، ترجمة عبد الحميد أناسي، المؤسسة الوطنية، الجزائر بدون سنة.
23. عبد الحميد ديلمي، دراسة في العمران السكني ، والإسكان، مخبر الإنسان والمدينة، ط1، 2007.
24. عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت.

25. عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ج (6) منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، 1971 .
26. عبد الغني عما د، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات ... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006.
27. عبد الفتاح محمد وهيب، في جغرافية العمران، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1980.
28. عبد الله بن معمر، الثقافة ونظرياتها، دار كنوز للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.
29. عبد الله عدوى، الجغرافيا البشرية صراع الإنسان مع البيئة من الإنسان إلى الفرد إلى الإنسان العاقل، بدون دار نشر، بدون بلد، ط1.
30. عرفان سامي، نظرية الوظيفية في العمارة، دار المعارف المصرية، 1966.
31. علي فؤاد أحمد، علم الاجتماع الريفي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1981.
32. عمار يزلي، القبيلة، الفضاء والمعتقد، بحث في تشكيل عناصر بنية الهوية المغاربية، دار لالة صافية للنشر والتوزيع، ط1، 2016.
33. عمر محمد علي محمد، جغرافية العمران الريفي أسس وتطبيقات، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصرن ط1، 2015.
34. عياد أبلال، الحركية الاجتماعية والتحولات السوسيو مجالية الشباب، الأسرة والوعي بالتغيير، روافد للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، سنة 2012.

35. فليب لاهورت وآخرون، ترجمة مصباح الصمد، انثولوجيا انثروبولوجيا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، سنة 2004.
36. فيليب جونز، النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية، ترجمة محمد ياسر الخوجة، مصر العربية للنشر والتوزيع، 2010.
37. قبيلة فارس المالكي، تاريخ العمارة عبر العصور، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، 2011.
38. كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2009.
39. لوك بنوا، إشارات، رموز و أساطير، عويدات للنشر والطباعة، بيروت-لبنان، ط1، 2001.
40. محمد الجوهري و علياء شكري ، مقدمة في دراسة الانثولوجيا .
41. محمد الجوهري، المدخل إلى علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2007.
42. محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.
43. محمد العليوات، القيم والأعراف -قراءة في التحولات الاجتماعية- دار الواحة، الطبعة الاولى، 2003 بيروت لبنان.
44. محمد رياض، دراسة في النوع والحضارة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1.
45. محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، الطبيعة و الثقافة، توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ط1، سنة 1999 .
46. محمد سعيد فرح، ما علم الاجتماع، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987.

47. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط6، 1994 .
48. محمد عاطف غيث ، دراسات في عم الإجتماع القروي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، 1967.
49. محمد عاطف غيث، التغير الاجتماعي والتخطيط، دار المعارف، القاهرة، 1966.
50. محمد عباس ابراهيم، التحديث والتغير في المجتمع القروي، دارالمعرفة الجامعية جامعة الاسكندرية، مصر، 2015.
51. محمد عباس ابراهيم، الريف الجديد وأنثروبولوجيا المجتمعات القروية، دار المعرفة الجامعية، جامعة الاسكندرية ،مصر، 2018.
52. محمد عبده محجوب، الاتجاه السوسيوانثروبولوجي في دراسة المجتمع، وكالة المطبوعات، الكويت.
53. محمد عبيدات و اخرون، منهجية البحث العلمي القواعد و المراحل و التطبيقات، كلية الاقتصاد و العلوم الإدارية، الجامعة الأردنية ، ط1 سنة 1999.
54. محمد عودة، دراسات في علم الاجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية ، كلية الآداب جامعة عين شمس، مصر، 1998.
55. محمد نجيب بوطالب، علم الاجتماع الريفي القرى والأرياف العربية، دارجامعة سعود للنشر، المملكة العربية السعودية ، 2014.
56. محمود الكردي وآخرون، تأثير أنماط العمران على تشكيل بعض عناصر الثقافة الشعبية، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، ط1، 2002 .

57. مرسيا الياد، المقدس والعادي، ترجمة، عادل العوا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، سنة 2009.

58. مصطفى الاشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.

59. منصوري سميرة، تجليات العولمة وانعكاساتها على الفضاء السوسيو-ثقافي في المجتمع الجزائري، منشورات آفا، 8، (3)، 2021.

60. مهى سهيل المقدم، المجتمع القروي بين التقليد والتحديث دراسة نظرية وميدانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1995.

61. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، سنة 1999.

62. نبيل الحسيني، منايع الرؤية في الفن، المركز الثقافي الغربي للعلوم، ط1، 1982.

63. نمير قاسم البياتي، ألف باء التصميم الداخلي، دار الكتب والوثائق، بغداد، ط1.

64. الهواري عدي، تحولات المجتمع الجزائري العائلة والرابط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة،

ترجمة ميلود طواهري، منشورات la découverte باريس، 1999.

65. يحي مهداوي، قراءة أنثروبولوجية للبيت التقليدي قصر القنادسة، دار المتحف للنشر

والتوزيع، ط1، 2022.

66. يحي وزيري، العمران والبنيان في منظور الإسلام، روافد، الكويت، ط1، سنة 2008.

قائمة المراجع باللغات الأجنبية:

1. Bontron, Jean-Claude. "**Le Monde Rural: Un Concept En Evolution**." Revue Internationale D'éducation De Sèvres 10 (1996).
2. Bronislaw Malinowski, **Une Théorie Scientifique De La Culture**, Traduit De L'anglais Par Pierre Clinquant, Paris, 1968.
3. Claude Griaud, **Histoire De La Sociologie**, Dar El Afaq, 1^{ère} Edition Juillet Algerie 1997
4. Hamberger, Klaus. **La Maison En Perspective. Un Modèle Spatial De L'alliance**. L'homme. Revue Française D'anthropologie, 2010.
5. Marcel Mauss, Manuel D'ethnologie, Editions Payot M, 1967.
6. Mustapha Bouteftouchet, **La Famille Algérienne, Evolution Et Caractéristiques Récentes**, Alger, Sned, 1982.
7. Rapoport, Amos, , **House Form And Culture**, Englewood Cliffs, Prentice-Hall, 1969
8. Rapoport, Amos, **Pour Une Anthropologie De La Maison**, Paris, Dunod 1972.
9. Samanani, F. & J. Lenhard. 2019. **House And Home**. In The Cambridge Encyclopedia Of Anthropology (Eds) F. Stein.

قائمة المجلات باللغة العربية

1. بن عرفة إبراهيم، جمال معتوق، **البناء الاجتماعي الريفي والنشاط الفلاحي في الجزائر مقارنة أنثروبولوجية**، مجلة الفكر المتوسطي، عدد 13، 2018.
2. زازوي موفق، **البعد الأنثروبولوجي في تخطيط وبناء المسكن في المجتمع الجزائري**، مجلة الفكر المتوسطي، عدد خاص.
3. عبد السلام بوهلال، التحولات الحديثة للسكن القروي بالريف الأوسط نماذج من صنهاجة سراير، مجلة تدغين للأبحاث الأمازيغية والتنمية عدد 5-السنة الرابعة، 2016.
4. عبد السلام سليمة، بوسكرة عمر، **مكونات البنائية والوظيفية للمجتمع المحلي الريفي**، مجلة سوسيوولوجيا، مجلد 3، عدد 1، 2019، الجزائر.

5. عبد الله بن معمر، الفضاء السكني والثقافة: نحو أنثروبولوجيا للمنزل، مجلة الثقافة الشعبية، فصلية علمية متخصصة، البحرين، العدد 52.
6. العقاب خليل، المجتمع الريفي في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية "ملاح ودلالات"، مجلة سسيولوجيا للدراسات والبحوث الاجتماعية، المجلد 3، العدد 2، أكتوبر، 2019.
7. عماد صاولة، سيرورة الرمز من العتبة إلى وسط الدار: قراءة أنثروبولوجية في السكن التقليدي التونسي، مجلة إنسانيات، العدد 28، سنة 2005.
8. العماري الطيب، التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري وإشكالية الهوية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري.
9. العماري الطيب، التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري وإشكالية الهوية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري.
10. فاطمة الزهراء سعيود، بومنجل فوزي، القيم والثقافة الجزائرية: مقارنة سوسيوثقافية بين الثابت والمتغير، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المجلد 15 / العدد 01 - 2021.
11. ليلي تيتة، تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 17، ديسمبر 2014.
12. محمد حمداوي، المجال السكني العائلي في الوسط القروي التقليدي: الدار والقرية لدى "بني سنوس"، مجلة إنسانيات، العدد 7، سنة 1999.
13. محمد سعيدي، الدار - المرأة: رمزية الفضاء بين المقدس و الدنيوي في الثقافة الشفوية، مجلة إنسانيات، العدد 2، سنة 1997.

14. محمد مسعد إمام عفيفي، المسكن التقليدي بمنطقة المحس بالسودان، دراسة أنثروبولوجية، مجلة الثقافة الشعبية، فصلية علمية متخصصة، البحرين، العدد 57 .
15. مصطفى مرضي، المجتمع الريفي: من الاستقلالية إلى التبعية: معالم ودلالات، انسانيات، عدد 7، 1999.
16. النذير قوادرية، نماذج من المسكن الريفي بقرى منطقة المعاضيد: دراسة أثرية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 11 عدد 2، 2021.
17. هدى قاسمي، شريف درويش، القيم الثقافية في مسكن العمارة العربية الإسلامية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 3، العدد 1، سنة 2021
18. يحي حسناوي رؤية المستشرقين للعمارة الإسلامية، مجلة الوعي الاسلامي الصادرة عن وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية لدولة الكويت ، العدد 588 يونيو 2014.
19. يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، سلسلة عالم المعرفة، 2004.

قائمة المجلات باللغات الأجنبية

1. Khedidja, G. U. E. C. H. I. "Changement Social En Algérie: Approche Sociologique, El-Ihyaa Journal, Volume: 23, Issue: 32, January 2023.
2. Melchisedek Chétima, La Culture Matérielle De La Maison Dans La Pensée Anthropologique : Parcours Théorique D'un Concept Transdisciplinaire, Internation Journal Of Trumanities And Cultural Studies, Vol. 2, Issu 4, 2016.
3. Mora, Santiago. Community's House And Symbolic Dwelling: A Perspective On Power. Humans, 2022, Vol. 2, No 1
4. Pierre Bourdieu, Sociologie De L'algerie, Coll , Que Sais Je ? N° 802, Paris, Puf, 1974.

قائمة المذكرات والرسائل الجامعية

1. دحماني سليمان، ظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية. العلاقات، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا، جامعة تلمسان، سنة 2005-2006.
2. شريف درويش، تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الفنون الشعبية، جامعة تلمسان، سنة 2011/2012
3. عاصم عبد الحميد محمد التركي، أثر التحولات الثقافية المعاصرة على البيئة المبنية دراسة على المناطق الريفية بدلتا مصر، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية، جامعة المنوفية، مصر، نوقشت بتاريخ، 2011/05/24.
4. عثمان فكار، تطور المسكن في الوسط الريفي: دراسة سوسيو-مجالية للمجال السكني: منطقة بني ورتلان شمال غرب سطيف، شهادة دكتوراه دولة، تخصص علم الاجتماع الحضري، جامعة الجزائر سنة 2005-2006.
5. المختار منصور، التحولات الثقافية والاجتماعية والسياسية في المجتمع الجزائري: 1990- 20000 (دراسة أنثروبولوجية)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة تلمسان.
6. نبيلة خبارة، تطور النسق الثقافي الريفي لسكان الريف الجزائري، مذكرة مكمل لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، سنة 2010، 2011.

قائمة المواقع الالكترونية

jeffrey vadala / 15 march 2018, **dwelling: function, symbolism, and landscape.**

<http://hraf.yale.edu/dwellingsfunctionsymbolismandlandscape/p4>

[www. manaraa.com](http://www.manaraa.com)

www.ons.dz.statistiques sociales / emploi et change (au quatrième trimestre 2007).

www.ons.dz.statistiques sociale/emploi et chômage (au quatrième 2007)

www.kotobarabia.com حسام الدين جاد الرب، الجغرافيا البشرية،

حسام الدين جاد الرب، الجغرافيا البشرية، www.kotobarabia.com

الحياة في باطن الجبل... بيوت محفورة في الصخور عمرها 500 سنة، تم استرداده من موقع :

<https://sputnikarabic.ae/2018/07/20>

عين شمس، 2003، تم الاسترداد من

فيروز نصطفى إبراهيم، نشأة المسكن في المدن، كلية الهندسة - جامعة طرابلس - 04 / 24 /

2019، مسترجع من موقع acadimia.edu

ما الذي يميز البيوت العربية التقليدية؟، تم الاسترداد من موقع <https://ar.quora.com>

مايك كرانغ، ترجمة سعيد منتاق، الجغرافيا الثقافية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2005، تم

استرداده من موقع منتدى سور الأزيكية

مجتمع القرية، تم الاسترداد من موقع

http://www.moqatel.com/openshare/behoth/mnfsia15/ruralsocie/sec01.doc_cvt.htm

يوسف عناد زامل، سسيولوجيا التغير، قراءة مفاهيمية في ماهية التغير واتجاهاته الفكرية، كلية

الآداب، جامعة واسط، تم الاسترداد من

<https://www.iasj.net/iasj/download/756b73ba1aff38f2>

مراجع أخرى

القطاع التقني لبلدية بن مستار

الملاحق:

دليل المقابلة:

هذا الدليل يحتوى على مجموعة من الأسئلة يفيد بإجراء بحث ميداني يدخل في إطار إنجاز أطروحة دكتوراه في الأنثروبولوجيا العامة حول موضوع:

التحولات الاجتماعية الثقافية وأثرها على مورفولوجية المسكن

نحيطكم علماً، أن المعلومات التي تدلون بها، لا يتم الكشف عن أصحابها ولا تستعمل بأي حال من الأحوال خارج إطار البحث العلمي

أولاً: البيانات شخصية:

الإسم واللقب

المهنة الحالية والسابقة

المستوى الدراسي

الحالة العائلية

المحور الثاني: بيانات حول المسكن التقليدي والحالة الاجتماعية والثقافية المرتبطة به

ماهو موقع مسكنكم التقليدي داخل القرية

ما هي أهم المصطلحات المجالية والهندسة التي كانت تشكله،

كيف كانت تتم طريقة البناء، من كان يحدد شكل المسكن، وما هي أهم المواد التي تشكله، وما هو

مصدرها

كيف كانت تتوزع الأسر داخل المسكن التقليدي

ما هي أهم الأعمال التقليدية التي كانت تمارس داخل المسكن

هل هناك طقوس كانت تمارس أثناء بناء المسكن

ماهي أهم تلك الطقوس ولماذا كانت تمارس في نظركم

المحور الثالث: حول المسكن والتحولت الاجتماعية والثقافية:

ما هي الأسباب التي أدت إلى تحول المسكن في نظركم

كيف كانت انعكاساتها على المسكن وطرق التساكن

هل جاءت تحولات المسكن مرة واحدة أو بالتدرج

ما هي أهم المراحل التي من خلالها قمتم بإجراء تعديلات على المسكن

ما هي الأجزاء الأساسية في المسكن التي مسها التغيير

هل هناك دور للمرأة في تحول المسكن

المحور الرابع: واقع المسكن الجديد

هل تفضلون المسكن الأفقي أم العمودي لماذا

ما هو الموقع الذي ترونه مناسباً لبناء منزلكم حالياً

كيف تتصورون المسكن الذي تتوقعونه

ما هي أهم الوسائل والأدوات التي أصبح وجودها ضروري في المسكن في نظركم

هل تفضلون بقاء الأبناء معكم عند زواجهم

Abstract :

This study deals with an aspect of urban transformation in the countryside of Tlemcen, through the development of housing as a human facility and a renewable urban unit. The study chose "Zalbon village" as a research field, due to the transformations it has witnessed in recent years in its spatial and residential aspects. The study described the general urban and social field of the area, and addressed the stages of its development, highlighting the residential models in the village. The rural character that distinguished it, to a society that can be said to have an urban character, similar to urban life, especially with regard to the urban aspect.

Keywords: urba transformation , rural community, sedative, Zalbon village.